

على أطلال المذهب المادي

(الجزء الثاني)

« طالع هذا الكتاب بكل تمعن ولا تطالعه الا بعد أن تطلق»
« نفسك من أسر الاغراض لئلا تغم عليك وأنت واقف تطل »
« على العالم من شرفة عقلك تتلمس الحقيقة من وراء ستارها »
(كتبها الدكتور شبلى شميل فوق)
(كتابه فلسفة النشوء والارتقاء)

(تأليف)

محمد فريد وجدي

(طبع بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بمصر)

سنة ١٩٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله ونستعينه ، ونستكفيه فيما نستبينه ، ونصلى ونسلم على رسوله محمد خاتم مرسليه ، وعلى آله وصحبه وتابعيه ، آمين .

(وبعد) فهذا هو الجزء الثاني من كتاب (على اطلال المذهب المادى) بادرنا الى نشره بعد الاول لانه منه كالنتيجة من المقدمة أو كالثمرة من الشجرة ، وهو مجموع المقالات التى كنا نشرناها بمجلة المقتطف الزاهرة في اجزاء متوالية منها من يناير سنة ١٩١٨ الى ابريل سنة ١٩٢ وكان الداعي اليها ان المقتطف نشر في جزئه الذي صدر في شهر ديسمبر سنة ١٩١٨ مقالة تحت عنوان (الفلسفة الحديثه) آنست فيها هضما عظيما لحق الباحثين العصريين في الروح من طريق الاسلوب العلمى المقرر فرأيت ان اكشف النقاب عن حقيقة هذه المسألة التى شغلت جمهور العلماء اليوم وأثرت في المدركات البشرية تأثيرا قضت به على الفلسفة المادية قضاء لا قيام لها بعده ، وأوجدت للبحث عن الحقيقة التي بادت الاجيال في تلمسها من طريق العلم الطبيعي عهدا جديدا لم يكن يحلم به الباحثون منذ أقدم ازمنة الفلسفة . وقد أقر بهذه الحقيقة من اعلام العلماء الطبيعيين وكبار الفلاسفة العصريين مئات لا يعقل تواطؤهم على الكذب ولا الانخداع بجانبهم الوف من المجربين المتطوعين من اطباء واصوليين ومهندسين وصحفيين وماليين ممن لا تنطلى عليهم حيل المحتالين ، ولا تروج لديهم احابيل المشعوذين ، وقد مضى على هذه المباحث اكثر من سبعين سنة وهي تقاوم تمحيص الممحصين وتقاوى نقد الناقدين وتثبت على تجارب المجربين ، حتي تقلب عليها من أنواع العقول مالم يتقلب على سواها من المسائل العلمية ، فخرجت من كل هذه الامتحانات فائزة منتصرة ، فماذا يطلب من الضمان على صحة امر بعد استجماعه مثل هذه الشهادات التي لا تعد ، والتحقيقات التي لا ترد ، وليست هي من الامور العقلية فيقال انها خيال من الخيالات

الفلسفية تروج فى الاذهان اليوم وتسقط غداء ولكنها امر حسي يخضع لحكم الحواس ويمكن تجربته بالآلات والادوات ، وليس خاصا ببلد ولا بجنس ، ولا بدرجة معينة من درجات العقول ، بل عام شائع وُجد من يوم وجود الانسان ، ولازمه في كل ادواره ، ثم جاء العلم المادي فتشكك فيه ردحا من الزمن ثم عاد فبحثه على اسلوبه واعترف به ، فهل يجمل بالعاقلين أن يحترموا التحقيقات العلمية في الامور المادية ويزروا بها في الامور الروحانية واقطابه يقولون لهم اننا لانأتيكم بها مستمدة من دين ، ولا مستقاة من فلسفة كلامية ، وانما نأتيكم بها علي الاسلوب العملي التجريبي كالامور الطبيعية سواء بسواء ؟

لاجرم ليس بين الشرقيين واحترام المباحث الروحية العصرية إلا ان تنكشف فى صورتها الحقيقية ، وهو الذي انتدبنا له فأفسح لنا المقتطف الزاهر مكانا من صحفه القيمة ، فنشرنا فيه هذه المقالات التي نعتبرها كافية في إطلاع الناطقين بالضاد علي تاريخ هذه المباحث من لدن ظهورها الي اليوم .

وبما ان هذه المسألة من المسائل التي كان العلم قد تشدد فى رفضها وابعادها عن مجاله، ورمي القائلين بها من الاقدمين بكل مثلبة فقد لقي العلماء الذين بحثوها اخيرا من أنواع المقاومات مالا يخطر ببال حتى اضطر اكثرهم لبدء تحقيقاتهم فيها بمقدمات تأنيبيه ثاروا فيها علي الجمود العلمي ثورات كان لها اكبر الآثار فى كشف الاغشية المادية التى رانت على قلوب الماديين من احسنها مقدمة وضعها العلامة الكبير الاستاذ (كاميل فلامريون) الفلكي الفرنسي في صدر كتابه المسمي (المجهول والمسائل النفسية) ألم فيها بأدوار الجمود العلمي وتاريخ استعصائه عن قبول كل جديد فرأينا ان نصدر بها كتابنا هذا فان فيها من الحقائق التاريخية ما يندر وجدانه في كتاب واحد .قال حضرته تحت عنوان (المنكرون) :

« عدد كبير من الناس مصابون بقصر نظر حقيقي في العقل ، وقد صورهم (لوميير) أصدق تصوير بقوله انهم يتخيلون ان الافق المحيط بهم هو نهاية العالم . فتري الحوادث الجديدة والآراء الحديثة تكسفهم وتذعرهم . فهم لا يريدون ان يتغير السير العادي

للاشياء . اما تاريخ تقدم المعارف الانسانية فلديهم من الامور المهملة .

« وتظهر لهم جراءة الباحثين والمخترعين ومحدثي الانقلابات من الجرائم ، ويخيل اليهم بأن النوع الانساني كان دائما على ماهو عليه الآن . فلا يتذكرون عصر الحجر ولا عهد اكتشاف النار ولا زمن اختراع عمل البيوت والمركبات والسكك الحديدية ، ولا توالي الفتوحات العقلية ، ولا استكشافات العلم ، فنري فيهم للآن أثراً من وراثة اسلافهم الاسماك بل والحيوانات الرخوة ، ونجد هؤلاء السادة المحترمين يتمكنون من الجلوس على كراسيهم ويظلون على تلك الحالة في راحة لا يعتريها أقل اضطراب . وهم ليسوا اهلا لقبول مالا يفهمون ولا يطوف بخيالهم حالهم الحقيقي من أنهم لا يعلمون أقل شيء . لا يعرفون بأن في ثني كل تعليل لأية ظاهرة من الظواهر الطبيعية مجهولاً ، فيكتفون بتغيير الالفاظ ليس الا . لماذا يسقط الحجر ؟ لان الارض تجذبه . مثل هـذا الجواب الواضح يشبع مطامعهم العلمية ، فيتوهمون أنهم قد فهموا هذه المسئلة . والتلاعب بالتفسيرات المدرسية المقررة يفتنهم على نحو ما كان عليـه الحال في عهد موليير . . . .

« في كل عصر ، وفي جميع ادوار المدنية يصادف أمثال هؤلاء الرجال البسطاء وهم في حالة هدوء وسكون ، ولـكن ليس بغير زهو ، فينكرون بسلامة قلب جميع الاشياء التي لم يُبحث فيها و يزعمون انهم يحكمون على النظام الكوني الذي لا يُسبر له غور . فمثلهم كمثل نملتين في حديقة تتكلمان في تاريخ فرنسا أو في بعد الشمس عن الارض .

« فلنعرض للقاريء حوادث من التاريخ ولنأت ببعض الشواهد على ما نقول :

« تحررت مدرسة فيثاغورس من الآراء العامية على الطبيعة ، وارتقت الى ادراك الحركة اليوميه لكوكبنا الارضي فمنعت بذلك السماء التي لانهاية لهـا من ان تتكلف الدوران حول نقطة تافهة في كل اربع وعشرين ساعة . فلسنا في حاجة لان نقول بأن الرأي العام ثار على هـذا الرأي الجليل ، فلا يمكن ان يطلب الى الفيل ان يطير الى وكر النسر . ولـكن كانت قوة المعتقدات الراسخة بحيث منعت العقول الراقية

من قبول هذا الرأي ، حتى افلاطون وارخميدس وهما العقلان اللذان يتألقان نورا ٠
وكان من عداد المكذبين أيضاً الفلكيان هيبارك و بطليموس . حتى ان هذا الاخير
لم يتمالك نفسه من الاغراق في القهقهة من مثل هذه الخزعبلة الفارغة . وقد وصف
نظرية دوران الارض بأنها مضحكة للغاية . هذا التعبير قارص جدا . وكأنا نرى من
هنا بطن كاهن صالح من كهان ذلك العصر يضطرب ويتلوى من دعاية بمثل هذه
القوة وهو يقول : ما اكبر هذا السخف ، الارض تدور ؟ لقد اصاب الفيثاغوريين
الخبل . تلك ادمغتهم التي تدور »

ثم اخذ الاستاذ كاميل فلاماريون يسرد تاريخ الاستكشافات العلمية وما لقيه
العلماء المكتشفون من المكافحات والاضطهادات . فذكر ان الفيلسوف الكبير
سقراط قبض عليه وقتل بالسم لانه ترفع عن تصديق الخرافات التي كانت شائعة في
زمنه . وأن الفيلسوف اناجزاغور اضطهد وعُذب لانه زعم ان الشمس اكبر من شبه
جزيرة بيلوبونيز ببلاد اليونان .

وجاء بعده غاليليه بالفي سنة فأحرق بالنار لانه قال ان الارض كرة حقيرة في هذه
اللانهاية السماوية . ثم قال ما ترجمته حرفيا:

« وقد حضرت في ١١ مارس من سنة (١٨٧٨) تقديم الفونوغراف الذي اخترعه
اديسون الى مجمع العلماء الفرنسي فلما أدار مقدمه الآلة وتكلم الفونوغراف هب احد
العلماء الكبار وهو المسيو (بويو) من مكانه وأمسك بخناق الرجل وصاح في وجهه
تعسا لك اننا لا ننخدع بمشعوذ مثلك يتكلم من بطنه . وما هو اعجب من هذا ان
هذا العالم أعلن بعد هذه الحادثة بستة اشهر أي في جلسة ٣٠ سبتمبر لمجمع العلماء بأنه
درس مسألة الفونوغراف (درساً مدققا) فرأي ان المسألة مسألة تدليس وأن الصوت
الذي يرن منه ليس منبعثاً من الفونوغراف بل من بطن مقدمه. ثم قال: (أي العلامة بويو)
ولا يعقل ان يستطيع المعدن محاكاة الجهاز الصوتي الشريف للانسان » فلم يكن
الفونوغراف في نظره الا من الاوهام.

« ولما حلل الكيماوي الكبير (لافوازييه) الهواء الى عنصريه الاوكسيجين

والازوت ثار عليه اكثر من عالم عظيم ، وانبرى له الـكيماوي الاشهر (بوميه) أحد أعضاء المجمع العلمي ، ومخترع الأريومتر ورد عليه بقوله :

« ان العناصر أو الاصول المكونة للاجسام قد اعترف بها وتحقق منها الطبيعيون في جميع العصور وفي كل الامم . وليس من المحتمل ان توضع هذه العناصر التي عُرفت منذ الفي سنة بأنها بسيطة في عداد الاجسام المركبة ، كما انه ليس من المحتمل أيضاً ان تعتبر حقيقية تلك الوسائل التي تقدم لنا لتحليل الماء والهواء ، ولا تلك الادلة المستحيلة (ولا نقول اكثر من ذلك) الداعية الى انكار وجود عنصري النار والتراب . فان الخواص المعترف بها لهـذه العناصر تتعلق بجميع المعارف الطبيعية والـكيماوية التي تحصلنا عليها الي الآن . وقد صارت هذه العناصر قواعد لعدد لا يحصى من مكتشفات ونظريات تتباري كلها في الوضوح والجلاء . وهذه المـكتشفات والنظريات يجب ان ترفع منهـا كل ثقة اذا اعتـبر ان النار والهواء والمـاء والتراب غـير عناصر اصليـة .

ثم قال كاميل فلاماريون عقب هذا :

« كل الناس يعلمون اليوم بأن هذه الاربعة العناصر التي دوفع عنها بهذه الروح العظيمة من التقوي لا وجود لها وان الحق في جانب الـكيماويين العصريين بتحليلهم الهواء والماء . اما عنصر النار الذي كان يقول عنه بوميه ومعاصروه بأنه الاصـل المولد للطبيعة والحياة فلم يوجد الا في خيال اولئك الاساتذه .

« والعالم لافوازييه نفسه ليس ببريء من مثل هذا الجمود العلمي فقـد كتب للجمعية العلمية بحثا مسهبا يثبت لهـا فيه استحالة سـقوط الاحجار من السماء . وقد كانت تلك الاحجار وهي النيازك قد شوهدت في اماكن متعددة ، وروئيت وهي ملتهبة ومع هذا كله اعلنت الجمعية العلمية بأن ذلك من الامور التي لا يتصورها العقل . وفى سنة (١٦٢٧) سقط نيزك يزن ثلاثين كيلوغراما في رائعة النهار رآه العالم (غاساندي) بعيني رأسـه ولمسه وفحصـه ونسبه لثورة ارضية مجهولة (مع ان النيازك عُرفت بعـد

ذلك بأنهـا بقايا كوا كب متحطمة تمر بها الارض فتجـذبها اليها فتسقط عليها من السماء) .

« وقد كان الاساتذة الارسطاطاليسيون يؤكدون في عصر غاليليه بأن الشمس لايمكن ان يكون عليها كلف (وقد ثبت ذلك بعـد بالحس)

« ولما رأي العالم (جالفاني) مكتشف الـكهرباء بأن أرجل الضفادع التي كان علقها على قضبان الحديد في بيته قد اضطربت وانهمك في درس سبب ذلك ونسبه للقوة الـكهربائية هزيء به الناس وسموه استاذ رقص الضفادع . فـكتب يقول سنة ١٧٩٢ : « لقدهوجمت بطائفتين متعارضتين العلماء والجهلاء . كلتا الطائفتين تهزآن بي وتسمياني استاذ رقص الضفادع . ومع هذا فاني متحقق من أني قد اكتشفت احـدى القوي الطبيعية »

« وفي هذا الوقت نفسه انـكر المجمع العلمي والمجمع الطبي المغناطيس الانساني انكارا مطلقا وعلة ا تصديقهما به على نجاح (جول كاوكيه) في استئصال سرطان ثدي لامرأة بدون بنج و بواسطة التنويم المغناطيسي وحده .

« ولمـا اكتشف هارفي الدوره الدمويه هزئت به جامعـة الطب ولقته بالسنة حداد .

« ولما قدم الماركيز جوفروا سنة ١٧٧٦ مشروع عمل السفن البخاريه رماه الناس بالخبل وقالوا هل يتفق الماء والنار ؟ وعرضت الحـكومة مشروعه على الجمعية لفحصه فقررت بأنه خيال . فاشتد استهزاء الناس بالمخترع ونبزوه بالقاب . فنبغ عقبه (فولتون) وعرض مشروعه على اولي الامر فلم يصادف غير ما صادفه سابقه فرحل الى امريكا وهناك لقي بعض المساعدة بعد جهد جهيد .

« ولما اكتشف فيليب لو بون الاستصباح بالغاز نشر مشروعه فلم يأبه به أحد وسخر الناس منه ومات صاحبه ولم يجد لندائه ملبيا . وكانوا يردون عليـه باستحالة وجود مصباح بدون فتيل . . . .

« ولما اكتشفت السكة الحديديه لنقل المسافرين والبضائع ثار الناس على المخترع

وعدوه ممخرقا وكتب المهندسون الفصول الطوال لاثبات ان العجلات تدور على نفسها ولا تسير على القضبان . وقام العالم الرياضى المشهور (اراغو) في مجلس النواب سنة (١٨٣٨) فأثبت فساد هذا المشروع وافاض في بيان جود المادة وصلابة المعادن ومقاومة الهواء وزعم ان هـذا المشروع لو نجح افضى الى تقليل ايرادات النقل على الحكومة فتخسر بذلك مالا طائلا . ثم ختم خطبته بقوله : « لنحـذر من المضى مع الاوهام فأن مثلثين متوازيين من الحديد (يريد القضبان) لايغيران شكل اراضى غاسكونيا البور »

« وخطب السياسى الكبير (تيرس) في هذا الموضوع فقال : « انا اسلم بأن مشروع السكة الحديدية يكون من ورائه (بعض الفوائد) لنقل المسافرين اذا قصر ذلك على بعض الخطوط القصيرة جدا والمنتهية الي بعض البلاد الكبيرة كباريس . ولا يجوز عمل خطوط طويلة . . . . . .

« وقال الاقتصادى الكبير (يرودن) : « ان من الآراء الساذجة المضحكة الزعم بأن السكك الحديدية تخدم في تسهيل تبادل الافكار » .

« ولما استشيرت الجامعة الطبية الملكية في أمر السكك الحديدية اجابت بأنها ان تحققت توجب المضار الشديدة على الصحة العامة فتسبب الدوار للركاب والمشاهدين في الخارج ونصحت بعمل حواجز عالية خشبية تحيط بالسكك حيثما مدت (حتى لا يرى القطار أحد وهو سائر)

« ولما اقترح عمل اسلاك تلغرافية بحرية بين اوروبا وامريكا في سنة (١٨٥٣) قام احد أقطابنا فى علم الطبيعة العلامة (بابينيه) احد اعضاء المجمع العلمي وممتحن مدرسة الهندسة فكتب في مجلة العالمين : « انا لا استطيع ان اعتبر هذه الآراء من الآراء الجدية فان نظرية التيارات الكهربائية تستطيع أن تعطينا ادلة غير قابلة للنقض عن استحالة مثل هذا النقل للمخابرات حتى ولو أغفلنا التيارات التى تحدث من نفسها في سلك كهربائى طويل ، وهي تلك التيارات التى ثبت انها فى غاية الحساسية في المسافة القصيرة الموجودة بين دوفر وكاليه (وهى لا تبلغ ثلاثين ميلا)

وأن الوسيلة الوحيدة لايصال العالم القديم بالحديث (أوروبا بأمريكا) هو اجتياز مضيق بهرنج بدون العروج على جزائر فيرويه واسلاندا وجروينلاندا ولابرادور !!

« وقد عاش العلامة الجيولوجي (ايلي دوبومون) السكرتير المستديم للمجمع العلمي والمتوفي سنة (١٨٧٤) طول حياته ينكر وجود الانسان الحفري بدون ان يعرف شيأ محققا في هذا الموضوع . مع ان صديقي الفاضل (اميل ريفيير) كان قد اكشف الانسان الحفري سنة (١٨٧٢) وأحضره الى دار الآثار بپاريز ورآه كل انسان .

« وقد أبت الجمعية الملكية الانجليزية سنة (١٨٤١) نشر اهم مذكرات العلامة (جول) المشهور الذي اسس هو والعلامة (ماير) علم الترمودانياميك . وقد سخر اللورد (بروغهام) بتوماس يونج الذى وضع هو والعلامة فرسنل نظرية تموجات الضوء .

« ولما رأي العلامة ماير الجحود الذى قابل به العلماء اكتشافه الخالد فى المانيا اعتراه الجنون فرمي بنفسه من النافذة . والعلامة الكهربائي الكبير (أوهم) عُد مجنونا عند قومه الالمانيين .

« ولما اكتشفت العدسات البلورية المقربة للابعاد رفض السناتو في هولاندا ان يعطي مكتشفها امتيازا لعملها بحجة ان الناظر بها لايستخدم الاعينا واحدة . وبعد ذلك بخمسين سنة رفض العالم الفلكي الكبيران يضم زجاجات مكبرة فيآلاته لظنه انها تضر بضبط وتحديد مواقع النجوم . . .

« وقد وضع صديقي الحميم (اوجين نو) في مقدمة كتابه الذى اسماه (اشياء عن العالم الآخر) قوله :

« هذا هدية الى ارواح العلماء الذين ماتوا من حملة الامتيازات والشهادات والتشريفات والاوسمة ، اولئك العلماء الذين انكروا دوران الارض وسقوط النيازك والكهرباء ودورة الدم والتطعيم وتموجات الضوء ومانعة الصواعق والداجير يوتيب

وقوة البخار والمحرك للسفن والسفن البخارية والسكك الحديدية والاستصباح بالغاز والتنويم المغناطيسي. ثم مابقي اهديه الي الاحياء منهم والى الذين سيولدون ممن يجرون على خطة من سبقهم في الحال وسيجرون عليها في الاستقبال »

« اني اري أن من التحقير الشديد لهؤلاء العلماء ان اقلد صديقي (اوجين نو) وأر بأ بنفسي عن كتابة مثل هذا الاهداء في رأس هذا الكتاب . ولكني مع هذا انبه القارئ اليه واسمح بنشره لانه لايخلو من القيمة الفلسفية ، واضيف اليه متابعا مؤرخا لهذه الظواهر بأن هؤلاء العلماء الرجعيين الذين يصادفون في كل مجال من مجالات العلم والفنون والصنائع والسياسة والادارة ينتفع بهم من وجهة انهم يقفون عند حدود يتبين الناظر اليها مسافة التقدم .

« نبغ اوجست كونت وليتريه وأرادا تحديد الطريق النهائي الحسي للعلم فأرادا ان لايسلم الناس الا بما يرونه بأعينهم ويلمسونه بأيديهم ويسمعونه بآذانهم وان لا يحاولوا ادراك مالايمكن ادراكه . وقد صارت هذه قاعدة العلم منذ خمسين سنة .

« ولكننا بتحليلنا شهادات حواسنا وجدنا انها تخدعنا خدعا تاما. فاننا نري الشمس والقمر والنجوم تدور حولنا ، وهو ضلال مبين ، ونحس بأن الارض ثابتة ، وهو ضلال مبين أيضاً ونري الشمس تشرق فوق الافق والحال انها تحته ، ونحس بأجسام صلبة ؛ ولا يوجد شيء من ذلك ، ونسمع اصواتا متناسقة ، مع ان الهواء لايحمل فى الواقع الا تموجات ساكنة في ذاتها . ونعجب بنتائج النور والالوان التى تجلى في نظرنا المظهر البديع للطبيعة ، والحال انه لايوجد ضوء ولا الوان ولكن حركات اثيرية معتمة بتأثيرها على عصبنا البصري تعطينا شعورات ضوئية . ونري ارجلنا تحترق في النار على غير علم منا ، ونري أن مستقر الشعور بالاحتراق هو في مخنا وحده . ونجدنا نتكلم عن الحرارة والبرودة ، والحال انه لايوجد في الكون لاحرارة ولا برودة بل حركة فقط . و بناء على هذا فحواسنا تخدعنا في حقائق الاشياء حتي اعتقدنا ان الشعور والواقع شيئان مستقلان .

« ليس هذا كل ما يقال فان حواسنا الخمس المسكينة ظهر أنها لا تكفي في

تعريفنا بالواقع فهي لا تُشعرنا الا بعدُ قليل من الحركات التي تؤلف حياة الكون.
ولاجل اعطاء القارئ فكرة عن ذلك اردد هنا ما كتبته في كتابي المدعو (لومين)
منذ ثلث قرن . قلت . « من آخر درجات احساسنا بالصوت المدرك باذننا في عدد
من الذبذبات يبلغ ٣٦٨٥٠ في الثانية الى اول درجات شعورنا البصري المدرك
بعيننا في عدد من الذبذبات يبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ اربعة كترليون في الثانية
أيضاً لانستطيع ان ندرك شيأً فيما بين هاتين الدرجتين من الذبذبات . ولا مشاحة
في ان بينهما مسافة بعيدة جدا لاتتأثر بذبذباتها حاسة من حواسنا . فاذا كان في
عود شعورنا اوتار اخرى ، كعشر أو مئة أو الف فان نظام الطبيعة بترنيتها كان يظهر
لنا على اتم واكمل حال ، فحواسنا تخدعنا من جهة ، وشهادتها ناقصة كما رأيت من جهة
أخرى . فليس لدينا مانفتخر به ولا مايحملنا على وضع فلسفة حسية مزعومة .

« نعم يجب علينا ان ننتفع بما عندنا فان العقيدة الدينية تقول للعقل : « ياصاحبي
الصغير ليس لك الا مصباح يهديك الطريق فأطفئه واتركني اتولى قيادتك » ولكن
ليس هذا من رأينا . نعم ليس لنا الا مصباح ضئيل ولكن اطفاءه يفضي الى العمى
المطبق . فلنجعل مبدأنا ان العقل او التعقل يجب دائما وفي كل شيء ان يكون دليلا
لنا . وليس وراء هذا الا العدم ، ولكن لايجوز لنا ان نحصر العلم في هذه الدائرة
الضيقة . ولنرجع الى (اجوست كونت) لانه مؤسس المذهب العصري ولانه يعتبر
من اكبر العقول في جيلنا الحاضر فقد حدد دائرة علم الفلك على ما كان يعلمه في
زمنه ، وهو الأمر الذي يعتبر من المستحيلات العقلية فقال « اننا نعلم انه تمكن دراسة
اشكال الكواكب وابعادها وحركاتها، ولكننا لن تستطيع ابدا وبأية وسيلة من الوسائل
دراسة تركيبها الكيماوي » وقد توفى هذا الفيلسوف سنة (١٨٥٧) أي بعد اكتشاف
التحليل الطيفي بخمس سنين ، وهو الاكتشاف الذى عرفنا بالضبط التركيب الكيماوي
للكواكب على حسب ترتيب طبيعتها الكيماوية .

« ولقد كان مثله كمثل فلكي القرن السابع عشر الذين كانوا يؤكدون بأنه
لايوجد غير سبع كواكب . ولم يعلموا ان المجهول بالامس يكون عين الحقيقة غدا »

ثم ذكر الاستاذ كاميل فلامريون ان العلماء ليسوا وحدهم المصابين بالجمود امام كل جديد بل يشاركهم الكافة فى ذلك والتمس لهم عذرا ثم قال :

« ان استكشاف أشعة رنتجن حديثاً وهو الاستكشاف الذي لم يكن يخطر ببال احد لغرابته فى ذاته يجب ان يبصرنا بضيق مجال ملاحظاتنا العادية . فان الرؤية من خلال الاجسام الكثيفة في باطن صندوق ، وتمييز الهيكل العظمي للذراع من خلال اللحم والثياب الكاسية له ، لاشك انها من الامور المناقضة لحقائقنا العادية . هذا المثال هو على التحقيق أفصح دليل على هذه البداهة العلمية وهي : من الامور المناقضة للعلم التأكيد بأن الحقائق تقف عند حد معارفنا وملاحظاتنا » .

« ثم ان التلفون الذي ينقل الكلمة لا بواسطة تيارات رنانة ولكن بواسطة حركة كهربائية ، فاذا كنا نستطيع ان نتكلم من باريس الى مارسليا بواسطة انبوبة فان صوتنا يلبث سائرا ثلاث دقائق ونصف قبل ان يصل الي الجهة المرسل هو اليها ، وتلبث كلمة مخاطبنا مثل هذه المدة أيضاً أي ان الجواب المركب من كلمة واحدة لا يصل الينا الا بعد سبع دقائق هذا مالا يفكر فيه احد ، ولكن التلفون أدخل في البعد عن التصور من أشعة رنتجن من جهة معارفنا بالاشياء السابقة عليه .

« لقد تكلموا عن النوافذ الخمس لمعارفنا وهي : البصر والسمع والشم والذوق واللمس . ولكن هذه النوافذ الخمس لا تصلنا بالعالم الخارجي الا قليلا . ولا سيما النوافذ الثلاثة الاخيرة . فان العين والاذن تذهب الي بعد ما . ويكاد يكون النور وحده هو الذي يصل بين عقلنا والوجود ولكن ما هو النور . هو نوع من الذبذبة في الاثير بسرعة مفرطة . والشعور بالنور ينتج على شبكية أعيننا على درجة من الذبذبات الاثيرية ، تمتد من ٤٠٠ ترليون في الثانية الواحدة (وفيها يظهر الطرف الاحمر من الطيف الضوئي) الى ٧٥٦ ترليون (وفيها يظهر الطرف البنفسجي) . وعدد هذه الذبذبات قد قدر بضبط منذ زمان طويل ، وفيما هو مثل هذا العدد وما بعده توجد ذبذبات في الاثير لا تدركها أعيننا . فما بعد اللون الاحمر تحدث الذبذبات الحرارية المعتمة . وفيما بعد البنفسجي تحدث الذبذبات الكيماوية للاشعة المكن تصورها

بالفونوغرافية وهي أشعة معتمة أيضاً . ويبقى امامنا ذبذبات كثيرة غير هـذه مجهولة عندنا .

ثم قال بعد ايراده تحقيقات علمية لما سبق :

« الظواهر الطبيعية التي تحصل حولنا على الدوام تحدث تحت تأثير قوي غير مرئية لنا . فبخار الماء الذي له اكبر تأثير في اختلاف الاقاليم غير مرئي بالعين، والحرارة والـكهربائية غير مرئيتين أيضاً . والطيف الشمسي بتمثيله مجموع الاشعة المضيئة التي تحس بها شبكية العين اصبحت الاشعة المرئية بالعين يعرفها الـكافة اليوم . فاذا امررنا شعاعا شمسيا من خلال منشور زجاجي تحصلنا منه وهو خارج من ذلك المنشور على شريط من الاشـعة ملون من الاحمـر الى البنفسجي يخترقه عـدد كبير من الخطوط .

أشهرها يُدَل عليه بالحروف من أول ا الي ح من الحروف الابجـدية وتلك الخطوط هي خطوط الامتصاص الناتجة من المواد التي تحترق في الجو الشمسي ومن الابخرة المائية الموجودة في الجو الارضي . و يعرف منها الآن الوف مؤلفة فاذا وضعنا ترمومترا على يسار الطيف المرئي بعد الشعاع الاحمر نري زئبقه يرتفع فيعرف ان هنالك أشعة حرارية لا تراها أعيننا . واذا وضعنا زجاجة فتوغرافية على يمين الطيف فيما بعد البنفسجي وأيناها تتأثر فيعرف بذلك ان هنالك أشعة كياوية شديدة الفعل محجوبة عنا . ثم اننا ننبيه لهذا الامر الهام وهو ان الاجسام غير المرئية يمكن ان تصير مرئية فالاورانيوم وسولفات الـكنين تصير مرئية في الظلام تحت تأثير اشعاع الاشعة التي هي بعد البنفسجي .

ثم قال :

« يرجح اننا نجد أشعة رونتجن بين الدرجة ٥٨ و ٦١ حيث الذبذبات الاثيرية تكون من ٧٤٤ ٧١١ ١٥١ ٣٧٦ ٢٨٨٢٥٠ الي ٦٩٥٩٥٢ ٢١٣ ٠٠٩ ٨٤٣ ٢٣٠٥

في الثانية الواحـدة.وقد يكون عدد الذبذبات اكبر من ذلك . فيرى ان في هـذه الرتبـة من الذبذبات يوجـد فراغات كبيره أو مواطن مجهولة ليس لنا عنها ادني علم. فمن الذي يستطيع ان يقول ان هـذه الذبذبات لاتلعب دورا هاما في التركيب الوجودي العام ؟

ثم يقال ألا توجد ذبذبات في الاثير اسرع من الدرجة التي ذكرناها ؛

ثم قال :

« يوجد فى الحياة الارضية خصائص لم يكتشفها الانسان الآن وحواس لاتزال مجهولة لديه . فكيف يجد الحمام السياح والسنونو أعشاشها التى تركتها ؟ وكيف يعود الكلب الي بيته بعد ان يُبعد عنه بعدة مئات من الكيلومترات فى طريق لم يعهده من قبل ؟ وكيف تستهوي الحية العصفور الى فمها ؟ وكيف يجذب البرص اليه الفراش بعد أن يوقعه في خدر الخ الخ وقد بينت في كتاب غير هـذا ان سكان الدنياوات الاخرى يجب ان يكونوا ممتعين بحواس مخالفة لحواسنا .

« ليس لنـا علم مطلق بشيء من الاشياء فكل معارفنا نسبية أي ناقصـة وقاصرة .

« فالعقل العلمى يوجب علينا أن نتحفظ فى انكاراتنا ولنا الحق في ان نكون متواضعين وانقل مع اراغو « ان الشك دليل على التواضع وما اضر بتقدم العلم الا نادراً. ولكنا لانستطيع أن نقول مثل هذا القول عن الانكار المطلق ».

« ويوجد كذلك عدد عظيم من الحوادث لاتزال بعيـدة عن التفسير تختص بالعالم المجهول ، ومن هـذا الباب الحوادث التي سنتكلم عنها في هـذا الكتاب . فالتلباتيا أي الشعور عن بعـد ، وظهور أشباح الموتى ، وانتقال الافكار ، والرؤي في النوم ، وفي حالة الانتقال النومي بدون استخدام الاعين لقري ومدن وآثار ، ومعرفة المستقبل من حادثة قريبة ، والشعور بما هو آت ، والانذارات الخارقة للعادة ، والحس بحوادث مستقبلة ، والاملاء بواسطة الطرق على الأخونة (الترابيزات) وحدوث

ضوضاء لا يمكن تعليلها وظهور أرواح في بعض البيوت ونقل الاشياء من امكنتها ورفعها الى فوق ضد نواميس الثقل ، وحركة الاشياء وانتقالها بدون مس أو حوادث تشبه تجسد القوي (وهو مايظهر بحالالاول وهلة) والظهور الوهمى أو الحقيقي للارواح متجردة أو لنفوس من جميع الرتب ، وظواهر أخرى غريبة لاتزل بعيدة عن التفسير للآن كلها تستحق ان نطلع عليها وأن نوجه اليها اهتمامنا العلمي .

ثم قال :

« والذين يقولون : حاشانا أن نصدق هذه المستحيلات . لالا، نحن لا نصدق الا نواميس الطبيعة ، وهذه النواميس معروفة ، هؤلاء يشبهون قدماء الجغرافيين السذج الذين كانوا يكتبون على خرائطهم عندما يصلون فى رسمهم الى جبل طارق هذه العبارة (هنا تنتهى الدنيا) ولم يعرفوا أن في تلك الشقة القريبة المجهولة يوجد من الارض ضعف ماكان يعلمه أولئك الجغرافيون الجسورون في ذلك الحين .

« كل ما نعرفه من العلوم الانسانية يمكن أن يشبه بجزيرة صغيرة صغيرة للغاية محاطة بأوقيانوس لا ساحل له » .

وقال في صفحة ٥٧٠

« المشاهدات الحسية تثبت وجود عالم روحاني محقق كتحقق العالم المادي المدرك بحواسنا الخمس» .

***

وقال هذا العالم الكبير أيضاً في صفحة ٨٠ من كتابه (القوي الطبيعية المجهولة) :

« انا لا اخفي عن نفسي بأن كتابي هذا سيثير ثائرة مناقشات واعتراضات أصولية ، ولا يستطيع ان يقنع غير الباحثين المستقلين . ولكن ما أقل العقول المستقلة

الحرة على سطح كوكبنا هذا ، وما اقل الميل الصحيح للاطلاع مجردا عن كل مصلحة ذاتية . كأني بجمهور قرائي يقولون : أي شيء في هذه المسئلة يوجب الاهتمام ؛ أخونة (أي ترابيزات) ترتفع عن الارض ، ومناضد تتحرك ، وكراسي تنتقل عن مواضعها ، و بيانات تقفز ، وستائر تضطرب وطرقات تحدث بلا سبب معروف ، واجوبة توجه الى أسئلة عقلية ، وجعل على عكسا ، وأيدي ورؤوس واشباح تظهر ، كل هذا من الامور التافهة او الهذيان الذي لايصح ان يلفت نظر عالم من العلماء . . . .

« اجل من الناس من قد تسقط السماء على رؤسهم فلا يتأثرون .

« اما انا فأجيبهم قائلا : ماذا تقولون ؟ ألايعد شيأ في نظركم ان نعلم ونشاهد ونعترف بأنه توجد حولنا قوي لاتزال مجهولة ؟ ألا يعد شيأ يؤبه له عندكم ان ندرس طبيعتنا الخاصة وخصائصنا الذاتية ؟ ألا تستحق مثل هذه المسائل ان تكتب في برنامج المباحث وان يخصص لها ساعات من العناية ؟

ثم قال :

« انى كلما افكر في هذا الامر ادهش من ان دهماء الناس لايزالون يجهلون هذه المسائل كل الجهل بينما قد عرفها ودرسها وقدرها حق تقديرها وسجلها من مدة مديدة جميع الذين تتبعوا حركتها بكل نزاهة في مدي هذه السنين الاخيرة » انتهي .

***

وقال العلامة الانجليزي الكبير السير وليم كروكس احد رؤساء المجمع العلمي البريطاني الحاصل على اكبر الالقاب العلمية وهو مكتشف إشعاع المادة . قال من خطبة القاها في جمعية المباحث النفسية في ٢٩ يناير سنة (١٨٩٧) وكان اذ ذاك رئيساً لها (انظر مجموعة خطبه) قال :

« اني لأستطيع أن أوكد لكم بأن اعمال ومنشورات جمعيتنا هذه فيما يختص بالتدوين الدقيق للمشاهدات الجديدة الهامة ، أو بالفائدة التي تنتج من هذه المشاهدات

تؤلف مقدمة لا تُقدّر قيمتها لعلم هو أبعد غورا من أي علم ظهر على سطح الارض (تأمل) سواء في كشفه عن حقيقة الانسان أو عن حقيقة الطبيعة ، وعوالم أخرى ليس لنا علينا الى الآن أقل أثارة من علم » .

***

وقال العلامة الشهير (هنري سيدجويك) المدرس بجامعة كمبردج وهو يعتبر اكثر اخوانه العلماء تشككا وتثبتا . قال في خطبة رئاسته لجمعية المباحث النفسية سنة ١٨٨٢ أي قبل أربعين سنة :

« من الامور الفاضحة أن يُتناقش الي الآن في صحة هذه الحوادث (الحوادث الروحية) التى اعان تصديقه بها عدد عظيم من الشهود الاخصائيين ، واهتم غاية الاهتمام بحل مسألتها عدد آخر منهم ، وان يحتفظ العالم العلمي مع كل هذا حيالها بالانكار الساذج . . . .

« كان الناس يظنون منذ ثلاثين سنة ان الاعتقاد بالميسمريسم (التنويم المغناطيسي) وبالاخونة المتحركة يفسر تفسيراً كافياً بقلة التهذب العلمي عند أهله . فلما اكد رجال من أهل العلم المشهورون الواحد بعد الآخر صحة تجاربهم الشخصية ، أظهر معارضوهم مهارة في تصيد العلل للحط من مقامهم العلمي . فقالوا ان هؤلاء الباحثين غواة وليسوا من اهل تلك المهنة ، أو اخصائيون فى بعض الفروع العلمية وليس لهم نظرات عامة ولا خبرة كافية ، أو مخترعون فقط يجهلون الاساليب الدقيقة للبحث العلمي ، أو أنهم ليسوا أعضاء في المجامع العلمية ، فاذا كانوا من أعضاء تلك المجامع اظهر المعارضون أسفهم لهذا وعدوه من الحوادث المحزنة .

« اننا في متابعتنا السير فى هذه المباحث لا يجوز لنا أن ننتظر من شهادة واحدة مهما كانت كاملة نتائج قاطعة على العرف الانساني . فان الانكار العلمى أخذ في النمو من زمان بعيد ، وقد صارت له جذور قوية عديدة لا قبل لنا باجتثاثها اذا قدرلنا ذلك الا باينهاظها بمجموعة من الحوادث المحققة ، فيجب علينا ان نعمل بلا فتور ، وان نركم

البراهين على البراهين ، وان تضيف التجارب الى التجارب ، وأن لانطيل الجدال مع المنكرين الاجانب عن مباحثنا على قيمة تجربة من التحقيق ، ولكن لنعتمد على عدد هذه التجارب للحصول على الاقناع المطلوب » .

* * *

هذه كلمات من خطبة القاها الاستاذ سيدجويك في جمعية المباحث النفسية بلوندره فما هي هذه الجمعية ؟ قال الباحث الفرنسي المشهور (جبريل دولان) في كتابه المسمى (الوساطة) صفحة ٧

« تأسست في انجلترة منذ سنة ١٨٨٢) أي منذ أربعين سنه) جمعية المباحث النفسية جمعت بين اعضائها رجالا من الطراز الاول في العلم مثل الطبيعي المظيم (وليم كروكس) والمؤرخ الطبيعي المشهور (الفردروسل ولاس) و (اوليفرلودج) وهؤلاء الثلاثة من أعضاء الجمعية العلمية الملكية . وكان يعاونهم أساتذه آخرون و بسيكولوجيون (علماء النفس) وغيرهم . فعملت مباحث مدققه في سنين طويلة اتخذت لها ادق التحوطات لتجنب اسباب الخطأ . وان الانسان ليجد في المجلدات الثلاثة والعشرين التي نشروها الى هذا اليوم مستندات عديدة خاصة بالتجارب والملاحظات المقتطفه والمحققة بعنايه أولئك الباحثين الخ الخ »

نقول وهذه الجمعية لا تزال موجودة الي اليوم وقد بلغ عدد مانشرته من مجلداتها أربعين مجلداً . وقد تأسس في فرنسا في سنة ١٩١٩ مجمع علمي شبيه بها سيرد عليك ذكره في هذا الكتاب . ولم تبق في أوروبا وأمريكا جريدة يومية ولا مجلة الاوتذكر المباحث النفسية بل منها ماخصصتها كل يوم بعمودين كجريدة (السيكولو) الايطالية وسوادنا الاعظم لايزال الى اليوم لايدرى ما اذا كانت هذه المسئلة لها وجود في العالم العلمي ، مع انها امس مسألة بالانسان ، وأخصها به ، لانها تميط اللثام عن وجوده الروحاني وخلوده في عالم بعدهذا العالم.

وقد نشر المقتطف الزاهر في صدر جزئه الصادر في أغسطس من هذه السنة (١٩٢١) تحت عنوان (مناظرة في مناجاة الأرواح) مقالا للمستر (مكايب) ناظر بها الكاتب الكبير الطبيب الدكتور (ارثر كونان دويل) في مسألة مناجاة الارواح وقد وعد المقتطف بايراد رد الدكتور كونان دويل في الجزء القادم الذي يصدر في سبتمبر فرأينا ان نأتي علي ملخص كلام المستر (مكايب) لنري القراء مبلغ جهد المنكرين ليروا مثالا من وهن أساليبهم في دحض هذه المباحث. فقد قال:

« ان هذا المذهب ولد في الخداع وربي في الخداع وانتشر الآن في المسكونة والخداع وسيلته » .

واستدل على قوله هذا بثبوت خداع الوسيطة (اوزابيا بلاديتو) مع ان كاشف خداعها هو العلامة (هودجسون) من كبار علماء انجلترا ومن اعاظم المصدقين بمخاطبة الارواح.

ثم ذكر ان جميع الوسطاء خادعون واستشهد علي ذلك بقول العلامة كاميل فلامريون والبارون شرنك فقال :

« اكتفي بالاستشهاد برجلين من الذين بحثوا في هذه الاعمال أو المظاهر وهم يعتقدون صحتها، الاول فلامريون الفلكي الفرنسوي المشهور الذي بحث في هذا الموضوع بحثاً دقيقاً مدة خمس عشرة سنة فقد قال : « ان كل وسيط يستعمل وساطته للربح فهو غاش » والثاني البارون شرنك نوتزنج من اعيان الاطباء في فينا فقد قال قلما قام وسيط الا وثبت انه يستعمل الغش . قال هذا القول بعد أن بحث في هذا الموضوع بحثا دقيقا جدا مدة ٣٠ الى ٣٥ سنة .

« وقال آخر من المعتقدين بصحة مناجاة الارواح ان ٩٨ في المئة من حوادث مناجاة الارواح الطبيعية المحسوسة خداع .

« فلست مبالغاً فيما نسبته من الغش الي هذا المذهب » انتهي .

نقول ما اغرب هذا الدليل . يستشهد المستر (مكايب) علي ان هذا المذهب

مبني على الخداع بأقوال رجال يقول عنهم انهم من المصدقين به ولم يُرد أن يسألهم على أي دعامة أقاموا عقيدتهم به مادام الامر كما ذكروا

نعم لم يسألهم المستر (مكايب) هذا السؤال مع انه أول ما يتبادر الى ذهن كل قارئ ، لانه يعلم انهم سيجيبونه بأنهم بنوا عقيدتهم على تجارب وسطاء غير مأجورين . وقد ظهرت خاصة الوساطة في علماء أعلام واطفال رضع ونساء سريات من زوجات المجربين و بناتهم . ظهرت في المستر ستيد اكبر صحفي العالم وأشرفهم نفساً ، وفي العلامة فارلي الكهربائي الانجليزي ، وفي بنتي المستر ادموندس رئيس مجلس الاعيان الامريكي ، وفي امرأة الوزير الروسي الشهير اكزاكوف ، وفي ابنة البارون كيركوب الانجليزي وعمرها لم يتجاوز تسعة أيام (ايام) وفي القصصي الفرنسي الكبير ساردو . راجع ما كتبناه على الوساطة في هذا الكتاب . وفي العالم اليوم الوف غير هؤلاء ممن لا يعقل فيهم الخداع والتدليس . فلو كان سأل المستر (مكايب) هؤلاء العلماء الاعلام الذين يقول عنهم انهم من المصدقين بمخاطبة الارواح لأخبروه بالواقع ، ولبينوا له الاصول التي بنوا عليها عقيدتهم .

ثم قال ان كاميل فلامريون بحث هذه المسألة مدة خمس عشرة سنة والحقيقة انه بحثها مدة خمس وخمسين سنه كما صرح بذلك في آخر كتاب له وهو (الموت وغامضته) الذي نترجمه الآن تباعا في الوجاديات التي تصدرها كل خمسة عشر يوما(١) فلو كان هذا مبلغ تثبت المستر (مكايب) في مناظرته فاننا نرأبه ان يخوض في موضوع ليس له المام صحيح بتاريخه .

ثم قال المستر (مكايب) :

« أري ان مناظري حسب ان من أقوي الادلة على صحة هذا المذهب ما ادعاه من كثرة عدد العلماء الذين اعتنقوه » .

هي مجلة نودعها كل خمسة عشر يوما مقالة خيالية خلقيه وننشر فيها مباحث علمية أخري . اشتراكها ١٥ قرشا في السنة .

ثم استشهد المستر مكايب على فساد هذا القول بما كتبه الدكتور ستانلي هول رئيس جامعة كلارك ضد السير اوليفرلودج رئيس جامعة برمنجهام الذي ذهب الى أمريكا لنشر مذهب مخاطبة الارواح وهو قول الدكتور ستانلي المذكور في السير اوليفرلودج :

« ان منظر اب يري الناس قلبه الدامي على ابنه القتيل يجعله بمأمن من الانتقاد » يشير بذلك الى مقتل ابن العالم الانجليزي في الحرب ، مع ان السير اوليفرلودج يعتقد بصحة الاتصال بالارواح قبل الحرب العامة بعشرات من السنين .

ثم أورد المستر مكايب قول الدكتور ستانلي المذكور وهو :

« ولكن تبشير السير اوليفرلودج بمناجاة الارواح احتقار للعلم »

ثم أشار الى الحياة التي تحياها الارواح بعد الموت حسب ما ادعاه السير اوليفرلودج (كما يقول) فذكر « انها تشبه حياة ضعاف العقول في البيمارستان » .

وختم الدكتور ستانلي مقالته بقوله :

« اني اؤكد انه لا يوجد ذرة من الحق في كل هذا الجبل الكبير من دعاوي مناجاة الارواح » انتهى .

أشار المستر مكايب الي هذه المقالة ليدحض قول السير ارثر كونان دويل مناظره ان من أقوي الادلة على صحة مذهب استحضار الارواح كثرة عدد العلماء القائلين به . فهل غاب عن المستر مكايب ان القول بوجود علماء كثيرين يقولون بصحة شيء لا ينفي وجود علماء آخرين ينكرونه ؟ وهل رأي عالم منكر لم يرشيأ من التجارب النفسية يدحض جبلا كبيرا كما يقول من تجارب قام بها علماء آخرون ورجال من كل طبقة في مدي جيلين متواليين ؟ وهل من العلم أن تكذب بشيء لم تعمل فيه تجربة واحدة بحجة انه لا يسيغه عقلك ، وانت تدري قيمة هذا العقل ومبلغ رأس ماله العلمي في هذه اللانهاية المجهولة ؟

ان الرأي العلمي الذي يؤثر في هذه المسئلة حقيقة هو أن يتصدي لها عالم أو مجمع علمي فيمضي في تجربتها وقتاً كافياً ثم يكتب عن تجاربه تقريرا مفصلا يثبت فيه ما قام به من

التجارب وما اتخذه من الوسائل وما شوهد فيه من التدليس وما انتهى اليه الامر من عدم وجود شيء أصلا يعول عليه في هذا الباب

هذا هو الرأي الذي يؤثر في دحض هذه المسئلة ، أما رجل ينظر الى مجموع التجارب التي حصلت فيراها مما لا يسيغها عقله .. لغرابتها (وما غرابتها الا لكونها تفوق علمه الناقص) فيندفع للكتابة في نفيها منتقدا تجارب العلماء امثاله متهما اياهم بالانخداع والوقوع فى حبالة المدلسين ، فهذا ليس من العلم وليس من الحكمة ، وليس من الاخلاص ، وهو عار سيسجله التاريخ على كل من يرتكبه كائنا من كان . كما سجل على (لافوازييه) تكذيبه بالنيازك ، وعلى (بوميه) تكذيبه لتحليل الهواء وعلى (بويو) تكذيبه لنظرية الفونوغراف وعلى (بابينيه) تكذيبه لامكان مد الاسلاك البحرية . وعلي (تييرس واراغو) استهجانهما لفكرة السكك الحديدية وعلى المجمع العلمي البريطاني تكذيبه للدورة الدموية ، وعلى كل المجامع العلمية تكذيبها بالتنويم المغناطيسي الخ الخ أليس فى تاريخ الجمود العلمي مزدجر لكل متهور يخيل اليه ان مساتير الوجود انحصرت في بضعة القشور العلمية التي حصلها له هذا العقل الناقص ؟

ان هذه المباحث النفسية كما مرت من ادق الاختبارات العلمية الفردية ، مرت كذلك من تمحيصات اكبر مجمع علمي اجتمع خصيصاً لفحصها وتقديم تقرير عنها .

وذلك انه تقدم طلب من جم غفير من الانجليز سنة (١٨٦٩) حيث كثر اللغط بهذه المسائل الى الجمعية الجدلية العلمية بانجلترة لاعطاء الرأي العام البريطاني رأيا حاسما فيها فانتدب هذا المجمع ثلاثين من أعضائه لفحصها فحصا علميا وتقديم تقرير تفصيلي عنها . وقد صدعت هذه اللجنة بالأمر ، وكان من أعضائها السير وليم كروكس من اكبر علماء الانجليز ، والمستر الفريد روسل ولاس مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعي ، وقوانين النشوء والارتقاء وهو بمعزل عن دارون فنسب المذهب الى الثاني بسبب سبقه اليه بشهادة بعض من اطلعهم دارون عليه . وقد وقع هذا التقرير فى اكثر من خمس مئة صفحة ونشر في البلاد الانجليزية وترجم الي كثير من اللغات ، ونحن ننقل من الطبعة الفرنسية التي بين أيدينا فقرات من خلاصته وهي .

« كل هذه الاجتماعات عقدت في البيوت الخاصة بالاعضاء لنفي كل احتمال في إعداد آلات لاحداث هذه الظواهر أو أية وسيلة من أي نوع كان .

« وقد عملنا تجاربنا في ضوء الغاز ما عدا عدداً قليلاً منها اقتضى شأنه الخاص ان نعمله في الظلام دقائق معدودة .

« وقد تحاشت اللجنة أن تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهنة في الخارج أو الذين يأخذون أجراً على عملهم هذا . فكان واسطتنا الوحيد احد اعضاء اللجنة (تأمل في أنه لم يكن معهم وسيط مأجور) وهو شخص جليل الاعتبار في الهيئة الاجتماعية وحاصل على صفة النزاهة المطلقة وليس له غرض مالي يرمي اليه ولا أي مصلحة في غش اللجنة .

« كل تجربة من التجارب التي عملناها بما امكن لمجموع عقولنا ان تتخيله عملت بصبر وثبات . وقد دبرت هذه التجارب في أحوال كثيرة الاختلاف واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لاجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا وابعاد كل احتمال لغش أو توهم .

« وقد بدأ نحو أربعة اخماس اللجنة التجارب وهم في أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر (تأمل) وكانوا مقتنعين أشد اقتناع بأنها نتيجة التدليس أو التوهم أو انها حادثة بحركة غير ارادية للعضلات . ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المنكرون اشد الانكار عن فروضهم السابقة الا بعد ظهورها بوضوح لا يمكن مقاومته وفي شروط تنفي كل فرض من الفروض السابقة و بعد تجارب وامتحانات مدققة ومكررة ، اقتنعوا مضطرين بأن هذه المشاهدات التي حدثت في خلال هذا البحث الطويل هي مشاهدات حقة لا غبار عليها » الخ .

نقول فهل هذا الرأي العلمي الناضج الذي هو نتيجة تجارب ثلاثين من اكبر علماء الارض في مدى ثمانية عشر شهرا بغير وسيط مأجور ، ولا تأثير من أي نوع كان ، يتأتى دحضه بكتابة مقالة يكتبها رجل مهما كانت منزلته لم يكلف نفسه تجربة هذه المسائل والتورط في مآزقها ؟

اذا جوّز العقل ان ينخدع بحيل المدلسين عالم أو عالمان أو عشرون عالما درسوا هذه المسألة على انفرادٍ فهل يجوّز أن ينخدع بها مئات منهم فحصوها في كل بلد . وان ينخدع

كذلك الوف مؤلفة من أطبــاء ومهندسين وأصوليين وماليين وصحفيين ومؤلفين ممن خبروا أحابيل الخلق وعرفوا دخائلهم في مدي سبعين سنة وفي كل صقع من أصقاع الارض ؟

وهل يعقل ان ينخدع بها ثلاثون عالما من اكابر علماء الانجليز ندبوا خصيصاً لفحصها وهم في أشد درجات الانــكار لها ، فبحثوها بغير وسيط مأجور في مدي ثمانية عشر شهرا واتخذوا لتمحيصها ما امكن لعقولهم الراقية من الوسائل والتدابير ؟

ماذا يريد الناس اكثر من هذا الضمان على صحة مشاهدة من المشاهدات ؟

ان هذه الخوارق الروحية هي المسئلة الوحيدة التي لا يقبل أن يأخذ بها آخذ الا بعد ان يراها بعيني رأسه . ولو رآها الناس اجمعون الا واحداً منهم لظل ذلك الواحد منكرا لها حتى يراها . وهذا التنويم المغناطيسي الذي كافح العلماء الجامدين مئة سنة ثم تغلب عليهم وصار يدرس اليوم في جامعات الطب الـكبري ، لا يزال في الناس من ينكره ولا يأبه به ، فما قولك في الخوارق الروحية التى لا تعد عجائب التنويم المغناطيسي بجانبها شيأ يذكر ؟

ألا إن هذا الجمود العلمي الذي يعتبره البعض من قوة العقل ومن الألمعية هو شر ما مُني به هذا الانسان المسكين ، ولا ندري متي يخلص من كابوسه ليسرع في ترقيه الى الغايات البعيدة التي اعد لبلوغها مدفوعا بالقوي العلوية التى مُتع بها دون غيره من الـكائنات الحية .

نحن نكره بل نري من الشؤم عليه ان يجرى وراء كل ناعق بخرافة ، ولـكننا نربأ به ان ينكر ما يؤتى به حاصلا على كل الضمانات العلمية مما بحث على أدق الاساليب التجريبية ومُررت عليه أشد الاصول التمحيصية .

قال العلامة (جان فينو) مدير المجلة العالمية في بحث جليل نشره في مجلته في ثلاثة أجزاء متوالية من دسمبر سنة ١٩٢٠ الى ١٥ يناير سنة ١٩٢١ تحت عنوان (فتح على الروح خالدة) مشيرا الي هذه المسائل الروحيه قال :

« يكفي الانسان ان يلقي نظرة على الشواهد التى لا يحصي لها عدد مما قد درس

بعنايات مضاعفة ، ومراقبات شديدة الغاية ونشر في مطبوعات الجمعية الجدلية بلوندرة ليحني اجلالا لهذه الحقيقة الجديدة ».

وقال بعد ذلك :

« فالمنكرون حتى اعصامهم قيادا لا يستطيعون ان ينكروا وهم مخلصون في انكارهم انه توجد قوة نفسية تحدث ظواهر خارقة للعادة يزداد عددها يوماً بعد يوم ولا يمكن النزاع في صحتها » انتهى .

وقال المستر (مكايب) في مقالته:

« أشرت آنفاً الى ماقاله مناظري من انه يستطيع ان يذكر أسماء خمسين من الاساتذة في معاهد العلم الكبري الذين فحصوا مظاهر مناجاة الارواح وابتوها . فاني أطلب منه ان يذكر لي عشرة فقط »

نقول ان المستر مكايب عرّض نفسه لخصمه تعريضاً غريباً فان مناظره لا يستطيع ان يذكر له اسماء خمسين فقط بل خمس مئة واني احيل القاريء الى ما نقلته عن رجال العلم في هذا الكتاب ولينظر اين يقع تحدّي المستر مكايب من هذا الباب .

ثم اخذ المستر مكايب يناقش في حادثة طيران الوسيط (هوم) التي شهدها الاول كروفورد واللورد ادر والكبتن ون محاولا اثبات ان الوسيط المذكور خدع هؤلاء الثلاثة الرجال رغما عن تأكيدهم ذلك وعن قول أحدهم وهو الكبتن ون : (اني احلف ان هوم خرج من شباك ودخل من آخر) ، وأخذ يعيب على الدكتور كونان دويل قوله ان صحة هذه الحادثة أثبت من صحة الحوادث القديمة التي اتفق الناس كلهم على تصديقها .

وانا أعيب على المستر مكايب جرأته على رمي ثلاثة شهود من درجة الرجال الذين ذكرناهم بالانخداع في حادثة عيانية من هذا القبيل ، لان هذا الضرب من الازراء بعقول الناس وخصوصا من الطبقة المذكورة يطمس اعلام كل حقيقة ، ولا أدري وهو كاتب ديني كيف يجمع بين هذا الافراط في التشكك وبين ايمانه بالتاريخ الديني الذي يكتب فيه .

ثم اخذ المستر مكايب يطعن في ادلة كتابي السير اوليفر لودج والدكتور ارثر كونان دويل وهو يعلم انهما ليسا بالركنين اللذين تأسس عليهما المذهب الروحانى . ولو كان هذا المذهب قائماً على كتابين لفردين لما قامت لهقائمة فى العالم ، ولحكم عليهما بالجنون المطبق في هذا العصر الحافل بأعلام الماديين .

والحقيقة ان هذا المذهب قام على تجارب اجراها مئات من العلماء والوف من الاذكياء في مدي جيلين متواليين ، وكان من أهم أركانه (اولا) قرار لجنة الجمعية الجدلية الانجليزية التى تألفت من ثلاثين عالما طبيعياً ودرست هذه الخوارق الروحية فى مدى ثمانية عشر شهرا و بدون وسيط مأجور فى بيوت اعضائها . و (ثانيا) مجاميع جمعية المباحث النفسية التى ألفها علماء انجلترة من منذ سنة ١٨٨٢ ولا تزال قائمة للآن وقد جمعت من تجاربها اكثر من اربعين مجلدا ليس فيها حادثة واحدة غير ممحصة على الاسلوب العلمي الدقيق .

على هذه الاركان القوية قام المذهب الروحاني وانتشر هذا الانتشار البعيد المدى ، فهل يمكن ان يهدم كل هذه المجهودات العملية التجريبية مقالات كلامية ، وتشكيكات لفظية من اناس اراحوا انفسهم من حيث تعب العاملون ؟ فلو كان العالم يتبع في سيره امثال هؤلاء الذين جعلوا حظهم من العلم التشكيك فى كل جديد ، ورمى العاملين عليه بالبله والانخداع ، لما مُدت الخطوط الحديدية ، ولا الاسلاك البحرية ، ولا اكتشفت الكهربائية ، ولا عُد الاوكسيجين في المواد الكيماوية ، ولا عرفت الدورة الدموية الي ما اليه مما لا يمكن حصره . ولكن الانسانية تصغي قليلا لهؤلاء المشككين ، ثم تلفظهم الى عالم الجامدين ، وتجري خلف العاملين الي ما اعدها من الغايات البعيدة .

* * *

هنا يجب علينا أن نلفت نظر القارئين الى امر جدير بالتنبيه اليه وهو :

ان الباحثين في الخوارق الروحية قسمان : قسم السواد الاعظم ، وقسم العلماء . فاما الاولون فيطيرون وراء كل ظاهرة روحية و ينسبونها الى أرواح الموتى فيدعون أنهم

خاطبوا روح ارسطاليس وابن رشد وشوبنهور ونابليون ، و يعنون بنقل هذا الكلام ونشره ، وقد اتخذوا هذه المباحث دينا لهم لايفترق عن الاديان الاخري في شيء

وأما قسم العلماء فقد بحثوا في هذه الخوارق عقب شيوعها وانتشار القول بها ولهم غرض واحد وهو التدليل ببراهين محسوسة على انها من الغش والتدليس ، لانهم كانوا كلهم ماديين لايتخيلون وجود عالم وراء المادة ، ولا قوة غير قوتها الذاتية. فتبين لهم بعد امعان النظر في تلك الخوارق انها لاتعلل بالخداع ، ورأوا انهم حيال قوي مجهولة يجب الاعتداد بها ، والعناية بكشف اللثام عن وجهها .

فأخذوا يعللونها بالعلل المادية في حيز النواميس المعروفة مع الامعان فى دراستها، فكانت تستعصى على تلك العلل ، وتظهر لها وجوه اخري لا يمكن تعليلها بقوي المادة، ولا بقوة الانسان العصبية ، ولا بالقوة التى سموها بالنفسية ، وقد درسنا هذه التعليلات في الفصل الخاص بها من هذا الكتاب ، و بينا وجوه استعصاء هذه الخوارق عليها ، حتي انتهي بهم الأمر الى القول بأنها تتعلق بقوة عاقلة غير قوي الحاضرين، لها قدرة على التكلم باللغات التى يجهلها جميع المجربين ، وعلى الاتيان بما يعجزن عنه من الاعمال منفردين ومجتمعين ، وعلى التجسد والظهور امام عينهم في مثل اجساد لآدميين ، مدعية بأنها أرواح المتوفين .

فوجد أولئك الباحثون أنفسهم حيال أمر محسوس لا يمكن الشك فيه ، تدركه مشاعرهم وتسجله آلاتهم وتتأثر بمشهده حتي الحيوانات التى تكون معهم. فرأوا أن تكذيب المحسوسات ضرب من الجنون ، فسلموا بوجود عالم روحاني بعيد الغور فيه عوالم حية حياة عقلية عالية، وقادرة على مالا يقدر عليه الاحياء المتجسدون.

ولكنهم رغماً عن تأكيد تلك الكائنات العاقلة بأنها أرواح الموتى ، واقامتها ادلة كثيرة علي صحة ماتقول ، كتكلمها بلهجاتهم ، واستخدامها تعبيراتهم، و كتابتها بخطوطهم ، وتوقيعها بتوقيعاتهم ، لم تسمح لهم حيطتهم بالتسليم لها بما تدعيه ،لان كل هذه الامور مرجحات لا ادلة علمية مطلقة ، فتوقف جمهورهم عن القول بأنها أرواح الموتي وذهب كثيرمنهم الى القول بأنها روح الوسيط نفسه، (وفي هذا ربح نسبي للمذهب الروحاني

لان هؤلاء ماكانوا يقولون بوجود روح على الاطلاق) ومال غيرهم الى القول بأنها أرواح مجردة موجودة فى العالم ولكنها غير ارواح الآدميين ، وسلم جماعة منهم على رأسهم العلامة (الفردروسل ولاس) الطبيعى الانجليزي الكبير بأنها أرواح المتوفين .واستدل على ذلك بالمرجحات التي ذكرناها وزاد عليها قوله انها لو كانت من عالم غير العالم الانساني لذكرت ذلك ولو لبعض الباحثين، ولما أجمعت في كل بلد على القول بأنها ارواح الميتين .

فاذا ذكرنا نحن الاسبرتسم اوالمذهب الروحاني اوالمباحث النفسية فلا نعني الا المباحث العلمية المجردة عن كل صيغة مذهبية ، والموافقة للخطة العلمية الرسمية ، أي اننا لا نجزم بأنها أرواح الموتي ، بل نرجح ذلك فقط ، ولا نعبأ بأي تجربة لا تأتينا على الاسلوب العلمي الدقيق .

هذا هو موقفنا وموقف كل متثبت ،فلسنا نذهب بأدعاء الالمية الى ابعد مايؤدي اليه الجمود ، كما يفعل المتحذلقون ، ولا ننزل من دركات الغفلة الي حضيض نأخذ فيه بكل مايقال من هذا القبيل كما يفعل الساذجون .

ومع هذا التوقف والتثبت فانا نعلن علي رؤس الاشهاد بأن العلم التجريبي قد اكتشف العالم الروحاني بأسلوبه العملى المحسوس ، وشرع يدرسه على طريقته في درس عالم المادة ، وهذا عهد للبشرية لم يكن يخطر ببال اجرأ الخياليين ، انتقلت به من دور الايمان بالغيب الي دور الايمان عن مشاهدة ، ولا تسل عما سيبتني على ذلك من القضاء على مابقى في الانسان من الميول الحيوانية ، والرعونات البهيمة ، وماسيقوم عليه من الاصول الخلقية ، والكمالات الروحية في مستقبل ليس ببعيد ، فاذا كان الانسان كلف بالبحث عن السعادة من يوم وجوده على ظهر الارض فأعجزه وجدانها في شيء من اشيائها ، فسوف يجدها في هذا الفتح العظيم ، وسوف يجد فيه ما يحقرها في نظره إزاء سعادة أخرى ماكان يتخيلها فى عهده القديم .

فهرست الكتاب

صفحة

صفحه

صفحه

(مقالة المقتطف)

(نشر المقتطف في جزئه الصادر في دسمبر سنة ١٩١٥ ما يأتي)

(البحث الفلسفي الحديث)

من يطالع ما ينشر الآن من الكتب والمقالات الفلسفية يجد ان اصحابها مالو عن الطريقة العلمية الي الطريقة الروحية . والفلسفة تشمل مواضيع مختلفة تتفق كلها في صعوبة ادراكها فمنها ماتحققت قضاياه حتي صار يحق له ان يحسب بين العلوم الطبيعية ومنها ما ابانت المعارف الحديثة انه من باب الاوهام والخرافات . ومما يدعو الى الأسف ان اكثر اهتمام الناس كان موجهاً في السنوات الاخيرة الي هذا القسم من الفلسفة كما يظهر مما نشرناه من أقوال السر اوليفر لدج واضرابه من المعتقدين مناجاة الارواح والتلبثي وما اشبه

ولقد كانت الفلسفة دائماً في عراك بين الذين يحكمون العقل والذين يحكمون العواطف . فان الانسان مفطور شديد الاميال والرغائب فاذا لم يثقف عقله التثقيف الكافي حسب رغائبه حقائق . يرغب في امر فيعتقد انه حقيقة مقررة حتى اذا ابنت له خطأه رماك بالكفر او بسوء العقيدة أو قال انك مادي لاتؤمن بشيء روحي . ولقد اثارت هذه الحرب رغبات شديدة رغبات لايلام من ظهرت في نفسه وتملكتها . وهل تلام من كان ابنها فلذة كبدها فى ميادين القتال اذ رغبت في التكلم معه أو في مناجاة روحه وقلما تعلم انه اسلم الروح . لا تلام ولكن رغبتها هذه تقوي عواطفها فتتغلب على احكام عقلها . اما العلم ففرضه اظهار الحقائق كما هي وعلى رجال العلم ان يرشدوا العامة حتى لايصدقوا شيئاً لمجرد رغبتهم فيه أو لانه يطابق اميالهم . لكن المعتقدين بمناجاة الارواح غرضهم الاول اهمال العقل وإرضاء العواطف

من الكتب الحديثة التي أُلفت في هذا الموضوع كتاب الدكتور مرسير خطأ فيه السر اوليفر لدج وبيّن انهُ على ضلال مبين على ماقالهُ هيو اليوت في مجلة « تقدم العلم » الانكليزية . ولم نطلع على هذا الكتاب حتى الآن ولكننا نرجح ان تخطئة المؤلف للسر اوليفر لدج جاءت مطابقة لتخطئتنا لهُ في كل مانشرهُ في المواضيع النفسية سواء كان في كتابه خلود الانسان او كتابهِ عن ابنهِ ريمند . والدكتور مرسير من اشهر اطباء الامراض العقلية في هذا العصر وهو طبيب بيمارستان تشرنج كروس ببلاد الانكليز وقد قال قولاً يثقل وقعهُ على المعتقدين بمناجاة الارواح والتليبثي وهو ان الاشتغال بهما يؤدي الى اختلال العقل ويعرّض اصحابهُ للجنون . واستشهد لتأييد قولهِ بالدكتور روبرتصن مدير البيمارستان الملكي بادنبرج . وهذا يؤيد ماقلناهُ في مقتطف مارس سنة ١٩٠٦ وهو « ان الذين يصدقون مناجاة الارواح ويمارسونها تضعف قواهم العصبية رويداً رويداً وينتهي أمرهم الى الجنون » . والظاهر ان الذين فيهم ضعف خلقي ميالون الى تصديق السبرتزم ومناجاة الارواح وما كان من هذا القبيل

ومن الكتب الفلسفية الحديثة رسالة في الخلود لجماعة من الكتّاب قال فيها هيو اليوت انها تدل على ان كتّابها يعتقدون بأن الحجاب الفاصل بين الدنيا والاخرى يمكن هتكه وان آراءهم مطابقة لرغائبهم . ولكنهُ رجح ان القارىء الذي يقرأ رسائلهم وهو غير معتقد اعتقادهم لايقنعه ما فيها من الادلة . وألّف آخر كتاباً في التليبثي صحيحها وفاسدها اظهر فيهِ اسباب الفاسد منها اما الصحيح فلم يظهر اسباب صحتهِ ولعلهُ رآهُ صحيحاً لأنهُ يميل الى تصديق الاوهام فلم يبحث عن اسبابهِ البحث الكافي

هذا ونعيد ماذكرناهُ مراراً وهو ان الذين يدعون صحة مناجاة الارواح والتليبثي ويعملون بهما لايلزم ان يكونوا كلهم خادعين ولا ان يكونوا مخدوعين من غيرهم بل يغلب ان يكون كثيرون منهم مخدوعين من تلقاء انفسهم اي ان ميالهم

تتسلط على عقولهم فى هـذه المسائل مع أنهم في غـيرها يكونون من اذكي الناس عقـلا واكثرهم بحثاً وتدقيقاً ومن هـذا القبيل السر اوليفر لدج . ونحن نعرف رجـلاً كان من امهر الناس في العلوم الرياضية وحـل غوامضها وتطبيقها ولـكنه كان مع ذلك يصدق من الاوهام مالا يصدقهُ العامي

***

(نشر المقتطف هذه الكلمة فرددنا عليها في المقتطف نفسه بهذه المقالة الآتية) .

المباحث النفسية

والفلسفة المـادية

قرأت في مقتطف الشهر الماضي (دسمبر سنة ١٩١٨) مقـالا تحت عنوان (البحث الفلسفي الحديث) فرأيت ان ابدي ملاحظات عنت لي فيـهِ رجاء تجلية الحقائق العلمية التي تنشدونها

جاء في ذلك الفصل ان ما ينشر الآن من الـكتب والمقالات الفلسفية قد ميل بهِ عن الطريقة (العلمية) الى الطريقة (الروحية) وان اكثر اهتمام الناس كان موجهاً في السنوات الاخيرة الى هذا القسم من الفلسفه

هـذا كلام صريح بان الميل العام اخذ يتجه غير الوجهة المادية في المبـاحث الفلسفية . وهو حادث جلل في تاريخ الفلسفة الاوربيـة لايصح ان يهمل امرؤ او ان يغفل تعليلاً بنظرة عجلي، فان أوربا التي بلغت اشدها في المباحث المادية، وذاقت ثمار جهادها فيها عدة قرون، لاتظهر فيها مثل هذه الحركة اعتباطاً بل لابد لذلك من علل جديرة بامعان النظر .

ثم جاء في تلك المقالة ان « المعتقدين بمناجاة الارواح غرضهـم الاول اهمال العقل وارضاء العواطف »

وهو كلام يدل بصراحة على ان الباحثين في مسألة الروح ممخرقون يجافون الاسلوب العلمي الدقيق في ابحاثهم ولا يتوخون الا مشايعة ميولهم

ثم جاء في ذلك المقال ان الذين يصدقون مناجاة الارواح تضعف قواهم العصبية رويداً رويداً وينتهي أمرهم الى الجنون

ثم ذكر الكاتب لتلك المجالة ان الباحثين في هذه المسائل لا يلزم ان يكونوا كلهم خادعين أو مخدوعين ، بل يغلب ان يكون كثير منهم مخدوعين من تلقاء أنفسهم، أي ان أميالهم تتسلط على عقولهم مع انهم في غيرها يكونون من اذكي الناس عقلاً ، واكثرهم بحثاً وتدقيقاً ، ومن هذا القبيل السر اوليفر لدج . ثم قال ونحن نعرف رجلاً كان من امهر الناس في العلوم الرياضية وحل غوامضها وتطبيقها ولكنه كان مع ذلك يصدق من الاوهام بما لا يصدقه العامي

وهذا القول صريح الدلالة في ان جميع الباحثين في هذه المسألة لا يؤبه باقوالهم وان السر اوليفر لدج وذلك الرياضي الجليل يكادان يكونان العالمين الوحيدين الذين يشاركان دهماء الروحيين في وساوسهم

وبما اني من المتتبعين لحركة المباحث النفسية في اوربا وامريكا وقرأت اجل ما كتب فيها بلغة الباحثين أنفسهم، رأيت ان اوافي المقتطف ببحث وجيز في هذا الموضوع تجلية للحقيقة واعداً بالعود الي مثله كلما سنحت لي فرصة . واني ما وقفت سنين كثيرة من حياتي العلمية لاستقصاء هذه المباحث الا لانها حادث جلل في تاريخ العلم العصري سيكون من أثره تعديل مزاج الفلسفة العصرية وتكميل بناء المدركات البشرية على المادة والروح معا

كيف نشأت المباحث النفسية

حدث في سنة ١٨٤٨ في قرية هيدسفيل من ولاية نيو يورك بأمريكا ان أسرة رجل اسمه جون فوكس ازعجتها طرقات كانت تحدث في البيت الذي تسكنه فتجارأت مدام فوكس ذات يوم وسألت ذلك الفاعل المستتر قائلة هل

انت روح ؟ واتفقت معـه على ان يكون علامـة الايجاب طرقتين وعلامة السلب طرقة واحـدة . فأجابهـا بطرقتين . ثم ما زالت تسألهُ وهو يجيب بواسـطة الطرق حتى علمت منهُ انهُ روح ساكن كان بهذا البيت قتلهُ جار لهُ ودفنهُ فيـهِ ثم سلبه ما لهُ ولم تهتد الحـكومـة اليهِ . فأسرعت مـدام فوكس بانذار البوليس والنيـابة فحضر رجالها وأخـذوا كل حيطة وتسمعوا للطرقات علي طريقة صاحبـة البيت وفهموا منها مافهمته . فعمدوا الى الحفر في المـكان الذي دلت عليهِ الروح فوجدوا جثة القتيل وكان من أثر ذلك اهتداؤهم الى القاتل.

هدأت روح القتيل ولـكنها ظلت تزور بنتي المستر جون فوكس حتي أنستا بها وحضرت ارواح اخري ادعت انهـا ارواح موتي آخرين وتحسنت طريقة التفاهم بينهما وبين هذه الـكائنات فجملت على هذه الطريقة وهي: ان تقرأ واحـدة منهما الحروف الهجائية فتطرق الروح عنـد الحرف المراد كتابتهُ طرقة فتكتب الاخري ذلك الحرف ثم تعيد الاولى سرد الحروف فتطرق الروح عند الحرف المراد كتابته طرقة ثانية وهلمَّ جرًّا . ثم تجمع تلك الحروف وتقرأ

فجاءت تلك الروح ذات يوم ورجت الاختين ان يعلنا بأنهمامستعدتان لاشهاد الناس خوارق تثبت لهم وجود لارواح في اكبر مـكان للمحاضرات في نيو يورك . فأبت البنتان ذلك اشـد اباء خشية من سوءِ القالة واتهامهما بالشعوذة . فاجابتهما الروح بانها تصر على ذلك لانها تريد ان تنتهز هذه الفرصة فتثبت للناس صحةخلود النفس قائلة انها ما تجشمت الاستئناس بهما الي هذا الحد الا لهذه الغاية . فاصرت البنتان على الاباء والامتناع . فانذرتهما الروح بأنهما ان بقيتا على اصرارهما ذهبت ولم تعد . فلما استمر اصرارهما ذهبت كما قالت ولم تعد البنتان تسمعان شيئاً . فحـدث لهما من جراء ذلك كدر عظيم لانهما كانتا قد انستا بتلك الروح وجعلتا التكلم معها من اكبر المسليات لهما . فلم يسعهما أخـيراً الاَّ القبول ولـكنهما شرطتا ان يكون العمل في الصالونات الـكبيرة لبعض البيوت ثم تتدرجان من ذلك الي قاعة المحاضرات الـكبري . فأخـذ البنتان تحضران في بعض تلك الصالونات امام جمهور من العلماء

والمفكرين فحدث خوارق عديدة رغماً عن كل ما يتخذ من التحوطات . ثم اعلنتا التحضير في قاعة المحاضرات الكبرى فشهد هذه الخوارق جم غفير من الناس وكثر التحدث بها في كل ناد

فكان القاضي ادموندس رئيس مجلس الاعيان بأمريكا من أسرع الناس الي بحث هذه الخوارق، فاعتقد صحتها وكتب فيها بحثاً مستفيضاً، فحملت عليه الجرائد حملات عنيفة، ففضل ان يستقيل ويخدم الحقيقة على ان يبقي في وظيفته مقيداً بتقاليدها فكان من اكبر العاملين على نشر هذه المباحث

ثم تلاهُ الاستاذ (مابس) معلم علم الكيمياء بالمجمع العلمي فانتهى امرهُ بتصديقها ونشر مباحثهُ على رؤوس الاشهاد

فحذا حذوهُ العلامة روبيرت هير واطال البحث والتنقيب فظهر لهُ صدق نظر صاحبيهِ فوضع كتابا جليلا أسماهُ (الابحاث التجريبية على الظواهر النفسية)

فكان من أثر هذه الكتابات فيهِ ان نشبت حرب قلمية بين الباحثين فلم يبقَ عالم ولا كاتب فى الولايات المتحدة الاَّ خاض غمارها وانتقلت الحركة الى انجلترا فانتدب العلامة الكيماوي الكبير وليم كروكس لبحثها مع بعض الوسطاء الانجليز فاتضح لهُ انهُ حيال قوي كبيرة من قوي النفس كانت مجهولة فكتب في ذلك كتابا دعاهُ (مباحث على الظواهر النفسية قال) فيهِ :

« بما اني متحقق من صحة هذه الحوادث فمن الجبن الادبي ان ارفض شهادتي لها بحجة ان كتاباتي قد استهزأ بها المنتقدون وغيرهم ممن لايعلمون شيئا في هذا الشأن ولا يستطيعون بما علق بهم من الاوهام ان يحكموا عليها بأنفسهم . اما انا فسأسرد بغاية الصراحة ما رأيتهُ بعيني وحققتهُ بالتجارب المتكررة » .

ولما تولى هذا العالم رياسة الجمعية الملكية أشار في خطابة الرياسة الي المسائل النفسية وقال انه مضى عليهِ في بحثها ٣٥ سنة وان معارفهُ قد زادت فيها وانهُ سينشر عنها كتابا جديداً وقد نقل المقتطف عنهُ هذه الخطبة

وكان من السابقين الى بحث هذه المسئلة العلامة الكبير الفرد روسل واللاس

مكتشف مذهب النشوء والارتقاء هو وداروين في وقت واحد فوضع فيها كتابين جليلين يسمي احدهما (خوارق العصر الحاضر) ويدعى الثاني (الدفاع عن الاسبرتزم) وقد قال في الاول مانصهُ :

« لقد كنت ملحداً بحتا مقتنعا بمذهبي تمام الاقتناع ولم يكن في ذهني محل للتصديق بحياة روحية ولا بوجود عامل في هذا الكون كله غير المادة وقوتها ولكني رأيت ان المشاهدات الحسية لا تغالب ، فانها قهرتني واجبرتني على اعتبارها حقائق مثبتة قبل ان اعتقد نسبتها الي الارواح بمدة طويلة . ثم أخذت هذه المشاهدات مكانا من عقلي شيئاً فشيئاً ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصويرية ولكن بتأثير المشاهدات التى كان يتلو بعضها بعضاً على صورة لا يمكن تعليلها بوسيلة أخرى »

وممن عني ببحثها من كبار العلماء العلامة الايطالي الكبير (سيزار لومبروزو) مكتشف علم الجرائم فانه بعد ان رمي المصدقين بها بالجنون وكتب عنهم فصولا انتقادية في مؤلفاته عاد فبحث هذه الخوارق مع العلامتين كاميل فلا مريون الفلكي المشهور والاستاذ شارل ريشيه العضو بالمجمع العلمي الفرنسي ومدير الجريدة العلمية والمدرس بجامعة الطب البارزية وألف فى ذلك كتاباً قال في مقدمته

«لم يكن أحد أشد مني عداء للاسبرتزم بحكم تربيتي العلمية وميولي النفسية» وكنت أعتبر من البديهيات العلمية ان كل قوة ليست الا خاصة من الخواص المادية وان كل فكر وظيفة من الوظائف الحية . وكنت أهزأ دائماً من الاخونة المتكلمة . ولكن غرامي باظهار الحقيقة وتجلية الحوادث المشاهدة قد تغلب على عقيدتي العلمية .

ومن كبار العلماء الذين درسوا هذه المسألة درساً مدققا الاستاذ هودسون والاستاذ ميرس المدرسان بجامعة كمبرج وستتون موزس المدرس بجامعة اكسفورد والسيرجون كوكس المشترع المشهور والاستاذ باركس الجيولوجي والمستر غلادستون والمستر بالفور وزير الخارجية لانجليزية الحاضرة والعلماء سيدجويك و بودمور و باريت وغارني وكلهم من الانجليز

أما من العلماء الفرنسيين فنذكر شارل ريشيه وكاميل فلامريون المتقدم ذكرهما والدكتورين ماكسويل وبيير جانيه والرياضي الكبير مدير مدرسة الهندسة الفرنسية البيردوروشاس والدكتور بارادوك

ومن الالمان العلماء زولنر الفلكي وفيشنر وويبر والتريسى

ومن الامريكان شارل وليم اليوت رئيس جامعة هارفارد ووليم جيمس استاذ علم النفس بجامعة هارفارد وهيزلوب استاذ العلوم العقلية بجامعة كولومبيا ووليم ليو بولد استاذ الفلسفة بجامعة بنسلفانيا

كل من ذكرناهم من أقطاب العلم الرسمي وكانوا ماديين لا يعتقدون بشيء غير المادة وكتبهم بين ايدينا ولو شئنا لملأنا من أسماء أمثالهم صحفا عديدة وانما اكتفينا بهذا القدر للادلال على عظم خطر هذه المباحث الجديدة. ولم يحصل لواحد منهم جنون وقد مضى على بعضهم في البحث اكثر من نصف قرن وجميعهم شاغلون لمناصبهم العالية من مجتمعاتهم

قال الفيلسوف جان فينو مدير مجلة المجلات الفرنسية في مجلته (عند ذكر هذه المباحث في مجلد سنة ١٨٩٥ وبعد سرده عدداً من العلماء المشتغلين بها) :

« لا يصح ان يفرض ان هؤلاء الرجال يستخدمون الغش والتدليس لانجاح الخرافات التي حطت كثيراً من العظمة الروحية . كما انه من الصعب ان نتهم هؤلاء العلماء بالسذاجة فان دقتهم الشديدة في التجارب العلمية هي اشهر من ان تذكر »

وقال الاستاذ (بينيه) في كتابه (تحولات الشخصية) في صحيفة (٢٩٨) بعد ذكره بعض التجارب الروحية .

« وهذه البراهين كافية لان يتمكن مذهب كالاسبرتزم من ادهاش الناس اجمعين وكسب الوف مؤلفة من المصدقين »

وقال العلامة البسيكولوجي الشهير (بيير جانيه) في كتابه (الحركة النفسية الذاتية) صحيفة (٣٧٦) وما بعدها :

« المذهب الذي اوجزنا الكلام عنه هنا يستحق درسا مدققا ومناقشة اصولية.

وان التشكك والازدراء اللذين يحملان على نكران كل مالايفهم وعلى ترداد كلمتي غش وتدليس دائما وفى كل مكان ليس لهما مكان هنا ولا حيال ظواهر المغناطيس الحيواني . فان الحركة التي دفعت الى تأسيس خمسين جريدة في أوربا وحملت على اعتقادها عدداً عظيما من الناس لايصح ان تعتبر قليلة القيمة »

وقال الاستاذ شارل ريشيه العضو بالمجمع العلمي الفرنسي والمدرس بالجامعة الطبية بباريز في مجموعة العلوم النفسية لسنة (١٨٩٣) صحيفة ٣٤٩ :

« لايمكن ان مثل هذا العدد العظيم من الرجال الممتازين في انجلترا وأمريكا وفرنسا والمانيا وايطاليا يقعون تحت تأثير الانخداع الغليظ الثقيل . فان كل ماوجه اليهم من الاعتراضات قدفكروا فيه وتناقشوا عليه . ولم يزدهم أحد علما كلما عارضهم بمسألة المصادفات الممكنة والتدليس فانهم قد فكروا فيها قبل ان يعارضوا بها حتى اني لا استطيع ان اتوهم ان اعمالهم كانت عقيمة او انهم قد تأملوا وجربوا في اوهام خداعة »

وقال الكاتب الفرنسي المشهور (جبريل دولان) في كتابه (مباحث علي الوساطة) :

« اننا نعتقد انه متى اكد رجال من درجة روبيرت هار وماليني والقاضي ادمون بأمريكا وكروكس وولاس ولودج بانجلترا واكزاكوف وبوترلوف في روسيا وفيشنر وزولنر في المانيا وجينيه بفرنسا — قلنا متى اكد رجال من هذه الدرجة ومعهم عدة الوف من المجربين أنهم شاهدوا الحوادث المذكورة آنفاً وانهم راقبوها بعناية فاننا نعتقد ان لهذه المشاهدات وجوداً حقيقيًا وانها دخلت من ذاك الحين الي المجال العلمي »

(ايهمل الباحثون فى هذه المسئلة العقل)

(ليرضوا العواطف)

اكثر العلماء الذين بحثوا في هذه المسئلة لم يدفعهم اليها الاَّ حب فضح اسنار المشعوذين فاستخدموا لذلك ادق الاساليب العلمية والآلات الكشفية فانهي

أمرهم باعتقاد سلامتها من كل تدليس

ولما شاع ذكر هذه المباحث في انجلترا ثارت لها الخواطر وخشى المتنورون من عودة دولة الاوهام البائدة الى العلم والفلسفة فرفع عدة الوف منهم طلباً الى الجمعية الملكية لتبدي للامة رأيها في هذه المسئلة . فاهتمت تلك الجمعية بالامر وعينت لفحصها لجنة مؤلفة من ثلاثين عالماً منهم روسل ولاس ووليم كروكس وتندل واللورد افبرى وهكسلي فقامت هذه اللجنة بما عهد اليها في ثمانية عشر شهراً وعقدت للبحث والتجربة أربعين جلسة ورفعت عن ذلك تقريرا مطولا وقع في مجلد ضخم ترجم الى أكثر اللغات جاء منهُ ما يأتي :

« عقدت هذه اللجنة اجتماعاتها في البيوت الخاصة بالاعضاء لاجل نفي كل احتمال في اعداد آلات لاحداث هذه الظواهر أو اية وسيلة من أي نوع كانت

« وقد تحاشت اللجنة ان تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهنة أو الذين يأخذون اجراً على عملهم هذا لان واسطتنا كان احد اعضاء اللجنة وهو شخص جليل الاعتبار في الهيئة الاجتماعية وحاصل على صفة النزاهة المطلقة وليس لهُ من غرض مالى يرمي اليه ولا أي مصلحة في غش اللجنة

« كل تجربة من التجارب التي عملناها بما امكن لمجموع عقولنا ان تتخيلهُ من التحوطات عملت بصبر وثبات . وقد دبرت هذه التجارب في احوال كثيرة الاختلاف واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لاجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا وابعاد كل احتمال لغش أو توهم

« وقد اكتفت اللجنة في تقريرها بذكر المشاهدات التي كانت مدركة بالحواس وحقيقتها مستندة الى الدليل القاطع

« وقد بدأ نحو أربعة أخماس اعضاء اللجنة تجاربهم وهم في أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر وكانوا مقتنعين أشد اقتناع بأنها كانت أما نتيجة التدليس أو التوهم أو انها تحدث بحركة غير اعتيادية للعضلات ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المنكرون الغاية عن فروضهم هذه الا بعد ظهور المشاهدات بوضوح لا تمكن مقاومتهُ في شروط

تنفي كل فرض من الفروض السابقة و بعد تجارب وامتحانات مدققة مكررة فاقتنعوا رغما عنهم بأن هذه المشاهـدات التي حدثت في خلال هـذا البحث الطويل هي مشاهدات حقة لاغبار عليها . الخ الخ »

هـذا بعض ماورد في نتيجة ذلك التقرير والقـارىء يري ان خوض ثلاثين عالما انجليزيّـا من أعضاء الجمعية الملـكية في بحث هذه المشاهدات لم يكن الدافع اليه اهمال العقل وارضاء العواطف بل تهـدئة ثورة الخواطر . وهـذا التقرير الذي هو حادث جلل في تاريخ العلم العصري يعتبر فاتحة عهد جديدلتكميل الفلسفة وتحليتها بما تجردت عنه من القسم الروحى تحت تأثير الفلسفة المادية

ومما يجب التنبيه اليه ان جل الذين يكذبون بهذه المباحث لم يقرأوافيها كتابا واحـدا ولم يلموا بتاريخها وأدوارها الى مايسمح لهـم بالحـكم عليها . ومنهم من عمل فيها تجارب ناقصـة أو وقع تحت طائلة بعض المـدلسين وكثير ما هم في كل مجال من مجالات العـلم والعمل فهبوا يصخبون بأن جميـع التجارب تدليس في تدليس .

لو كان الذين يتولون هذه الحركة بعض العامة أو جماعة من كتاب الاقاصيص لما اعرناها أقل التفات ولـكن العاملين فيها هم أعلم علماء الارض وما كنا لنعبأ بهم أيضا لو كان عددهم محصورا في عقد أو عقدين وكنا قلنا كما يجوز الانخداع علي واحد يجوز على عشرة أو عشرين ولكن عددهم قد تجاوز حد الاحصاء فهم يعدون بالالوف ومنتشرون في كل بلد متمدن وكتبهم بين أيدينا مفصلة تجاربهم كل التفصيل مما لا سبيل الي الزراية عليه

ثم لمـاذا يستنكر البعض أمر هـذه المباحث وهل الغرض منهـا الا اثبات شيء أجمع العـالم على القول به قديمـا وحـديثا وهو وجود الروح وخـلودها بعـد الموت ؟

نعم كانت الفلسفة المـادية قد تشككت في هـذه المسئلة وعدتها من بقايا الخرافات السابقة ولـكن ليس في الارض فيلسوف يقول بأن المذهب المـادي قد

وصل الي الدرجة التي ليس وراءها غاية بل هو اليوم وقد انهدم ركن الجوهر الفرد وثبت تحلل المادة واستحالتها الي قوة فقد فقد أساسه الذي كان يعتمد عليه

لقد حاربت الفلسفة المادية التنويم المغناطيسي مئة سنة وعدت المشتغلين به ممخرقين ثم اضطرت لاعتباره فرعا من العلوم الرسمية وهذه الفلسفة عينها اليوم تحارب المباحث النفسية بنفس السلاح الذي حاربت به التنويم المغناطيسي ولكن هيهات فقد خرج الامر من يديها بعد مافقدت سلطانها على العقول بثبوت تحلل المادة وبعد ماشهد الوف من العلماء المحققين بحقية المشاهدات النفسية . فالاولى باشياع تلك الفلسفة العتيقة ان يتلافوا الامر ويوفقوا أصولها على ما فتح الله به على الناس من المباحث الجديدة لان من اخص صفات العلم العصري متابعة طريقه في التقدم لا الجمود على أصول قديمة ثبت بالامتحان انها ضيقة حرجة لاتجمع بين أطراف الحركة العلمية الحاضرة

***

هذا وقد تكونت في لوندره منذ سنة ١٨٨٢ جمعية دعيت باسم جمعية المباحث النفسية جمعت بين اعضائها خيرة علماء الانجليز والفرنسيين والامريكان وكان الغرض من تأسيسها ان تكون وصلة بين العلم الرسمي وهذه المباحث فكان من تأثير هذه الجمعية صبغ المسئلة بصبغة علمية بحتة لتسهيل دخولها الى العلم الرسمي . وسنأتي على اسماء أعضائها ونتيجة تجاربهم في الجزء المقبل من المقتطف ان شاء الله

جمعية المباحث النفسية

في أوروبا وأمريكا

(نشر في المقتطف في جزئه الصادر في فبراير سنة ١٩١٨ ما يأتي)

وعدنا في مقالنا السابق هنا ان نأتي على تفصيل عن الجمعية النفسية التي تألفت في أوربا وأمريكا للبحث عن معالم العالم الروحاني فنوفي اليوم بما وعدنا . وأحسن أسلوب نتبعه في ايراد ما نريده هوان نأتي به بلسان العلماء الاوربيين فنترجم ما كتبوه في مؤلفاتهم عنها .

قال الاستاذ (وليم جيمس) العضو بالمجمع العلمي الفرنسي ومدرس علم النفس بجامعة هارفرد بالولايات المتحدة في كتابه (ارادة الاعتقاد) صحيفة ٣١٣ وما بعدها :

« ان جمعية المباحث النفسية التي يمتد عملها في انجلترة وأمريكا قد سمحت بأن يلتقي العالمان العلمي والروحاني في مجال واحد . واني اعتبر ان هذه الجمعية مهما كانت وظيفتها محدودة سيكون لها نصيب كبير في ترتيب المعارف الانسانية . فلهذا استحسن ان افضي الي القاريء بنتائج أعمالها بايجاز فأقول :

« اذا صدقنا الجرائد وأوهام الصالونات خيل لنا ان الضعف العقلي وسرعة التصديق هما الرباط المعنوي الجامع بين أعضاء هذه الجمعية وان حب العجائب هو الاصل المحرك لها . ومع هذا فيكفي ان نلقي نظرة واحدة على أعضائها لدحض هذه التهمة . فان رئيس هذه الجمعية هو الاستاذ سدجوك sidgwiCk المعروف بأنه أشد الناس شكيمة في النقد وأعصاهم قياداً في الشك بجميع البلاد الانجليزية ووكيلاها المستر ارثر بلفور والاستاذ ج . ب . لنجلي سكرتير المجمع السمشوني .

ويمكن التنويه من أعضائها العاملين بالاستاذ ريشيه الفزيولوجي الفرنسي الخطير . وتشمل قائمة أعضائها رجالاً كثيرين آخرين كفاءتهم العلمية أشهر من نار على علم . فاذا طلب الي ان أعين جريدة علمية تكون مصادر اغلاطها ممحصة بادق الاساليب فاني انوه بمحاضر جمعية المباحث النفسية .فأن الفصول الفزيولوجية التي تنشرها الجرائد الخاصة بهذا العلم لا تبلغ في دقة النقد مبلغ دقة هذه المحاضر المذكورة . حتى ان صرامة الاساليب الكشافة التي طبقت منذ عدة سنين على شهادات بعض الوسطاء كانت بحيث توجد اختلاف الآراء في باطن الجمعية نفسها »

وقال البحاثة الفرنسي المهندس جبريل دولان في كتابه الوساطة صحيفة ٧ :

« قد تأسست في انجلترة منذ سنة ١٨٨٢ جمعية المباحث النفسية فجمعت بين أعضائها رجالاً من أعيان العلم يعتبرون في الطبقة الاولى مثل الطبيعي العظيم وليم كروكس والمؤرخ الطبيعي المشهور الفرد رسل ولس واوليفر لودج وهؤلاء الثلاثة من أعضاء الجمعية العلمية الملكية . وكان منهم أساتذة و بسيكولوجيون (علماء بالنفس) وغيرهم فعملت مباحث مدققة في سنين طويلة اتخذت لها أدق التحوطات لتجنب أسباب الخطأ . و يجد الانسان في المجلدات الثلاثة والعشرين التي نشروها الي هذا اليوم مستندات عديدة خاصة بالتجارب والملاحظات المقتطفة والمحققة بعناية من أولئك الباحثين بحيث انه يمكن التأكيد اليوم بأن الكشف والتلقين العقلي والتليبثي (التأثير الروحي عن بعد) أصبحت من الظواهر الطبيعية ككل الظواهر التي لا تحدث باستمرار . فان الشفق القطبي والزوابع المغناطيسية وثوران البراكين وظهور المذنبات الخ ليست من الحوادث العادية ولا يمكن احداثها بالارادة ولكن ندرتها النسبية لا يمكن ان تتخذ دليلاً على عدم وجودها » انتهى .

ونحن الآن يجمل بنا ان نأتي على أسماء أكثر أعضاء جمعية المباحث النفسية بدون الاطالة في وصف مزايا كل واحد منهم كما فعل الاستاذ وليم جيمس في كتابه

المتقدم ذكره فنقول:

منهم الاستاذ رسل ولس مكتشف ناموس النشوء والارتقاء هو وداروين في وقت واحد بدون ان يطلع أحدهما على مباحث الآخر . والاستاذ هنري سدجوك المدرس بجامعة كمبردج . والاستاذ وليم كروكس الكيماوي الانجليزي الكبير مكتشف اشعاع المادة ومخترع مكتشف كهربائي يعرف باسمهِ وآلات أخر للمباحث الكيماوية . والاستاذان الدكتور ميرس وتشارد هودسون وكلاهما مدرسان في جامعة كمبردج لعلم النفس . والاستاذ أوسكار برونتج من أشهر علماء الانجليز . والاستاذ تشارلس اليوت نورتون مدرس بجامعة هارفرد بأمريكا والاستاذ وليم جيمس مدرس علم النفس بجامعة هارفرد أيضاً والاستاذ وليم ر . ليو بولد مدرس علم النفس والفلسفة في جامعة بنسلفانيا بأمريكا . والاستاذ جيمس هيزلوب مدرس العلوم العقلية بجامعة كولومبيا بأمريكا . والاستاذ كاميل فلامريون الفلكي الفرنسي الاشهر والاستاذ شارل ريشيه الفزيولوجي الكبير والعضو بمجمع العلماء والمدرس بجامعة الطب بباريز . ورجال آخرون بينهم عدد كبير من الاطباء المشهورين والحكماء المجربين نضرب عن ذكرهم خوف الاطالة .

فاذا أراد القارىء الآن ان يعرف الاسلوب الذي جري عليه هؤلاءِ القادة فى مباحثهم والباعث الذي حداهم الي تجشم هذه المتاعب أتيناه بما يريد منقولاً عن أولئك الباحثين أنفسهم

قال العلامة الدكتور ميرس Myers المدرس بجامعة كمبردج وهو الذي يصفه الاستاذ وليم جيمس بأنه اكبر مجرب في انجلترا . قال في كتابهِ (الشخصية الانسانية) في صحيفة ١١ وما بعدها :

« حوالى سنة ١٨٧٣ حيث كان المذهب المادي الذي أوغل حتى وصل الى سواحلنا وبلغ اوج سطوتهِ على العقول اجتمع ثلة من الاصحاب في كمبرج واجمعوا رأياً على ان هذه المسائل العويصة المتنازع فيها يريد المباحث الروحية تستحق التفاتاً وجهداً جدياً أكثر مما عوملت بهما الي ذلك الحين . وكنت أري

انا ان محاولة جديرة بهذا الاسم لم تعمل الى ذلك الوقت للبت فيما اذا كنا أهلاً أو غير أهل للالمام بشئ يختص بالعالم غير المرئي (عالم ماوراء المادة) وكنت مقتنعاً بأنه لو أمكنت معرفة شئ من ذلك العالم على اسلوب يمكن العلم ان يقبله ويحفظه فلا يكون ذلك لا بالتنقيب في الاساطير القديمة ولا بوسيلة التأمل فيما بعد الطبيعة ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة وبتطبيقنا على الظواهر التي تحدث فينا وفيما حولنا نفس أساليب المباحث المضبوطة المنزهة عن الاغراض والمتروّي فيها أي تلك الاساليب التي نحن مدينون لها بمارفنا عن العالم المرئي المحسوس

فالمباحث التي تجب علينا لايمكن ان تقتصر على تحليل ساذج للاسانيد التاريخية أو التي صدرت عن هذا الوحي أو ذاك مما يوحي به في الزمان الماضى بل يجب أن تؤسس قبل كل شئ — كبحث علمي بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة — على تجارب يمكننا تكرارها اليوم مؤملين ان نزيد عليها غداً. فلا يمكن ان تكون الأ مباحث مؤسسة على هذه القضية وهي انه « اذا كان يوجد عالم روحانى وكان هذا العالم الروحاني موجوداً في أي عهد كان وكان قابلاً لان يظهر ويستكشف فيجب ان يكون كذلك في أيامنا هذه

« فمن هذه الوجهة وبالجري على هذه الاعتبارات العامة واجهت الجمعية التي انا عضو منها هذه المسئلة » انتهى

ثم أخذ هذا الاستاذ يسرد التجارب التي عملها وعملها غيره مما لاسبيل الى بسطه في هذه العجالة. ثم قال مخطئاً للذين يكذبون بهذه المشاهدات في صحيفة ٢٢١:

« ماهي الادلة التي تحملني على الاعتقاد بأن هذا ليس بصحيح ? هذا السؤال يجب أن يضعه كل انسان نصب عينه اذا توصل الي التحقيق بغير طريق التأمل العلمي من الجهل المطلق الذي هو عليه بماهية الوجود الحقيقية

« واني اعترف في كل حال بان جهلي هو بحيث ان معارفي فيما هو مرجح أو غير مرجح في الوجود لم تظهر لي كافية لرفض مشاهدات تظهر بحق انها مثبتة وانها

مع ذلك ليست مناقضة لمشاهدات وأصول عامة اكثر منها تأسساً . ومهما كان مجال المشاهدات العلمية واسعاً فانهُ حتي باعتراف أوثق ممثلى العلم ليس الاَّ نظرةعجلي في العالم المجهول وغير المتناهي للنواميس الطبيعية » انتهى

وقال السير (اوليفر لودج) في كتابهِ (خلودالروحالانسانية) فيالنسخةالفرنسية الصادرة في سنة ١٩١٢، صفحة (١) وما بعدها :

« قد ثبتت صحة حوادث غريبة حدثت في كل أمـة وفي جميع العصور و يمكن حـذف جانب كبير من تلك الحوادث الى مجال الاوهام والوساوس ولـكن لايمكن حذفها كلها الى ذلك المجـال . وليس من المظنون في الحالة الحاضرة للعـلوم الطبيعية اننا على علم بجميع أعمال الروح الانساني واننـا قد أوصلناها الي درجة من البساطة بحيث ان كل ما يحدث في العالم العقلى والروحاني يمكن أن يفهمهُ الـكافة بسهولة . ومع هذا فيوجد كثير من الناس يظهر انهم يعتقدون ذلك . على أنهم يضطرون من حين آخر الى قبول مكتشفات جديدة مدهشة في عـلوم البيولوجيا (علم الحياة) والـكيمياء وفي العلوم الطبيعية على وجـه عام . ولـكنهم يقبلون ضمنيًّـا ان هـذه المكتشفات العلمية هي وحدها من الوجود الاجزاء التي يمكن اكتشافها اكتشافا اساسيًّا واماما بقي فقد عرف أحسن معرفة .

« هذا ايمان ساذج وهو يبين استعداد من يميلون لقبول عقيدة ما ولـكنها عقيدة لاتعتمد على العـلم ولا يمكن حفظها الاَّ باغفال مقـدار عظيم من الشهادات في الجهة المضادة

« تألفت منذ ٢٨ سنة جمعية خاصة في لوندرة الغرض منها بحث مافي هـذه التأكيدات من الحقيقة (يريد التأكيدات بوجود عالم روحانى) وقد كان مؤسسوها من رجال الادب والعلماء وقد ألمت منذ عدة سنوات بمقدار من هذه الحوادث الغريبة . وهي وان كانت غريبة الاَّ انهُ قد اعتبرها صحيحة أفراد من أهل الحـكم والذوق . وقد كان غرض هؤلاء العاملين اما ادماجها بطريقة مناسبة في العلم المرتب واما حذفها نهائياً باعتبار انها غير قائمة الاَّ على مريعة التصديق والخديعة والتدليس »

انتهي

وقال العلامة سدجوك رئيس جمعية المباحث النفسية في خطبة الرياسة ونحن نترجم ما نترجمه منها منقولاً عن كتاب الاستاذ لودج المتقدم ذكره قال:

« من الامور الفاضحة ان يتنازع الي الآن في صحة هذه الحوادث (الحوادث الروحية) التى أعلن تصديقه بها عـدد عظيم من الشهود الاختصاصيين واهتم غاية الاهتمام بحل مسألتها عدد عظيم آخر وان يحتفظ العالم العلمي حيالها مع كل هذا بالانكار الساذج

الى ان قال :

« كان الناس يظنون منذ ثلاثين سنة (هذه الخطبة قيلت في سنة ١٨٨٢) ان الاعتقاد بالمسمرزم (التنويم المغناطيسي) والموائد المتحركة يفسّر تفسيراً كافياً بقلة التهذب العلمي عند أهله . فلما أكد رجال من أهل العلم المشهورين الواحد بعد الآخر صحة تجاربهم الشخصية أظهر معارضوهم مهارة مضحكة في تصيد العلل للحط من مقامهم العلمي فقالوا ان هؤلاءِ الباحثين غواة وليسوا من أهل تلك المهنة، أو انهم اختصاصيون في بعض الفروع العلمية وليس لهم نظرات عامة ولا خبرة كافية أو انهم مخترعون بسطاء يجهلون الاساليب الدقيقة للبحث العلمي أو انهم ليسوا أعضاء في المجامع العلمية . فاذا كانوا من أعضاء تلك المجامع أظهر المعارضون اسفهم لهذا وعدوه من الحوادث المحزنة

« اننا في متابعتنا السير في هذه المباحث لا يجوز لنا أن ننتظر من شهادة واحدة مهما كانت كاملة نتائج قاطعة علي العرف الانساني . فان الانكار العلمي بدأ في النمو من زمان بعيد وقد صارت له جذور قوية عديدة ولا قبل لنا باجتثاثها اذا قدّر لنا ذلك الا باحاطته بمجموعة من الحوادث المحققة . فيجب علينا ان نعمل بلا فتور وان نركم البراهين على البراهين، ونضيف التجارب الى التجارب، وان لا نطيل الجدال مع المنكرين الاجانب عن مباحثنا على قيمة تجربة من التحقيق، ولكن لنعتمد علي

عدد هذه التجارب للحصول على الاقناع المطلوب »

* * *

هذه بعض أقوال قالها أعضاء جمعية المباحث النفسية وقد جمعوا من تجاربهم اكثر من اربعين مجلداً ضخما أصبحت الآن عمدة الباحثين في هذا الموضوع وقد أثرت في العالم العلمي تأثيراً لاحدَّ لهُ حتي أصبح يطلب رجال العلم من كل قبيل ادخال هذه المباحث الى العلوم الرسمية التي تدرس في الجامعات

قال العلامة كاميل فلامريون الفلكي المشهور في كتابهِ (القوي الطبيعية المجهولة) صفحة ٦٠

« الكائن الانساني ممتع بخصائص لم تعرف الاَّ قليلاً وهي خصائص قد أظهرتها الملاحظات التى عملت علي الوسطاءِ والمستعدين لتوليد الحركات كما اظهرها كذلك التنويم المغناطيسى والتليبثي والابصار بدون الاعين والاخبار بالمغيبات

« هذه القوي النفسية المجهولة تستحق أن تدخل في دائرة التحليل العلمى . وهي الآن لاتزال في عصر بطليموس (يشبهها بالعلوم الفلكية) ولم تصادف الآن كبلرها ونيوتنها ولكنها تستوجب العناية والبحث »

وقال الدكتور انكوس الطبيب بجامعة الطب البارزية فى كتابهِ (العلوم الخفية والسبرتزم) في طبعته الثالثة سنة ١٩١١ صحيفة ٧ :

« لقد انتشرت الجميات الروحية وتكثرت وشعر الناس بوجوب استزادتها وأصبحنا نؤمل ان نظريات هذا المذهب الروحاني ستنال حرية المدينة في الفلسفة العصرية »

وقال العلامة الفرنسى الدكتور ج . ماكسويل فى كتابهِ (الحوادث النفسية) في طبعته الخامسة الصادرة في سنة ١٩١٤ صفحة ٣١٣

« انا لا آسف من اني عبرت عن شعوري نحو الحوادث التي لاحظتها بنفسي فاني واثق من انها ستدخل في يوم من الايام — ولعل ذلك اليوم قريب — الي النظام العلمي . نعم أنها ستدخل فيه رغما عن جميع العقبات التي يركمها في طريقها

العناد والخوف من السخريه »

* * *

هـذا غيض من فيض ذكرته لخدمة الحقيقة ويرى القارئون ان جمعية بل جمعيات تتألف من أمثال هؤلاء الفحول الذين جهدوا على الدقة في البحث ومرنوا على التثبت والرويه بأساليبهم الصارمة، وليس فيهم الا من عرف مداخل الخطأ في الاحكام، ومسارب الشطط الي المدركات، ومستقر الانخداع من النفس ومواطن الاهواء من احناء الصدر . زد على ذلك ان كثيراً منهم من مدرسي علم النفس بالجامعات الكبري، وعلم النفس على الاسلوب الحديث يعتبر من العلوم الحسية، فلا هو مستمد من مباحث افلاطون ولا من مقالات ارسطو وعلماؤه يعتبرون بحكم وظائفهم من أعلم الناس بدسيس الوساوس، ودبيب الهواجس، وضلال الحواس، وتلبيس المشاعر . وكثير منهم من الطبيعيين والكيماويين والحيويين، الذين لا يعترفون بغير سلطان الآلات المعدنية والتجارب الحسية فهم لايأبهون بالبرهان العقلي ولا يخضعون للقياس المنطقي . لايقرون اشي بوجود الا اذا أبصروه ولمسوه وقلبوه على كل وجه وادركته آلاتهم الحديدية فوزنته وقاسته وقدرته . ثم هم مع ذلك في بيئة قد تخلصت من الاوهام وتملصت من سحر الاحلام غاصة بالنقدة المدققين والعرفة المميزين والكتبة الصارمين . قلنا ان جمعية بل جمعيات تتألف من مثل هؤلاء الاقطاب فيستمرون في البحث عشرات من السنين، ويدونون تجاربهم فى عشرات المجلدات ويعرضونها في الآفاق على النقاد والمجربين، كل هذا يعتبر حادثاً جللاً ليس له نظير في تاريخ المدركات الانسانية . وقد أحدث من التأثير الادبي ما لم يحدثه مذهب علمي ولا أسلوب فلسفي فأصبح له مئات من المجلات والمكتبات الخاصة والوف من الجمعيات . وقد روي الاستاذ رسل واليس في كتابه (عجائب العصر الحاضر) ان اتباعه يبلغون عشرين مليونا . وكتب جان فينو مدير مجلة المجلات الفرنسية في مجلد سنة ١٨٩٥ وهو بصدد كلامه على الاسبرتزم يقول :

« لنضف الى هذا صفات اشياع هذا المذهب فهم اما علماء أو أساتذة فنيون أو أطباء أومهندسون »

نقول أضف الى هذا ان بقاء هذا المذهب قائماً أكثر من سبعين سنة يتناوله المجربون الخبيرون من كل قبيل ويحاول دحضهُ الناقدون من كل صوب ويتصداه الماديون ويبذلون وسعهم لاثبات التدليس فيهِ ثم ينتهي أمرهم بتصديقهِ والقول به ثم انتهاء أمرهِ الي الشيوع بين أقطاب العلم الاوروبي الي هذا الحد وانقلاب الفلسفة من مادية متطرفة الى روحية معتدلة — كل هذا أثر عوامل سلَّطها مدبر الكون على هذا الانسان ليخرجهُ من ظلمات المادة وينقذهُ من براثن الماديين ليطمئن على وجودهِ في هذه الحياة القصيرة الأمد وفيما بعد هذه الحياة في عالم الجمال الاقدس وليضع اصول اخلاقهِ ومراميهِ على اساس متين من فلسفة عالية جديرة بمواهبهِ الكريمة يستطيع بها ان يتابع سبيلهُ في الترقي ثابت القدم مرفوع الرأس مطمئناً على أعز عزيز عليهِ وهي نفسهُ واثقاً بأنهُ حي في وجود كلهُ حياة وجمال وجلال ونور

***

(نشر لنا المقتطف هذه المقالة ثم عقب عليها بما يأتي :)

(المقتطف) ما أجمل ما اختتمت بهِ هذه المقالة . أما الامور التى بنيت عليها فقد ذكرناها كلها أو أكثرها في مجلدات المقتطف الماضية وذكرنا معها أوجه الضعف فيها وما ثبت من فساد بعضها ولو كان أصحابها من أكبر زعماء مناجاة الارواح كسدجوك وكروكس وستدولدج . ومع اننا نتمني من صميم الفؤاد ان تثبت صحة مناجاة الارواح ثبوتاً ينفي كل ريب لكن بحثنا المتواصل في هذا الموضوع منذ أكثر من أربعين سنة الي الآن اقنعنا ان الذين ينقطعون للعلوم الطبيعية

والفلسفية يكونون في الغالب من أبسط الناس وأحسنهم طوية وأقلهم مقدرة علي اكتشاف الخداع . فالدكتور ميرس والسر اوليفر لدج والاستاذ ريشه والاستاذ لمبروزو جلسوا غير مرة مع أشهر الوسطاء أوسابيا بلادينو وأكدوا ان ما كانت تعمله أمامهم لايفسَّر الاَّ بقوة روحية أي باستخدامها الارواح غير المنظورة . وجاءها وفد من قبل جمعية المباحث النفسية لكي يبحث في أعمالها فجلس معها مراراً ونشر تقريراً مسهباً عن أعمالها نشرنا خلاصتهُ في المقتطف وأكدوا انها لاتستعمل الخداع بل تفعل ما تفعل بوسائل غير مادية أو غير طبيعية فانتقدنا تقريرهم هذا وابنا وجوه الضعف فيهِ وامكان الخداع فى أعمالها و بعد حين ذهبت هذه الخادعة الي اميركا سنة ١٩٠٩ فاكتشف الاستاذ منستربرج استاذ الفلسفة فى جامعة كولمبيا خداعها بما لايبقي مجال للريب . وكان غشها قدكشف سنة١٨٩٥ في كمبردج لما جلست مع الاستاذ سدجوك والمستر ميرس والدكتور هدجصن ولكن ثقة هؤلاء العلماء بها لم تفارقهم حينئذ لانهُ لم يظهر غشها الاَّ في بعض أعمالها . ومنذ سنة ١٨٥٠ الى الآن كشف غش اكثر من مئة وسيط من اشهر الوسطاء مثل بلاي وكاوشستر وفوستر والاخوان دفنبرت ومستر فاي والدكتورسلايد وفلورنس كوك ومس شورس وفرمن ومس ود وهدصن و بوغه ومدام بلافتسكي واغلنتن

وقد قلنا غير مرة ان المحك الذي تثبت بهِ صحة المستكشفات والمزاعم هوالعمل بها . فنقلُ الاشارات بالتلغراف الوفاً من الاميال من أغرب الامورالتي يتعذَّر علي الانسان تصديقها ولكنهُ لما رأي الاشارات تنقل فعلاً وتبني علي نقلها مصالح الناس صدَّقها وقال انها حقيقة لا وهم . ونقلُ الالفاظ المسموعة بالتلفون مئات من الاميال اغرب من نقل الاشارات بالتلغراف ولكن محك الاستعمال اثبت صحتهُ . ومن هذا القبيل نقل الاشارات بالتلغراف اللاسلكي والتصوير الشمسي واستخراج الالوان البديعة من قطران الفحم الاسود . واستقطار الارواح العطرية من فضلات المواد الفاسدة ونحو ذلك من مكتشفات القرن الماضي والسنين الاولي من

هذا القرن

فاذا كانت مناجاة الارواح صحيحة أي اذا كان عقل الميت يؤثر فعلاً في الاحياء فيحادثهم ويخبرهم بأمور يجهلونها فلا بدَّ من ان يصير لهذا الاكتشاف فائدة عملية يعتمد عليها في مصالح الناس كأن يخبر عقل القتيل عن قتلته اذا كان مجهولاً أو يصفهُ وصفاً كافياً للدلالة عليهِ وكأن يخبر من اخفى شيئاً قبل موتهِ عن المكان الذي اخفاه فيهِ أو من شاهد حادثة وقعت فى حياتهِ بما شاهد . وعدم ثبوت ذلك بالفعل لاينفى بقاء النفس بعد الموت ولا يثبت زوال عقل الانسان من الوجود بعد موتهِ ولكن يجب ان يكون لاثبات ذلك ادلة أخرى « وضرر الشيء ممن ينصرهُ لا بطريقهِ اكثر من ضررهِ ممن يطعن فيهِ بطريقهِ » كما قال الامام الغزالي فى تهافت الفلاسفة

***

لما نشرنا هاتين المقالتين في المقتطف رأينا انهما لاتكفيان لتجلية هذا الفتح العلمي الكبير فعولنا على أن نتبعها ببحث مستفيض نأتي فيه على جميع أدوارها تحت عنوان اثبات الروح بالمباحث النفسية ونرد فيها ضمنيا على تعقيب المقتطف المتقدم فنشرنا فيه المبحث التالى نفسه فصدرت هذه المقالة فيه وهي أول حلقة منه في جزء ابريل سنة ١٩١٩

(اثبات الروح بالمباحث النفسية)

ان البت في مسألة الروح الانسانية بالوجود أو عدم الوجود والحكم لها بالخلود أو عدم الخلود من الامور التي يبتني عليها وخصوصاً فى هذا العصر عصر المبادىء والاصول انقلابات فكرية غاية في الخطورة يكون لها اكبر الآثار في اخلاق الانسان ومراميهِ . وقد عهدنا الانسان يحيا بحصولهِ الادبي اكثر مما يحيا بحصولهِ المادي .

وهذا العالم الغربي الذي نال من المدنية والرفاهية بفتوحات العلوم الطبيعية أوفر حظ، وبعد ان زعزع له العلم المادي والنقد الفلسفي أقوى أصوله الدينية الموروثة منذ عدة اجيال نراه يضطرب بمجموعه ويتململ سأماً مما هو فيه ويتلفت تلفت الحيران لكل حركة يتنسم من ورائها نسمة عقيدة يثلج عليها صدره وتزول بها شكوكه ويبصر بها الحق واضحاً فيتجه اليه

وقد اجبتم على سؤال من سألكم عن منتهى آمالنا في التمدن في جزء يناير الماضي صحيفة ٩٢ بقولكم « ان يعيش كل احد مستريحاً مسروراً لا يتألم ولا يمرض ولا يجوع ولا يتعب . وان يعرف ماوراء الموت معرفة يقينية كما يعرف ان الماء يطفئ النار والحبر يسود الاصابع والحرارة تذيب الثلج . ثم قلتم . ومن المحتمل ان يصل الناس اليها بطريقة يقينية تقنع كل احد »

أصبتم في هذا القول كل الاصابة فليس الانسان بالكائن الذي يقنعه نعيم الجسد دون الوصول الى سر حياته الروحانية ولولا ذلك لقنع العالم الغربي بما هو فيه من الرفه ولم يحرك المباحث الروحية ساكناً . وانت تراه أشد اجناس المسكونة تطلعاً لاسرار الروح وقد فاق في هذا النهم المتدينين انفسهم

ماتوسط الناس القرن التاسع عشر حتى كانت العلوم المادية في اوج عظمتها والمذاهب الفلسفية في غاية ابهتها ونبغ موليشوت وكارل فوغت ولويز بوخنر وهيكل في المانيا فاعطوا الفلسفة المادية نهاية سلطانها فكسفت كل فلسفة في الارض واعتبرت اشياعها من حملة الاوهام الفكرية القديمة . ثم جاء مذهب النشوء والارتقاء في سنة ١٨٥٩ بفلسفته التي مؤداها قيام العالم على نظام آلي غير مقود الى غاية معينة بعقل مدبر فأعطى الفلسفة المادية سطوة اخفتت امامها كل صوت . فكان الذي يقول بوجود عقل عام مدبر للكون أو روح مستقلة عن جسد الانسان يعد من البله الذين يستوجبون الرحمة على قصور نظرهم وانحطاط عقلهم

في هذا الحين الذي بلغ فيه الشطط المادي هذا المبلغ حدثت حادثة هيدسفيل التي ذكرناها في مقدمة المقالة الاولى من بحثنا هذا . وكان من امر تحقيقها وشيوع

أمثالها وتتالى مباحث العلماء في أمثالها ما كان مما كان أثره ايجاد ادلة علمية حسية على وجود عالم حي حياة عقلية سامية وراء هــذه المادة وعلى ان الموت ليس هو الحد الفاصل بين الوجود والعدم . ولم تتقرر تلك الادلة لا في سنة ولا في عشرين ولم يقم بها عالم ولا جماعة واحدة من العلماء ولم تقتصر على بلد دون بلد بل تقررت في اكثر من سبعين سنة بذلت في الابحاث والمشاهـدات والمجادلات والتحديات وقام بتحقيقها رجال من كل مجال من مجالات العلم والادب وانتشرت في كل امة راقية وكانت ثمرة ذلك ان اكبر علماء الارض واحكم فلاسفتها واجـل كتابها وسياسييها وادبائها ينشرون آراءهم في الروح ووجودها وخلودها ويسردون تجاربهم العلمية في ذلك غير خاشين لومة لائم بعدان كان يخجل اكبر رأس فيهم قبل خمسين سنة ان يشير الى عقيدته الدينية بكلمة واحدة

هذه حركة لا مثيل لها في تاريخ العالم وقد كان من اثرها اعتـدال مزاج الفلسفة وصدق النظر في الوجود وظواهره وقد كتبت فيه مقالين في المقتطف فعقبتم عليهما بما يفيد عدم اعتدادكم بما ورد فيهما ولـكن اري انكم مع هذا لا تضنون على قرائكم ببعض ما يظهر في عالم المباحث النفسية من الاقوال المنسوبة لبعض العلماء وهي خطة مثلى حببت الى ان افضي اليكم ببعض ما اعلمهُ في هـذا الموضوع فأني قرأت كل شبهة وردت عليه من الناقدين والماديين الذين تألبوا على دحضه بكل وسيلة وقرأت كل الحلول التي دُفعت بها تلك الشبه وهي حلول عملية لا كلامية مما يتألف منه مجموع من اجل ما ولدته مجهودات البشر في عصر من العصور . واري أن نشر صورة موجزة من هذا المجموع في المقتطف مما يخدم قراء العربية اجل خدمة . ولهذا عولت على ان اوافيكم اولاً بملاحظاتي على تعليقكم ثم اردفه بالتجارب التي عملت والشبهات التي وردت عليها و بما دحضت به الشبهات فأقول :

قلتم ان بحثكم المتواصل في هذا الموضوع منذ اكثر من اربعين سنة اقنعكم بأن الذين ينقطعون للعلوم الطبيعية والفلسفية يكونون في الغالب من ابسط الناس واقلهم مقدرة على اكتشاف الخداع

وانا لا أوافقكم علي هذا الرأي فان قوماً كالطبيعيين مرنوا على الاساليب الدقيقة وانقطعوا المشاهدات المحسوسة وقصروا شهودهم على الآلات المعدنية والحواس البدنية لا يمكن ان يكونوا اقل الناس مقدرة على اكتشاف الخداع . ويؤيدني في ذلك مؤلفو الغرب فقد جاء فيما نقلته عن مجلة المجلات الفرنسية في صحيفة ٥٤ من مقتطف يناير قولها : « من الصعب ان نتهم هؤلاء العلماء بالسذاجة فان دقتهم الشديدة فى التجارب العلمية اشهر من ان تذكر »

وجاء فيما نقلته بتلك الصحيفة عن الاستاذ شارل ريشيه العضو بالمجمع العلمى الفرنسى قوله : « لا يمكن ان مثل هذا العدد العظيم من الرجال الممتازين فى انجلترا وأمريكا وفرنسا والمانيا وايطاليا يقعون تحت تأثير الانخداع الغليظ الثقيل »

ثم اني لم اسرد في المقتطف اسماء هذا الجم الغفير من العلماء الطبيعيين والفلاسفة الألاني اعتقد انكم مثلى لاتأبهون الا بشهادات رجال الطبيعة والفلسفة . ولو كنت اعلم انكم ترفعون على شهاداتهم شهادات من دونهم لأتيتكم باسماء الوف من الاطباء والمهندسين والكتاب والسياسيين واللغويين . ومما يؤثر عن المستر غلادستون انه كتب يقول : « ادرس الاسبرتزم فان وجدت فيه غشاً وتدليساً فاهزأ بسائر المتقدين به واسخر بي في مقدمتهم » (انظر كتاب الظاهرة الروحية لجبريل دولان فى طبعته الخامسة)

ومنهم اللورد بلفور ناظر الخارجية الانجليزية الحاضرة وهو القائل « عندي الاسبرتزم افضل من السياسة لانها تفيدني اكثر منها » (انظر الكتاب المتقدم)

هذا ولو شئت ان اسرد من هذه الاسماء المشهورة لسردت شيئا كثيراً فاذا كان المنقطعون للعلوم الطبيعية والفلسفة اكثر الناس قبولاً للانخداع فهناك الالوف من امثال من ذكرناهم يشهدون بأنهم بذلوا غاية وسعهم لاثبات التدليس في التجارب فلم يستطيعوا ولم يستطع خصومهم ان يثبتوه لهم . والذين كشفوا تدليس الوسطاء الذين ذكرتموهم هم زعماء الروحيين . فقد قلتم ان اوسابيا بلادينو كشف غشها فى كمبردج سنة ١٨٩٥ سدجوك وميرس والدكتور هدجسن وهؤلاء الثلاثة من كبار اعضاء

جمعية المباحث النفسية والقائلين بأنهُ قد قام الدليل الحسي على وجود الروح وخلودها بعد الموت

ولا عجب اذا حاول بعض الوسطاء التدليس على المجربين فان التدليس ليس بقاصر على هذه المباحث فهو عام في جميع مجالات المجهودات الانسانية وانما العجب ان يفلت مدلس من أيدي أولئك النقدة الصارمين . على ان لجنة الجمعية العلمية الملكية التي عينت في انجلترا لبحث المسائل النفسية لم تستخدم وسيطاً مأجوراً كما ذكرت ذلك في تقريرها ونشرناهُ في مقتطف يناير صحيفة ٥٥ وكان لكثيرمن العلماء والكتاب الباحثين خاصة الوساطة مثل الاستاذ الطبيعي الانجليزي دومورغان والمستر سنتون مورنس المدرس بجامعة اكسفورد والمستر ستيد الكاتب الانجليزي الكبير وامرأة اكزاكوف الوزير الروسي المشهور وبنتا المستر ادمون رئيس مجلس اعيان الولايات المتحدة سابقاً وكان يعرض بها للتجربة لشدة شغفه بالمباحث النفسية

قلنا ان التدليس ليس بقاصر على وسطاء المباحث النفسية فهو في كل مجال من مجالات الاعمال الانسانية وانما المدار على التمحيص والاخذ بالاحوط ولا نعرف فرعاً من فروع العلم تُجري عليهِ أدق من أساليب التمحيص ما يجري على المباحث النفسية لغرابتها من جهة ولغلبة المذهب المادي على الباحثين من جهة أخرى فلم يتوصل الاَّ الى اثبات تدليس نحو مئة وسيط من سنة ١٨٥٠ الى اليوم أي في مدى سبعين سنة وهو عدد قليل بالنسبة لعدد الوسطاء الذين خضعوا لهذه المباحث الصارمة

ثم انكم قلتم ان المحل الذي تثبت بهِ صحة المكتشفات والمزاعم هو العمل بها فاذا كانت مناجاة الارواح صحيحة أي اذا كان عقل الميت يؤثر فعلاً في الاحياء فيحادثهم ويخبرهم بأمور يجهلونها فلا بد من أن يصير لهذا الاكتشاف فائدة عملية كأن يخبر القتيل عن قتله وكأن يخبر من أخفى شيئاً قبل موته عن المكان الذي اخفاه فيهِ الخ

نقول ان تاريخ مناجاة الارواح مؤسس على ان روحاً أخبرت سكان البيت الذي ظهرت فيهِ بأنها روح قتيل قتلهُ جارهُ وسلب مالهُ فكان كما أخبرت . وقد

أشرنا الى ذلك في ايرادنا لتاريخ هذا الفن فى صحيفة ٥٠ من مقتطف يناير

ثم حدثت بعد هذه الحادثة ملايين من هذه الاختبارات وغيرها مما حير عقول الباحثين واضطر اكبر الماديين كوليم كروكس وروسل ولاس ولومبروزو وسدجوك وأمثالهم للاذعان . فسئلت الارواح عن حجج ومستندات ضائعة فبينت مواطنها. وسئلت عن تفاصيل حوادث وفيات مجهولة فأنبأت بها . وسئلت عن مقادير ديون كانت عليها فقدرتها وعينت الدائنين وما لكل منهم بالضبط . واستخدمت في المخابرات بين أمريكا وأوربا في أمور معجلة فقامت بما عهد اليها بأكثر واضبط من التلغراف . وسئلت أسئلة فلكية عويصة فاعلمت بأمور لم تكتشف الا بعد سنين عديدة . كل هذه أمور مقررة ممحصة كما يقول الاستاذ وليم جيمس اكبر من تمحيص الامور الفزيولوجية (انظر صحيفة ١٤١ من مقتطف فبراير)

وسنأتي فى مقالاتنا التالية على نماذج من أنواع هذه المشاهدات كاملة مع بيان صنوف التحوطات والتمحيصات التى اتخذها العلماء المجربون لها

ثم قلتم ان عدم ثبوت ذلك لاينفي بقاء النفس بعد الموت ولا يثبت زوال عقل الانسان من الوجود بعد موته ولكن يجب ان يكون لاثبات ذلك أدلة أخري

وانا أقول ان عدم ثبوت ذلك ينفي بقاء النفس بعد الموت ويثبت انحلال عقل الانسان بعد وفاته ويقوي شبهات الماديين بل يجعل تلك الشبهات حججاً مقررة . لانهُ كان يقال بحق : لو كان للروح بقاء بعد الموت لدلتنا بدليل حسي على بقائها هنالك . والاَّ فهل يعقل ان تكون ارواح ملايين الملايين من الامهات والآباء والاحباء حية في عالم وراء هذا العالم فتلبث الوف السنين لاتبدي أقل حركة تشعر بوجودها وتنم على بقائها ؟ وكان المادى اذ ذاك يرفع عقيرتهُ قائلاً : اذا كان الانسان في بحثهِ عن المجاهيل الطبيعية قد وقف على أسرار النواميس الميتة وخواص الحركات الاثيرية الخفية كالكهرباء والمغناطيس واشعة رونتجن وهي من العالم الجامد المجرد عن العقل والشعور ألا كان يقف على رسوم ذلك العالم الحى الآهل بملايين من العلماء والفلاسفة والقادة والمفقودين ؟ ألا كانوا يبدون لنا ولو اشارة

خفية تدل على وجودهم وراء هذا الوجود ؟ أليس في صمتهم ذلك حجة ناطقة على أنهم اصبحوا رميماً تذروه الرياح كما تذرو بقايا الاشجار وفتات الاحجار؟

نعم كان المادي يستطيع ان يقول ذلك وله الحق وكان المتدين يحني رأسه خجلاً وله العذر. فشيوع أمر الاتصال بالاموات من أول وجود الانسان الى اليوم وذيوع ظهور اشباحهم في بعض الاحوال في كل امة حتى وجد ذلك في اساطير المصريين القدماء والهنود والصينيين ووجد معهم طرق تحضير الارواح منذ الوف من السنين ثم ظهور هذا الامر أتم ظهور في هذا العصر والعمل على تحقيقه تحقيقاً علمياً على الاساليب النقدية الصارمة — كل هذا أثر واضح يدل على صحة وجود ذلك العالم وعلى صدق العقيدة العامة بخلود الارواح بعد الموت. وعدم وجود هذا الأثر الواضح كان يصح ان يكون من الادلة السلبية القوية على عدم وجود ذلك العالم

ثم ان استشهادكم بقول الامام الغزالي « ان ضرر الشيء ممن ينصره لا بطريقه اكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه » لا ينطبق على ما نحن بصدده. فان الطريق الذي يسلكه العلماء الاوربيون والامريكيون في تحقيق وجود الروح هو الطريق الاصلي لاثباتها بل لا يوجد غيره. فهم يبحثون في امر ظهور الارواح في اماكن قيل انها تتردد عليها كبعض البيوت والقصور القديمة وفي تأثيرها على أدمغة بعض الاحياء بالاستيلاء عليها واظهار شخصيات غير شخصياتها وعلى أيديهم في احداث خطوط غير خطوطهم والتوقيع عليها بتوقيعات المتوفين انفسهم — كل هذا لم يقنع الباحثين وكان لهم في تأويله مجال واسع. لانهم كلهم كانوا ماديين لا يعتقدون بشيء. فطلبوا الي اولئك الارواح ان كانت موجودة ان تكتب بدون يد الوسيط وان تتكلم لا بلسانه فحدث ماطلبوا وظهرت اذرع وايد لمسها المجربون وصافحوها ثم ظهرت أجساد قاسوها ووزنوها وفحصوها بكل وسيلة ممكنة وطلبوا اليها احداث الخوارق التي يتخيل انها لائقة بعالم الارواح السائد على

العالم الحسى كادخال المادة من خلال المادة وفي تغيير صياغـة المعادن كأن تقلب السـلاسل الذهبية الي خواتم وفي تمزيق الثياب واعادتها كما كانت وفي ظهورهـا بمظاهر مختلفة وفى افنائها نصف جسم الوسيط أو جسمهُ كلـه ثم اعادته وفي رفع الاجسام بدون لمسها الي السقف حتى انها رفعت بعض الحاضرين ايضا . وفي جلب الاشياء من بلاد بعيدة . وفي الاخبار عن الامور المقبلة الي غير ذلك مما سنلم ببعضه في مقالاتنا المقبلة . كل هذا بينما يكون الوسيط مربوطـا وموضوعا تحت قفص من الحديد ومتصلاً بسلك من الجلوانومتر لتسجيل أقل حركاته وسكناته ومراقبا أشد مراقبة وهو في حالة خدر تام لايعي مايحدث بخلاف المشعوذين الذين ذكرتم بعض أعمالهم في مقالة السحر الحـلال فانهم يذهبون ويجيئون مطلقي الايدي والارادة فانلم يكن هذا هو طريق اثبات وجود عالم روحاني مؤثر فى هذا العالم المادي فهل طريقه القياس المنطقي والاستنتاج العقلى وقد برهنت الفلسفة المادية الحسية بألف دليل على ضلال العقل وعجزه عن الالمام بالحقائق وعلى ان مسلماته اكثرها أضاليل قررها لهُ قصورهُ وايدها فى نظره جهلهُ ؟

ثم قلتم في مقـالة السحر الحـلال : رأي جماعة من اكبر علماء الارض اعمال الخادعة اوسابيا بلادينو فصدقوا ماتدعيه من انها تفعل بواسطة أرواح الموتي ويذهب هؤلاء العلماء أنفسهم الي ناد لاحد المشعوذين ويرون من اعماله ماتقصر عنهُ اعمـال اوسابيا بلادينو بمراحل كثيرة ومع ذلك لايقولون انهُ يفعل مايفعل بقوة روحية لانهُ هو نفسهُ لايدعي هذه الدعوي

أقول علماء اوربا لم يفتهم أمر المشعوذين فقد اعترض عليهم بمثل ماقلتم فاحضروا مشعوذ امبراطور المـانيا ومشعوذ امبراطور النمسا وهما أوسع مشعوذي العالم حيـلاً في جلسة روحية واروهما بعض الخوارق التي تحدث فيها فاعـترفوا بأن هـذا فوق مقدور صناعتهم وشهدوا بذلك كتابة وسننشر نص شهاداتهم في مقالاتنا المقبلة هنا

اما كون مايفعلهُ المشعوذون أغرب مما يحصل فى جلسات التحضير فلانقول نحن به ولا الوف المجربين فان الخوارق الروحية قد فاقت مايتخيله كل متخيل واي غريب

بعد ظهور روح الميت متجسدة بصورتها التي كانت عليها في الحياة الدنيا وتكلمها بصوتها الاصلي وعباراتها المألوفة لديها ؟ وأي عجيب بعد افنائها لبعض اعضاء الوسيط أو الجسم كله ثم اعادتها اياه او قلبها صورة الوسيط وجنسه فيظهر وجهه ملتحيا وهي امرأة اوشعره اصفر وكان اسود او يظهر طفلة ناعمة وهو كهل ويطول قده ويغلظ جسمه ثم يعود الى ما كان عليه . كل ذلك حصل تحت اشد المراقبات العلمية وأعيدت تجاربه في كل بلد وفي مدى اكثر من سبعين سنة مما لاسبيل الى دحضه بعد كشفه ووقوف الناس على اسانيده . والا فكيف يعقل ان اكبر علماء الارض واذكى الاطباء والمهندسين والمحامين والكتاب والادباء الاوربيين والامريكيين ينخدعون هذا الانخداع الغليظ وقد سبقونا في العلم والعمل والتشكك بمراحل وتشبعوا بالمذهب المادي منذ عدة قرون ويستمرون في هذا الانخداع اكثر من سبعين عاما ؟

كل هذا لايقبل التعليل بالخداع والانخداع فلا مناص لقراء العربية من التوسع في معرفة هذا الموضوع وسأتولى بعونة الله هذا الامر فانشره في هذه المجلة في عدة مقالات متسلسلة من الجزء القادم ثم اترك لكل انسان الخيار في الحكم والسلام

﴿ الاسلوب التجريبي ﴾

(الذي اتبعه العلماء في اثبات الروح)

الوساطة

نشرنا هذه المقالة بمجلة المقتطف في مايو سنة ١٩١٩

طبعت الفلسفة الاوربية في القرن التاسع عشر بطابع الاسلوب الحسي فلفظت جميع المدركات العقلية الى عالم الفروض ، ولم تقبل في العلم الا ما أيدته التجربة أو دلت عليه الحواس ، فكان على المتصدين للبحث عن الروح ان يجدوها بدليل محسوس . وكيف يتسنى ذلك بغير جعل الانسان ذاته موضوع النظر والبحث لرؤية آثارها فيه ؟ أيصح لمن يريد أن يعرف ما اذا كان في اناء ماء ان يتركه جانباً ويأخذ في بناء القضايا المنطقية للاهتداء الى ماحواه ، ام ينظر فيه نفسه ليتحقق من وجود أو عدم وجود شيء فيه ؟

لهذا احتاج الباحثون العصريون فى الانسان الى الوسيط . فيحتاج اليه في التنويم المغناطيسي لتنويمه ورؤية مايظهر فيه من القوي الكامنة والخصائص المستكنة . ويحتاج اليه فى المباحث النفسية لما ثبت علميًّا منذ سبعين سنة وبشهادة الوف من العلماء انه تحدث بحضرة شخص ذي استعداد خاص، اذا اتجهت ارادة المجربين معه الى الاتصال بالعالم الروحاني، حوادث روحية غاية فى الغرابة يمكن للعلم ان يبحثها على اسلوبه التجريبي فيضيف الى ماعرفه من أحوال المعني الانساني معارف جليلة لاتقبل النقض يتجلي من خلالها وجود الروح واستقلالها عن الجسد وقيامها بدونه وتعلقها بعالم

روحاني وراء هذا العالم المادي

فالوسيط في المباحث النفسية يستخدم كآلة للبحث او كوسيلة لظهور الحوادث الروحية . وليس أمر الوساطة ببدع فانها ضرورية حتي في الحوادث الطبيعية نفسها . فلا يمكن مثلاً احداث شرارة من جسم مكهرب بكهربائية موجبة الاَّ بتقريب جسم آخر منه مكهرب بكهربائية سالبة . ولا يمكن احداث تفاعل بين عناصر جسم الا بتسليط عامل آخر عليه كالحرارة أو النور أو الكهربائية أو جسم آخر لهُ خاصة احداث التفاعل بينها . كذلك لايمكن ايجاد الصلة بيننا و بين الاحياءِ المجردة عن المادة الاَّ بوجود وسيط نكون له خاصة في ايجاد تلك الصلة

وقد شوهد ان خاصة الوساطة ليست بقاصرة على احد الجنسين ولا على المصابين بأمراض عصبية ولا على ذوي اسنان معينة أو معارف محدودة

فمن الوسطاء رجال ونساء ومنهم المصابون بأمراض عصبية والاصحاء الذين هم في اكمل حالات القوة . ومنهم الطاعنون في السن والاطفال الذين لم يجاوز عمرهم تسعة ايام كما شوهد ذلك لبنت اللورد سيمور كيركوب فانها أمسكت القلم بيدها وكتبت بهِ رسالة عن لسان جدتها المتوفاة امام والدها ووالدتها ومربيتها . ومنهم الجاهلون الاميون والعلماء الاعلام

ثم ان الوسطاء يختلفون في الخصائص فمنهم وسطاء يرون بأعينهم من العالم الروحاني مالا يراهُ غيرهم فيصفون مايرونهُ للمجربين ويعينون لهم موضعهُ فيسلطون آلة التصوير على ذلك الموضع فترتسم عليها عين الصورة التي أخبر عنها الوسيط . والآلة خير شاهد على ان المرئي ليس بخيال

ومنهم وسطاء يسمعون مالا يسمعهُ سواهم من أصوات الارواح فيلقون الى المجربين مايسمعونهُ من الاجوبة على أسئلتهم مما لايعرفهُ الوسيط ولا يخطر بباله ولا يستطيع ان يجيب بهِ لقصور علمه

ومنهم وسطاء يكتبون فتستولي الروح علي يد أحدهم وتكتب ما تشاء ان تكتبهُ بينما يكون الوسيط ملتفتاً الي يمينهِ أو يساره يحادث المراقبين لهُ . وقد شوهد

وسطاء تستولى الروح على يد احدهم اليمني وتكتب جوابا على سؤال وتستولي روح أخري على يده اليسري فتكتب جواباً على سؤال آخر وروح ثالثة علي لسانه فتجيب على سؤال ثالث كل ذلك في وقت واحد

ومنهم وسطاء تتجسد الارواح بحضرتهم فيراها المجربون ويلمسونها ويفحصون اعضاءها ويزنونها ويقيسون طولها ويسألونها فتكلمهم وتعمل لهم من الخوارق مالا يخطر ببالهم . وقد تظهر عدة أرواح فى آن واحد ثلاثة أو أربعة أو أكثر منهم الذكر والانثي والشاب والشيخ فتجول بين الحاضرين وتلمسهم وتطلب اليهم ان يصوروها بآلة التصوير بينما يكون الوسيط متشنجاً ملقي علي كرسيه ومراقباً من اثنين أو ثلاثة من المجربين . فلو تخيل متخيل ان اعين المجربين قد انيمت نوماً مغناطيسيًا فرأت ما ليس بموجود فهل أنيمت آلة التصوير أيضاً فرسمت ما ليس بموجود ؟

هذه امور خارقة للعادة تحققت علميًا وتكررت تجاربها ملايين المرات في كل اقطار العالم المتمدن منذ سبعين سنة وهي التي حولت الي المذهب الروحاني رؤوساً استعصت علي كل مؤثر في الارض . وسنأتي على أمثلة من هذه التجارب مع بيان التحوطات التي اتخذت لها فى مقالتنا التالية لهذه

(التحوطات التي تتخذ ضد الوسطاء)

لما شاعت أول حادثة لظهور الارواح فى هيدسفيل وخاض فيها الناس من كل قبيل استنكرها رجال العلم كل الاستنكار وجزموا بأنها خرافة روجها المدلسون لسلب أموال الناس واكتفوا بنفيها هي وامثالها مما شاع اذ ذاك على صفحات المجلات والجرائد ولم يتنزلوا لبحثها اعتقاداً منهم بأنها لاتستحق النظر . فلما كثر خوض الناس فيها وأخذ في الدفاع عنها بعض ذوي العقول الكبيرة من أمثال المستر (ادمون) رئيس مجلس اعيان الولايات المتحدة بأمريكا وعدد من الكتاب والادباء خف بعض العلماء لبحثها لا لظنهم ان فيها حقيقة تستحق الاعتبار ولكن

ليثبتوا الناس بالدليل المحسوس وجوه الاحابيل التى وقعوا فيها تحت تأثير الوسطاء الخادعين . فتناولوها بأسلوبهم العلمي الصارم وتحوطاتهم البالغة أقصى غايات الاحتراس وناهيك بقوم ماديين لا يعتقدون بوجود شيء في الكون غير المادة وقوتها وقد مرنوا من محاولاتهم العلمية على عدم التسليم الا لشهادات الآلات والموازين . فأبوا بعد طول التجربة وتكرارها الي التسليم بصحتها وكتبوا في ذلك كتباً بسطوا فيها كل ما اتخذوه من التحوطات لاثباتها . فتولى النقدة العلميون مباحثهم بالنقد الصارم ولاحظوا على تحوطاتهم أموراً اعتبروها نقصاً وزعموا انهم لو كانوا تداركوها لظهر لهم التدليس ظهور الشمس . فكان من يليهم في البحث من العلماء يستدركون كل ما لوحظ علي علي من سبقهم من النقص حتي بلغت بهم الوسوسة في ذلك الى حد ليس بعده مزيد . فكانوا يأتون بالوسيط الي جامعة من جامعاتهم أو معمل من معاملهم العلمية ويجردونهُ من ملابسه ويفتشونها ثم يدخلونه حجرة خالية من الاثاث الا كراسي وخواناً ويغلقون بابها ويختمونه بالشمع ويأخذون مفتاحها معهم ثم يجلسون الوسيط على كرسي ويربطونه عليه ربطاً قوياً بحيث يؤثر الرباط على معصميه وذراعيه وفخذيه حتي تستحيل عليه الحركة قيد انملة . ثم يسمرون أطراف الاربطة على الارض ويختمون العقد بالشمع ثم يضعونه هو وكرسيهُ في قفص من الحديد ويوصدون عليه بالاقفال ولا يكتفون بذلك بل يصلون به سلكا من آلة الجلوانومتر لتسجل عليه جميع حركاته وسكناته ثم لا يقنعون بكل هذا بل يوكلون به اثنين منهم يراقبانه طول مدة التجربة . وكان الذي يحدو هؤلاء العلماء لركوب هذه الخطة الصارمة جزمهم المطلق باستحالة وجود خارق للمادة في الطبيعة وباستمرار الحوادث فيها علي نواميسها المقررة وبان تلك الخوارق المزعومة هي من الشعوذة البالغة أقصى درجات التمويه والسبك . ولكن كانت تذهب كل تحوطاتهم سدي فيستمر ظهور تلك الخوارق على أتم ما يكون . فاضطروا امام هذه المشاهدات — وما يضطر أمثالهم لامرهين — أن يعترفوا علناً بوجود عالم روحاني بعيد المدي يمكن ان نتصل به بحضرة وسيط

حاصل على خاصة الوساطة بيننا و بينه

وقد تكررت هذه التجارب مع كل هذه التحوطات فى كل مدينة راقية على يد رجال يعتبرون في مقدمة أقطاب العلم العصري أتينا على ذكر بعضهم في مقالاتنا السابقة . وقد بلغ هذا المذهب من العمر أكثر من سبعين سنة وهو يزداد رسوخاً وتزداد مشاهداته وضوحا حتي اصبحت من الحقائق التي لايصح الامتراء فيها . ولم تكن تجارب هؤلاء العلماء انفرادية بل تألفت لهــا في كل عواصم البلاد المتمدنة الجمعيات ومنها ما يعد عمرها الآن بعشرات السنين . من أكبرها شأنا جمعية المباحث النفسية التى تأسست في لندرة سنة ١٨٨٢ واتخذت لها أعضاء من اعلام العلم الرسمى فى فرنسا وايطاليا وأمريكا وغيرها وهي لاتزال عاملة للآن فيكون عمرها سبعا وثلاثين سنة وقد دونت من مباحثها وتجاربها في عدة عشرات من المجلدات الضخمة وتولى عضويتها ورئاستها أكبر علماء الارض ممن لايصح اتهامهم بالقصور عن ادراك نقص الدليل ولا بالتقصير في اتخاذ أي ضرب من ضروب الاحتياط بل هم الذين علموا الناس أساليب البحث عن المجاهيل ووجوه الاحتراس للتجارب . ولايعقل ان هؤلاء الاراكين في العلم والفلسفة يبقون طول هذه المدة مخدوعين لايفرقون بين الشعوذة والظواهر النفسية علي كثرة النقدة المحيطين بهم . بل هم أنفسهم أئمة النقد وزعماء الشكوك

وقد استقدم هؤلاء العلماء اكبر الوسطاء الى دورهم من أقصى الارض وتكلفوا في ذلك الالوف المؤلفة من الجنيهات وصبروا على بحثهم السنين الطوال . وقد الفت كتب في تاريخ بعض وسطائهم منها كتاب وضعه المسيو (ساج) عن الوسيطة الامريكية (مدام بيبر) دعاه باسمها ووضع عليه العلامة الفلكي الاشهر (كاميل فلامريون) مقدمة طنانة ونحن ننقل للقراء بعض ماجاء فيه من طبعته الثالثة صفحة (٣١) :

متي عرض الانسان مشاهدات من هذا القبيل على القاريء فأول ما يتبادر الي ذهنه فرض التدليس . فيعتبر الوسيط خادعاً و يري انه قد دبر حيلة بمهارة في

على الخفاء . فالامر في نظره لا يعدو الاحتيال والتدليس . فلأجل متابعة هذه المباحث بفائدة يجب ابعاد هـذا الفرض ولـكن ليس ذلك بالامر السهل فان اكثر الناس جبلوا على ان يكبروا من فطنتهم الذاتية ويسيئوا الظن على وجه عام بفطنة سواهم . وتجد كلامنهم يعتقد في نفسه بأنه لوكان مع المجربين لـكشف الغطاء عن التدليس بأسرع مايكون . وعليه فلأجل اقناع الناس يجب ان لا يهمل أي ضرب من ضروب الاحتياط والتحرز ويجب استخدام جميع الوسائل لذلك وهذا هو الذى قام به مشاهدو مدام بيبر كما سيراه القراء »

ثم ذكر ما اتخذه المجربون عليها في أمريكا من ضروب الاحتياط حتي عينوا عليها وعلي جميع أعضاء بيتها الجواسيس ثم قال :

« ولـكن لأجل ابعاد فرض التدليس نهائياً رأي بعضهم ان يرفع مدام بيبر من البيئة التي هي فيها وينقلها الي مملـكة لاتعرف فيها احداً . وهذا هو الذي حدث فعلا . فان بعضاً من علية أعضاء جمعية المباحث النفسية دعوها الي انجلترة ليجربوا عليها هنالك فلبت دعوتهم ووصلت الى انجلترة في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٨٩ على الباخرة شيئا من بواخر شركة كونار . فخف لاستقبالها الاستاذ فريدريك ميرس الذي حزن لفقده حديثا علم البسيكولوجيا وأوصلها من ساعة قدومها الى بيته في كمبردج ولكنه في اللحظة الاخـيرة دعى الى ادمبورج فرجا صديقه الاستاذ اوليفر لودج (المدرس بجامعة كمبردج) ان ينوب عنه فى اضافة مدام بيبر فأضافها الاستاذ لودج في بيته هي وبنتيها الصغيرتين اللتين كانتا معها . وفى مساء ذلك اليوم نفسه عاد المستر ميرس وأرجعها الى بيته فى اليوم التالي :

فابتدأت التجارب على ذلك في كمبردج . الى ان قال :

« الخلاصة ان في مـدة الخمس عشرة سنة التي لبثها التجارب مع مـدام بيبر أخذ المجربون بكل الآراء التى ابداها المعارضون المـكذبون لاجل كشف التدليس وكان بعضهم من المتعنتين فلم يكتشف شيء من ذلك وذهبت جميع المجهودات سدي فيجب اذن ان يبحث عن علة هذه الخوارق في غير التدليس »

(الفرق بين الشعوذة والوساطة)

كثيراً ماشبه البعيدون عن التجارب الروحية الوساطة بالشعوذة والفرق بينهما كما رأيت عظيم جداً . فالوسيط يعري جسمه ويفتش ويربط ويوضع في قفص من الحديد ويوصل بجسمه سلك كهربائي لتسجيل أصغر حركاته عليه ويوضع تحت مراقبة صارمة ويقع في صرع شديد يلحقه بالجمادات . ولكن المشعوذ يكون مطلق اليدين والرجلين يذهب ويجيء بين المتفرجين لايسأل عما أخفاه من الادوات والآلات بل يحضر معه على مرأي من الناس من العلب والاسلاك والاواني ما يعتمد عليه في خدع أعين الناس . ويبث في وسط الحاضرين من مساعديه من يحتاج اليهم فى تمويه أعماله . والمتفرجون يعرفون كل ذلك ويرون له الحق فيه

ثم ان المشعوذ يعرف عنه انه درس هذا الفن وتتلمذ فيه لاستاذ وتمرن عليه تحت اشرافه سنين . ولكن الوسيط قد يتفق ان يكون بعض العلماء المجربين أنفسهم أو بعض زوجاتهم أو بناتهم ممن لم يدرسوا الشعوذة ولاتتجه اليهم ريبة .فكان الكاتب السياسي والاجتماعي الخطير (ستيد) الانجليزى واسطة لنفسه تستولي الروح على يده فتكتب بينما يكون هو مشغولا عنها بشيء آخر . وكذلك كان الاستاذ سنتون موزس المدرس بجامعة اكسفورد . وكان الوزير الروسى الخطير (اكزاكوف) يجرب على امرأته . وكان المستر ادمون رئيس مجلس أعيان الولايات المتحدة يجرب على بنتيه . ولما اجتمعت لجنة الجمعية الملكية الانجليزية لفحص خوارق الاسبرتزم وكانت مكونة من ثلاثين عالما كان واسطتهم واحدا منهم (راجع مقالتنا الاولي) . فما أعظم الفرق بين الوسطاء والمشعوذين وما أبعد وجوه الشبه بينهما !

(تعليل الخوارق التى تظهر بحضرة الوسطاء)

لما ثبت للعلماء المجربين صحة هذه الخوارق ثبوتا ليس معه تردد اخذوا في

تعليلها بالعلل المعروفة غير مبالين بما يدعيه سواهم من نسبتها الى ارواح الموتى .
فافترضوا افتراضات كثيرة وأطالوا الجدال فيها عشرات من السنين فلم يظهر ان
واحداً منها يصلح لتعليل جميع مشاهدات الاسبرتزم غير فرض واحد وهو عزوها الي
أرواح الموتي . وقد رضى هذا الفرض جمهور من العلماء الذين بحثوا هذا الموضوع
الا عددا منهم لايزال يرجيء رأيه الاخير ومع هذا فهو لايخفي عن الناس
انه يرجح التعليل المذكور . أما نحن فسنأتي علي مجموع هذه التعليلات ونبين وجوه
عدم كفايتها في التعليل الا الفرض القائل بوجود عالم روحاني وراء هذا العالم بأقلام
العلماء المجربين أنفسهم بعد ان نفرغ من الاتيان على بعض تلك التجارب وعلى
ضروب التحوطات التي اتخذت لها ليكون القاريء على بينة من تفصيلات هذا
الموضوع الخطير

***

(تجارب العلماء)

على الوسطاء

نشرنا هذه المقالة بمجلة المقتطف الصادر في شهر يونيو سنة ١٩١٩

لما ظهرت الحوادث النفسية تنفي بعض المقررات العلمية المعروفة تلقاها
العلماء اولا بصفير الاستهزاء ظنا منهم ان اوهام الازمان الماضية تحاول ان تستعيد
دولتها في عصر العلم التجريبي ولم يزيدوا على ذلك . فلما كثر ترددها أندفع بعضهم
لكشف حيل المدلسين مدرعين بالاسلوب العلمي الصارم . فلما قاومت كل مجهوداتهم
اتهموا مشاعرهم وحواسهم ولم يسلموا بتلك الظواهر وان كانت محسوسة لشدة
رسوخ المذهب المادي في نفوسهم . فزعموا انها من الخيالات التي تتراءى للانسان
وهو في حالة الاستهواء وفرضوا ان للوسطاء تأثيراً على المجربين يشبه تأثير النوم

المغناطيسي على المنوّمين فيرون الصور التي تطوف بخيال منيميهم كأنها حقائق مجسدة وما هي الا خواطر لا وجود لها في الواقع .

هذه شكوك لا تطوف برؤوس العامة ولا يعرفونها ولكنها من رجال العلم ضرورية فان الموضوع الذي كانوا بصدده في منتهى الخطورة فانه كان المعركة الفاصلة بين المذهب المادي والمذهب الروحاني في الحقيقة .

فكان الاستاذ الكبير كروكس الذي وفاه المقتطف حقه في الشهر الماضي من الرثاء يري أيدي تتكون أمام عينيه فتلمس الحاضرين وتسلم مصافحة وتمسك القلم فتكتب صحفا طويلة رداً على كل سؤال يوجه اليها . ويري أجساداً بشرية تامة تتكون امامه من مادتها الاولية فتكلمه وتسمح له بفحصها بكل وسائل الفحص العلمي وتجيب على أسئلته الفلسفية اجابات يقصر عنها الوسيط بل لا يفهمها . ورأي ألوف من العلماء غيره هذه المرئيات عينها في كل بلد متمدن فكان همّ هؤلاء العلماء ان يثبتوا أولا ان هذا الجسد المتكون شيء له حقيقة في الخارج وانهم ليسوا بمخدوعين بمظاهر خيالية ولدها ذهن الواسطة وأوجبها عليهم الاستهواء الذي قد يكونون وقعوا فيه بتأثيره . حتى اذا ثبت لهم ان تلك الظواهر ليست خيالية وانها مستقلة عنهم وعن الواسطة بحثوا عن حقيقتها كما يبحثون عن المحسوسات في عالم الشهادة . فعمدوا أولا الى استشهاد الآلة الفوتوغرافية فرسموا تلك الايدي والاجساد الكاملة واتخذوا لذلك من التحوطات مايليق بمكانتهم العلمية فكانوا يأتون بآلاتهم الخاصة وبزجاجات حساسة لم تمسها يد قبلهم ويتولون التصوير بأنفسهم فكانت شهادة الآلة موافقة لشهادة أبصارهم . والجمادات كما لا يخفى لا تقع في الاستهواء ولا تتأثر من الخيال . الا انهم لم يقنعوا بذلك فكانوا يأخذون خصلا من شعور تلك الاجساد المتكونة وقطعاً من ثيابها كما فعل الاستاذ كروكس والوزير الروسي اكزاكوف وغيرهما ليكون بقاؤها واستمرارها بغير حضرة الواسطة اكبر دليل على انها ليست بخيالات بل حقائق . فاستمرت تلك الاشياء موجودة وصرح كل أولئك العلماء وفي مقدمتهم الاستاذ كروكس بأن تلك الاشياء لا تزال موجودة عندهم وقد مضي على بعضها نحو

خمسين سنة

الا ان شكوك العلماء لاتقف عند حد فطلبوا المزيد لان المسئلة في حقيقتها معركة فاصلة بين مذهبين يتنازعان السلطة على عقول البشر منذ الوف من السنين فاخترع الاستاذ (دنتون) Donton الجيولوجي الامريكي المشهور وسيلة حاسمة لهذه الشكوك وهي أخذ قوالب تلك الاعضاء بواسطة البارافين الذائب وقد نشر اكتشافه في مجلة (البنر اوف لايت) الامريكية ونقله عنه الوزير الروسي المشهور (الكسندر اكزاكوف) في كتابه المسمى (الانيميسم والاسبرتسم) وهو أشهر واكبر كتاب في علم الارواح لانه ثمرة جهود هذا الرجل العظيم في مدي خمس وخمسين سنة وقد ترجم الى عدة لغات . قال الاستاذ دنتون :

« علمت أخيراً انه لو غمس أصبع في البارافين الذائب وترك حتي برد تأتى للانسان ان يسحب اصبعه منه بسهولة ثم اذا ملئ هذا القالب بالجبس امكن الحصول علي شكله بالدقة فكتبت للمستر هاردي ارجوه ان يجيء الى جلسة للتجربة مع مدام هاردي ولم اكشف له عن الطريقة التى نويت الجري عليها . فما لبث ان دعاني الى بيته فذهبت اليه ومعى شيء من البارافين والجبس فوضعت البارافين ذائبا تحت خوان وجلست مدام هاردي واضعة يدها عليه وجلست انا والمستر هاردي الي جانبها ولم يكن معنا غيرنا

« بعد قليل سمعنا حركة في اناء البارافين و بواسطة القرع على الخوان أمرت الروح مدام هاردي ان تقدم يدها بضع سنتيمترات ففعلت ولم تلبث ان حصلنا علي عشرين قالبا لاصابع ذات حجوم مختلفة منها اصابع اطفال واصابع كبيرة للغاية وكانت الخطوط الجلدية ظاهرة فيها اكمل ظهور وكان طول اكبر ابهام منها يبلغ ضعفي طول ابهامي وكان أصغرها يبلغ طول اصبع طفل عمره سنة واحدة

« بينما كانت تحدث هذه القوالب كانت يد الواسطة علي بعد قدمين على الاقل من البارافين . فالفت انظار الوسطاء الي هذا الاسلوب فانه يثبت للمنكرين حقيقة تلك الاشباح ووجودها مستقلة عن جسم الوسيط » انتهي

وكتب هذا الاستاذ بعد ذلك الى مجلة (البنر اوف لايت) يقول :

« رأيت أثناء التجارب ظهور الاصابع المتجسدة مغطاة بالبارافين مراراً عديدة »

قال الوزير اكزاكوف في كتابه المقدم ذكره صحيفة ١٣٢ من النسخة الفرنسية الطبعة الثالثة :

« تصور الاستاذ دونتون اقامة الدليل التالى وهو انه وزن البارافين قبل التجربة ثم وزن ما بقي منه بعد التجربة مضافة اليه القوالب التى أخذت فكان وزن الجميع مساوياً للوزن الاول تماما . وقد جرب هذا الوزن على رؤوس الاشهاد مراراً كثيرة امام جم غفير بواسطة لجنة عينها الجمهور نفسه . وقد أعيدت هذه التجارب في بوستون وكارلستون و بورتلند و بالتيمور ووشنجتون وغيرها من المدن فنجحت في جميعها نجاحا تاماً . ولكن النقاد لم يعتبروا مع هذا أنفسهم مقهورين فزعموا ان الوسيط يمكنه ان يرفع بيده او برجله جزءا من البارافين يخفيه بوسيلة من الوسائل فطلبوا ان يوضع الوسيط في كيس وان يربط من عنقه وعملت التجارب معه وهو على تلك الحالة امام الجمهور نحو عشرين مرة فكانت النتائج ثابتة تحت مراقبة اللجنة التي عينها الجمهور نفسه

« ولكن هذه التحوطات لم تقنع المنكرين فزعموا ان الوسيط يمكنه ان يفتق الكيس ويخرج منه يديه ويعمل ما يريده ثم يخيطه ثانية ولو ان اعضاء لجنة المراقبة لم يشاهدوا مايبرر هذا الفرض . فعزموا ان يتخذوا تحوطات أخري تصلح لاعطاء البرهان القاطع المطلق علي صحة هذه التجارب فاقترحوا ان تؤخذ القوالب داخل صندوق مغلق بمفتاح . قالوا اذا نجحت التجربة مع هذا الاحتياط الجديد كان برهانا دامغا وحاسما . فاليك وصف الصندوق الذي عمل خصيصا لهذه التجارب باشارة الدكتور جاردنر »

ثم وصف الصندوق بأنه من الخشب المصفح داخله بالحديد وخارجه بشبكة من ذلك المعدن ايضا وجعل له اقفال متينة واطال في ذلك ثم قال :

« واذا كنا قد أطلنا في بيان تفصيلات هذا الجهاز فذلك لان عليه يقوم الحكم

بنزاهة الوسيط

« حضرنا بعد ذلك عند مـدام هاردي وكان المجر بون الكولونيل فريدريك بوب وجون وتيرلي و ج . س درابر وايبس سارجنت ومـدام دورا بريغام والمسيو هاردي وزوجته . فبدأ الكولونل بوب وهو خبير بالنجارة ففحص الصندوق من كل جهاته وتقدم المجربون فأطالوا البحث فيـه . ثم أرادوا ان يتحققوا هل من الممكن توسيع ثقب من الثقوب بآلة حديدية ثم أعادته الي ما كان عليه فحاولوا ذلك فوجدوه مستحيلا

« وضع الصندوق وجاء المستر وتيرلى بوعاء فيه ماء بارد فى غاية الصفاء فوضعه في الصندوق بعد ان فتشه جميع الحاضرين . ثم أتي بوعاء آخر فيه ماء مغلي وعلى سطحه قشرة ذائبة من البارافين و بعد فحصه بدقة أيضا وضع في الصندوق واقفل بالاقفال. ولزيادة الثقة ختمت ثقوب تلك الاقفال بالشمع وختمت به كذلك جميع جهات اتصال الغطاء بالصندوق ثم جعل عليه غطاء من القماش

« بعد اربعين دقيقة سمعنا قرعات سريعة حادة آذنتنا بنجاح التجربة فتركنا اماكننا ورفعنا الغطاء وفحصنا الاختام فوجدناها لم تمس ثم فحصنا الصندوق فوجدناه على ما كان عليه فرفعنا الشمع وفتحنا الاقفال فوجدنا قاليا ليد عائما علي سطح الماء فاضطررنا ان نستنتج من ذلك ان قوة لها خاصة التجسد عملت ذلك القالب ووضعته في وعاء الماء ولم يكن بينه و بين الوسيطة أقل شبه»

فاليك النتائج التي وصلنا اليها :

(١) حدوث قالب يد آدمية فى حجم اليد الطبيعية بواسطة قوة مجهولة

(٢) الشروط التى حدثت فيها التجربة لاتدع ظلا من شبهة يحوم حول نزاهة الوسيطة

(٣) كانت كل التحوطات من العناية والدقة بحيث تنفي كل شبهة فى التدليس وفى تأثير الوهم ولذلك فنحن نعتبر شهادتنا نهائية

(٤) هذه التجربة حققت ما شاهده الباحثون من قبل وهو ان ايديا

قد تتجسد فتمتاد بعقل منبعث من كائن غير مرئي ويمكن نظرها ولمسها

(٥) حدوث قوالب من البارافين بانضمامها الى شهادة آلات التصوير يتألف منهما برهان محسوس على تأثير قوة عاقلة خارجة عن الاجساد المرئية وهذه التجارب تصلح ان تكون قاعدة للابحاث العلمية

(٦) كيفية حدوث هذه القوالب داخل الصندوق تؤدي الى آراء سيكون لها اكبر تأثير علي فلسفة المستقبل وعلى المسائل النفسية والفزيولوجية وستفتح افقا جديدا المباحث في القوي الخفية وفى مستقبل الانسانية »

ثم يلى هذا المحضر امضاآت المجربين

قال الوزير اكزاكوف عقب ايراده هذا الكلام ان لهذه التجربة صبغة كافية من الصحة اذا نظر للاشخاص الموقعين عليها نخص بالذكر منهم الاستاذ دنتون والدكتور جاردنر وقد كتب المستر ايبس الكاتب الكبير الى مدير مجلة الاسبريتواليست بلوندرة ما يأتى :

« لقد شهدتُ التجارب المذكورة فانا أضمن الصحة التامة للمحضر الذي قدم عنها »

ثم نقل الوزير اكزاكوف شهادة النحات الامريكي المشهور (جون دو بيان) في الجبس المنصب في ذلك القالب وغيره قال :

« أشهد بأني نحات ونقاش امارس صناعتي منذ ٢٥ سنة منها عدة سنين أمضيتها في ايطاليا لدراسة أعمال كبار أساتذة النحت والتصوير وقد عرض عليّ المستر هاردي شبه أشكال من أيد عملت من الجبس ذات حجوم مختلفة ففحصتها في ضوء حاد بواسطة الزجاجة المكبرة فرأيت ان كلاً منها يعتبر من الاعمال الدقيقة العجيبة لانها تظهر جميع الدقائق القشرية والبروزات والانخفاضات الجلدية بدقة ومهارة لم أستطع للآن مجاراتها في أي يد صنعتها أو فى أي جزء آخر من أجزاء الجسم البشري اللهم الا اذا أخذت بواسطة الصب المباشر على الجسم أو على أي جزء آخر منه

« وأني أعلن هنا عن طيب خاطر بأن هذه القوالب لو تحصل عليها بأية طريقة من الطرق فانها تشرف أكبر صناع العالم. الخ الخ

الامضاء (جون دوبيان)

قال الوزير اكزاكوف وقد اشترط في التجارب التي اجريت في انجلتره بواسطة الدكتور مونك ان تقدم الارواح القوالب وهي لا تزال في أيديها للحاضرين فاليك بعض ما كتبه المستر (ريمرس) في ذلك (وهو من قضاة الانجليز) قال:

« بعد ان سمعنا حركة الماء أمرت ان أقف مكاني واستلم القالب بيدي فرأيت رجلا ممدودة اليّ وعليها القالب فامسكت به فانسحبت منها الرجل بسرعة البرق تاركة القالب في يدي »

وذكر الوزير المذكور عن تجارب المستر تيبدمن مارتيز والمستر اوكسلي والمستر ريمرس بأنهم ادخلوا الوسيط في كيس من التل وجعلوا رأسه في داخله ثم عقدطرفه عدة عقد وجعل عليها عقدة خفيفة من الورق تسقط اذا تحرك أقل حركة وشبكت أطراف الاربطة بالدبابيس في ظهر الوسيط وشهد جميع المجربين بأنه يستحيل على الوسيط ان يخرج من الكيس بدون ان يري

ونقل المؤلف المذكور عن الدكتور (روبيرت فريز) تجاربه في اخذ القوالب بلوندرة فذكر فيما كتبه قوله:

« اذا أخذ القالب على يد عادية فيستحيل سحبها منه فان محيط المعصم أصغر بنحو بوصة ونصف البوصة من محيط الكف فلا يمكن سحب اليد الطبيعية من القالب الا اذا تمزق. فيمكن تعليل سحب الروح المتجسدة ليدها منه بدون تمزيقه انها تنحلل فيه وتتركه »

ونقل الوزير المذكور ما كتبه المستر (ديسمون فيتزجيرارد) العضو بجمعية مهندسى التلغرافات بلوندرة وهو قوله عقب ذكر تجاربه التى عملها والتحوطات التي اتخذها:

« لاجل فك الوسيط من اربطته اضطررت ان اقطع تلك الاربطة لعدم

نجاحي في حل عقدها وأستطيع أن أؤكد بأن موضع الوسيط وحالة الاربطة كانت بالضبط في آخر الجلسة على ما كانت عليه في أولها »

(ادخال الوسيط في قفص من الحديد)

لما حار الشاكون في أمر حصول هذه القوالب رأي الدكتور ادشيد الانجليزي كما نقله عنه الوزير اكزاكوف ان يدخل الوسيط في قفص من الحديدوان يقفل بابه لا بمفتاح بل بالمسامير ذات البرغي (أي ذات القلاووز) فرأي رغماً عن هذا التشدد كله تجسد روح امرأة ثم تجسد روح رجل جلس اليه كلاهما واعطوه هو والمجربين معه قوالب لارجلهما

هذا بعض التجارب التي عملت لاخذ القوالب في أكبر عواصم العالم المتمدن وعلى أيدي رجال سرت الشكوك مع دمائهم وهي تثبت بالحس ان المجربين لم يكونوا مخدوعين ولا مصابين بالاستهواء وان تلك الاشباح المتجسدة لها وجود حقيقي في الخارج وليست بصور خيالية . وانى أترك للقراء الحكم على تلك التحوطات وعلى قيمة المجربين وأذكرهم بأن هذه التجارب تعمل منذ سبعين سنة الي اليوم ولم يستطع منكر اثبات التدليس فيها . وليست هذه التجارب بشيء في جنب ما سيراه القراء . فالحدث الذي حني رؤوس أقطاب المذهب المادي وأركان العلم الرسمي في أوروبا ليس بالشيء الصغير . ولا عجب ان حنت هذه المشاهدات ارفع الرؤس فان المكابرة في المحسوسات ليست من العلم ولا من الحكمة . والكون كبير وقواه لا تحد وما علمناه منهما بواسطة حواسنا الخمس القاصرة لا يعد بجانب مالم نعلمه شيئاً فيا صاح لا تقنع بانك صاح

لما نشرنا هذه المقالة جاء في الجزء نفسه من المقتطف ما يأتي :

﴿ الامتحان العلمي ﴾

في المباحث النفسية

كل ماوقفنا علي نتائجه قبل الآن من الامتحان في المباحث النفسية إما قام به شخص واحد فوجب ان تكون نتيجته حسب هواه أو استعداده أو اقتناعه السابق أو تغلب الوهم عليه . وأما قام به اثنان أو ثلاثة في يوم أو يومين أو أيام قليلة فكان عرضةً للخطإ أيضاً ولذلك لم تصبح هذه النتائج من الحقائق العملية مثل غيرها من المكتشفات الحديثة كالتلغراف السلكي واللاسلكي والتلفون السلكي واللاسلكي والاحتراق الداخلي الذي بني عليه استنباط الاتوموبيل والغواصات والطيارات وكاصل الامراض المنسوب الي المكروبات وعلاجها بالمصل المستخرج منها ونحو ذلك مما امتازت به السنون الخمسون الاخيرة . ولا عبرة بما يقال من ان الارواح استُخدمت في اكتشاف مواقع المياه في الارض والاستدلال على الخبآت والانباء بما أصاب بعض الجنود في الحرب فان ذلك كله مشمول بالريب ولو كان صحيحاً لذاع في أطراف المسكونة ورأينا العمل به في هذا القطر كما نري العمل بالتلغراف والتلفون والطيارات والاتوموبيلات والتطعيم بالمصل في علاج الدفتيريا والتيفويد

وبعد فقد وقفنا الآن في مجلة ناتشر الصادرة في ١٧ ابريل الماضى على خلاصة امتحان مستفيض في المباحث النفسية في اعظم معهد علمي بأمريكا . ذلك ان المستر توماس ستانفرد اخا الالند ستانفرد منشئ الجامعة الشهيرة في كاليفورنيا وهب تلك الجامعة عشرة آلاف جنيه لكي تستخدمها في المباحث النفسية . وكان

الدكتور جوردان العالم الشهير رئيسا لتلك الجامعة فسأل أساتذة فرع العلوم النفسية هل يقبلون هذه الهبة ويتولون هذا البحث فترددوا أولا في قبولها ولكنهم عادوا ونظروا في الامر واستشاروا اساتذة الجامعات الاخري فقر القرار اخيراً على قبول الهبة والجري فى الامتحان وعينوا الدكتور كوفر لادارة هذا العمل وهو من اكبر علماء البسيكولوجيا (اي علم النفس او الفلسفة العقلية) وقد نشر الآن تقريره الاول وهو مجلد ضخم فيه ٦٦٣ صفحة

وفي القسم الاول من هذا الكتاب خلاصة التجارب التي جرّبت في التلبثي أى انتقال الافكار لحزر أوراق اللعب ونقط الزهر وما أشبه فكانت نتائج عشرة آلاف امتحان على مدقق اجريت في تلامذة المدرسة الذين يميلون الي الاعتقاد بقراءة الافكار سابية كلها

ثم أجريت التجارب فى عشرة من شديدى الشعور النفسى وخمسة منهم وسطاء في السبرتزم وكلهم من المخلصين المتقدين بصحة شعورهم وقد تبرعوا لاجراء الامتحان فيهم من غير أجر فكانت نتيجة الف امتحان ان شدة الشعور النفسى لاتفيد أكثر من الوسائل العادية أي ان حزرهم لم يزد علي مايتفق حدوثه حسب قواعد الصدفة

والتجارب التي أجريت لاثبات انتقال الشعور من شخص الى آخر كانت نتيجتها كلها سلبية أي لم يثبت منها انتقال الشعور

أما التجارب التي جُرّبت لمعرفة تأثير العقل الباطن كما أشار الفيلسوف برغسن فدلت على وجود شيء من الشعور لايتناوله الوجدان فى الغالب ولكنه مستعد لدخول الوجدان ويدخل فعلا في وجدان بعض الناس والمرجح انّ لهذا الشعور يداً في مايروي من حوادث التلبثي أو انتقال الافكار كما اثبت البعض

ومما امتُحن أيضاً ما يتصور الانسان انه سمعه اذا كان الكلام الذي سمعه غير واضح تماما سواء كان الكلام من فم متكلم في الهواء أو بآلة كالتلفون أو الدكتافون فظهر انه لايمكن الاعتماد علي الاذن في سماع الاسماء والجمل اذا سمعتها في أحوال

تمنع وضوحها

وختمت مجلة ناتشر ما كتبته عن هذا الكتاب بما مفادهُ ان الدكتور كوفر قام بما طلب منه ونشر نتائج تجارب على غاية الدقة قام بها رجل مجرَّب

هـذا ماوصل اليه البحث العلمي الدقيق حتى الآن ولـكن هـذه النتيجة لا تنفي ان يتصل البحث والتحقيق غداً الى اثبات أمور كثيرة لم يستطيعا اثباتها حتي الآن لانه يبعـد عن العقـل ان لاتثبت الارواح وجـودها بأدلة مقنعة كما انه لا يستحيل ان يكون شـعور الانسان لا يزال ضعيفاً وقـد يرتقي حتى يدرك ما لا يدركه الآن

***

هذا مانشره المقتطف في ذلك الجزء ووجدنا في باب المسائل منه أيضا ردا له على سؤال وجهه اليه أحد قرائه تصدي فيه لهذه المباحث ونحن ننشر السؤال والجواب عليه كما ورد ثم نرد عليه وعلى المقالة معا فاليك :

(١) السر وليم كروكس والسبرتزم

مصر . طالب علم . اراكم تخطئون السر وليم كروكس في اعتقاده صحة مناجاة الارواح مع اعترافكم بأنه من اكبر العلماء الطبيعيين المكتشفين . افلم يكن علمه كافياً لان يعصمه من الانخداع اذا كان الوسطاءُ خادعين حقيقةً

ج . ان العلم بشيء لايستلزم العلم بكل شيء فاكبر علماء الشرع لايستلزم علمهم به ان يعلموا أيضاً أصول علم الهندسة أو أصول علم الطب اوأصول علم الـكيمياء . بل ان النابغين في علم من العلوم قد يمنعهم نبوغهم فيه من ادراك غيره حتي لقد ادَّعى بعضهم ان النبوغ في أمر نوع من الجنون أو يلازمه شيءٌ من البله في أمور أخري . ونحن نبرئ السر وليم كروكس من ذلك ولـكننا لا نبرئه من الانخداع فقد اعتقد ان الوسيطة مس كوك « علي تمام الصدق والاخلاص » فوثق بها تمام الثقة . واعتقد أيضاً ان الوسيط هوم من الصـادقين واستعمله كثيراً كوسيط في مباحثه النفسية . لـكن هوم هذا قال للمسيو فلامريون الفلـكي الشهير ان مس كوك دجالة وقد خدعت

السر وليم كروكس . وهذا نص عبارة فلامريون فى كتابه الاخير المطبوع بباريس سنة ١٩١٧

(هنا أورد المقتطف عبارة كاميـل فلامريون باللغـة الفرنسية ثم أورد ترجمتها بقوله)

اي قال لي المسيو هوم نفسه ان رأيه ان مس كوك خدَّاعة ماهرة وقد خدعت ذلك العلامة الشهير بدناءة

وقال فلامريون في مكان آخر من كتابه هذا

(وهنا أورد أيضاً عبارة الاستاذ كاميل فلامريون باللغة الفرنسية ووضع ترجمتها كما يأتي :)

«اي ان المشاهدات التي شاهدتها مدة اكثر من أربعين سنة لم تثبت صحة شيء بل اثبتت لي عكسه »

ونحن لم نر من المشاهدات قدر ما رأي فلامريون ولكننا رأينا منها (مدة اكثر من أربعين سنة) ما اقنعنا بأن اعمال الوسطاء كلها من قبيل الشعوذة والخداع والانخداع وقد يخالطها شيءٌ من محفوظات العقل الباطن ينطق به الوسيط وهو لايدري . وهي سخيفة تافهة الي حد ان قلنا فيها مرارا ماقاله الشهير هكسلي وهو « انني افضل ان اكون زبالا هنا على ان اموت وتأتي روحي الي وسيط فتنطق بالسخافات التي تنطق بها الارواح بلسان الوسطاء المأجورين بجنيه كل جلسة »

وقد نقلنا الشواهد المتقدمـة من مقالة للكاتب الكاثوليكي الشهير وليم للي w. s. Lilly نشرت في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشروهو يعتقد ان الارواح تحضر لحيانًا في جلسات الهينوتزم ولـكنها ليست أرواح الموتى كماندعي بل ارواح الشياطين . فخلَّصنا من ورطـة ليوقعنا في شر منها والعقول مختلفات أما نحن فقد رأينا الذين يصابون بالاستهواء يتكلمون بخفة روح كالحشاشين في أول تحشيشهم ويظهر لنا ان تنبه الفريقين من قبيل واحد (انتهي كلام المقتطف)

***

فرددنا نحن على مقالة المقتطف وجوابه علي السؤال بهذه الرسالة وقد نشرت فيه بجزئه الصادر فى يوليو سنة ١٩١٩

﴿ تجارب العلماء ﴾

علي الوسطاء

أرى من متعلقات هذا المبحث ان آتى بكلمتين في بيان معني المباحث النفسية فقد غمض على القراء التفرقة بين معني هذه الكلمة في مقالاتي ومعناها فيمقالة المقتطف التي وضعها فى صفحة ٥٤٤ عنواناً للجملة التي اقتطفها من مجلة ناتشر الامريكية فنقول :

كلمة psYCHisme تطلق ويراد بها جميع المباحث المتعلقة بالنفس فمنهامباحث في المغناطيس الحيواني، وأخري للحالات المختلفة للاستهواء وغيرها ، في التلبثي وهي تأثير نفس الحي على نفس أخري لحى آخر من بعد . ومنها مباحث فى العقل الباطن ومنها مباحث في خواص الوساطة وما يحدث بسببها من الاتصال بالعالم الروحاني ومخاطبة العوالم التى فيها ، وظهور الخوارق للمادة بتأثيره . كل هذه الابحاث توصف بكلمة (بسيشيك) أي نفسية . فالفرع الذي بحث فى جامعة كاليفورنيا هو المسمى بالتلبثي والعقل الباطن ولسنا نعول عليهما فى مبحثنا فى المقتطف لان المسلك اليهما وعر وهما حديثا عهد بالظهور ولم تتهذب وسائل التجربة فيهما بعد . ولكنا هنانعول على الفرع المثبت للعالم الروحاني والاتصال بالاحياء التي فيه ، والخوارق التى تحدثها للمجربين . هذا هو الاصل في هذه المباحث وعليه المعول في اثبات العالم الروحاني وقيام الروح مجردة عن المادة . فسواء استطاع اساتذة جامعة كاليفورنيا ان يثبتوا التلبثي التى اثبتها اساتذة جامعة كمبردج الانجليزية (لدج وميرس وهودجسون) او لم يستطعوا فالعالم الروحاني مثبت بالتجربة بخواص الوساطة التي نتكلم عنها هنا

ولعل المقتطف يريد من قوله عن هـذا المبحث : « إما قام به شخص واحـد فوجب ان تكون نتيجته حسب هواه أو اسـتعداده او اقتناعـه السابق او تغلب الوهم عليـه وإما قام به اثنـان او ثلاثة في يوم او يومـين أو ايام الخ » قلنـا لعل المقتطف يريد بهـذا القول مبحث التلبثي أما مبحث خواص الوساطة والاتصـال بالعـالم الروحاني الذي نتكلم عنـه هنا فلا ينطبق عليه هـذا القول فان أول قرار علمي صدر في اثباته كان من لجنـة الجمعية العلمية الانجليزية وكانت مؤلفة من ثلاثين عالماً من أركان العلم العصري وقد استمروا في بحثها ثمانية عشر شهراً . وتقريرهم المفصل الذي رفعوه مطبوع في مجلد ضخم بالانجليزية والفرنسية ولغات أخرى . وقد تألفت في أمريكا وانجلترا وفرنسا جمعيات للبحث تعـد بالمئات نأتي على أسمائها وعنوانات مجلاتها ان طلب منا ذلك . أشهر هـذه الجمعيات جمعية المباحث النفسية التي تأسست في لوندرة سنة ١٨٨٢ أي منذ سبع وثلاثين سنة ولا تزال موجودة للآن وهي مؤلفة من اكبر علماء الانجليز ولها مجـلة خاصة ولفروعها بفرنسا وامريكا مجلات أيضاً . يدير مجلة الفرع الفرنسي الاستاذ شارل ريشيه العضو بالمجمع العلمي والمدرس بالجامعة الطبية بباريز

فهذا الفرع بحثته الجماعات لا الافراد ودام البحث فيه عشرات السنين لا يوماً ولا يومين حتى صارت مشاهداته أقرب من مشاهدات علم الطبيعة وعدد مجلاته اكثر من عدد المجلات الطبية منها مجلة (المغناطيس والعلوم النفسية) وهي تصدر منذ ٧٣ سنة و (المجلة الروحية) وعمرها ٦٢ سنة وغير ذلك مما لا تكفيني في بسطه عشرات الصفحات

ولست اختم هذا الفصل حتى انبه القارىء الى تدليس أحـد رجال المذاهب والي فضيلة المقتطف . ذلك ان المقتطف في رده على سؤال طالب علم صفحة ٥٩٧ أتى بجملتين للعلامة (كاميل فلاماريون) نقلا عن مقالة للمستر (وليم للى) ظهر من ورائهما العلامة فلاماريون من أشد المنكرين للمباحث النفسية . وأي انكار بعـد أن يقول جربت اكثر من أربعين سنة فثبت لي عكس مايقال

قرأت هذا الكلام فدهشت لاني أعرف ان كاميل فلامريون يكتب في اثبات العالم الروحاني بالتجربة الي مايو الماضي . فتناولت كتابه الذي نقل منه القس ولسيم الي فلم اتمالك نفسي من الضحك اذ وجدته فعل بكلام العالم الفلكي ما فعله بعض الرافضة بالقرآن الكريم في آيتي « لاتقربوا الصلاة وانتم سكاري » « وويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » فأخذ المستر وليم الي صدر كلام فلامريون وترك بقيته فجاء المعني مباينا لما قصده المؤلف ومظهراً له بغير صورته الحقيقية واليك تكلة هاتين العبارتين :

جاء في عبارة العلامة فلامريون بعد قوله : « وقد خدعت ذلك العلامة الشهير» قوله « وانه هو وحده دانيال دوجلاس هوم الوسيط الوحيد الذي يمكن ان يوثق به ثقة مطلقة » ومن الغريب ان الاستاذ المؤلف وضع هذه الجملة الاخيرة بالخط الواسع ادلالا على غاية الاستهزاء بالوسيط هوم . ثم قال عقب ذلك :

« والذي علم وشاهد منافسات الوسطاء ، وهي لاتفترق عن منافسات الاطباء والممثلين والموسيقيين والنساء، لايري لحديث المستر هوم هذا قيمة حقيقية ذاتية» انتهي فالاستاذ كاميل نقل قول هوم مستهزئا به لامثبتاً له

وقد سلك (وليم الي) هذا المسلك عينه في عبارته الثانية . وذلك ان (كاميل فلامريون) بعد ان سرد مشاهداته ومشاهدات غيره في كتابه (القوي الطبيعية المجهولة) أراد ان يجد لها تعليلا علمياً ففرض جميع التعليلات ومنها التعليل القائل ان هذه الخوارق من عمل أرواح الموتى فلم يقبل هذا التعليل (١) وقال انه في مدي بحثه أربعين سنة لم ير ما يؤيده مع اعتقاده صحة المشاهدات ورأي ان يعزوها اما الي مجموع عقول المجربين أولا رواح مجردة مجهولة الطبيعة

ثم قال بعد ذلك في صفحة ٥٨٨

« ومع ذلك فان الفرض الروحاني يجب حفظه في مستوي الفروض السابقة

(١) (المقتطف) ان القرينة في جوابنا وفي كلام المستر الي تفيد نفي فلامريون لمناجاة أرواح الموتي لاغير

لان المجادلات لم تدحضه الى الآن »

ثم زاد في هامش تلك الصفحة قوله :

« كان تحت نظري حديثاً مشاهدات تشهد لهذا الفرض (الروحاني) . فالاولى والثانية من الاحدى عشرة مشاهدة يمكن ان تكون عرفت من القواميس والثالثة والخامسة من الجرائد (أي سرت روح الوسيط فقرأت ذلك عندما سئلت عنه في القواميس والجرائد) ولكن بالنسبة للسبع الاخري نري انقبول صحة شخصية الروح هو أحسن الفروض المفسرة لها »

ومن المدهشات ان العلامة (فلامريون) الذي أظهره لنا المستر لي بمظهر أشد المنكرين أنحى بأشد اللوم على الذين ينكرون صحة هذه التجارب بعد انجازت كل أدوار الامتحانات فقال بعد تأنيبه للمنكرين

« هذا التعليل الساذج الذي مؤداهُ ان كل ما في هذه الظواهر تدليس قد عرضناه كثيراً في هذا الكتاب وجادلنا فيه ودحضناه . وقد صار قرائي يعتبرونه فيما ارجو محكوماً عليه حكما تاماً مطلقاً نهائيا ومطروحا خارج دائرة البحث » انتهي

ولكن بقدر ما أضحكني تدليس المستر (وليم لي) اعجبني المقتطف في عزوه الكلام الى ناقلهِ وتحميلهِ تبعته وهذا من التحفظ الذي يجب على كل متكلم فى العلم ان يتوخاه

(عود لموضوعنا الاول)

أكتب هذا الفصل و بين يدى عشرات من مؤلفات العلماء وتقارير الجمعيات وكلها خاصة بالتجارب الروحية في كل ضرب من ضروب القوي النفسية فما على الا ان اختار ولن اختار الا تجارب أهل العلم الطبيعي فهم اعلم بسلامة الدليل وطرق الامتحان وفي قلوبهم من الجمود الالحادي ما يحملهم على زيادة التدقيق فكلمة واحدة من مثل وليم كروكس أو اوليفر لودج اوسيدجويك تفوق في نظري مئة الف كلمة

من كلمات ستيد وساردو وفيكتور هوجو من كبار الكاتبين ونبغاء الشعراء من المصدقين بالاسبرتزم . ولو كان الذي يشهد للاسبرتزم عالم او عالمان لقلنا مجنون أو مجنونان، ولكن عددهم اصبح يقدّر بالالوف وفى كل امة متمدنة فلا يعقل ان البله والجنون يشمل هذا العدد العديد من رجال العلم النابهين في مدي سبعين سنة

بعد ان تحقق اهل العلم ان ما يحدث من الخوارق في أثناء تجاربهم ليس بخيالات عمدوا الي النظر في القوة العاقلة التي تحدث هذه الظواهر وتدعى انها من سكان العالم الروحاني . فقالوا ان لم تأتنا هذه القوة بدليل معنوي يمكن الركون اليه سهل تعليل حصول تلك الخوارق بتأثير روح الوسيط أومجموع ارواح الحاضرين اومن عامل آخر يبحث عنه .

لهذا اهتم العلماء كل الاهتمام بالحصول العقلى لهذه التجارب فسألوا تلك الكائنات عن مسائل شتى في العلم والفلسفة والامور الغيبية ليتحققوا مما اذا كانت كانت الاجوبة التى تعطيها عنها يمكن تعليلها بأنها صادرة من عقل الوسيط او عقل احد الحاضرين نقلها من طريق قراءة الافكار (وان كانت قراءة الافكار من متعلقات العالم الروحاني ايضا) . فنختار من الوف التجارب التي بين ايدينا ثلاثا احداها موضوعها اجابة الروح على مئة مسألة علمية من اعوص المسائل . والثانية حلول مسائل فلكية والاخبار بوجود جرم سماوي قبل اكتشافه بثمانية عشر عاماً . والثالثة اتمام الروح لنصف رواية كان وضعها الكاتب الانجليزي الطائر الصيت ديكنز ومات قبل اتمامها فجاءت روحه فاتمتها امام اعين المجربين

١ — اجابة على مئة مسألة علمية

كتب العلامة ب . ت باركس BaRkas الجيولوجي الانجليزي العضو بالجمعية

الجيولوجية في مجلة (اللايت) الانجليزية يقول :

« دعيت لحضور سلسلة من جلسات روحية تجريبية في بيت امرأة ليست من الوسيطات المأجورات تربيتها العلمية عادية فالقيت عليها مسائل كنت احضرها في اثناء التجربة وكانت تجيب عليها كتابة في جلسات تستغرق الواحدة ثلاث ساعات . فدأبت على ذلك ٣٦ ليلة فجاءت الاجوبة من السداد والقوة بحيث لا يوجد في انجلترا كلها فيما يرجح رجل واحد يستطيع ان يجيب اجابات بهذه الدقة في مثل هذه الاحوال على كل هذه المسائل » .

وجاء في مجلة (بسيكولوجيال رفيو) الانجليزية ذكر عن هذه التجارب في الصفحة ٢١٥ من مجلدها الاول قالت :

« لا يجوز أن يغيب عنا ان الوسيطة تربيتها عادية وكانت محاطة برجال يراقبونها بيقظة وكانت المسائل تحضر وقت انعقاد الجلسة وهي تجيب عنها كتابة بسرعة زائدة كأنها ترتجلها ارتجالا ثم لا تعود بتصحيح بعض ما كتبته . وكانت هذه المسائل من علوم شتى لا تميل اليها النساء عادة . ويؤكد الذين عرفوها فوق ذلك انها لا تهتم بالعلم ولم تقرأ في حياتها كتاباً علمياً واحداً »

وقال الوزير الروسي اكزاكوف في كتابه (الانيميسم والاسبتزتسم) عن هذه التجربة في صفحة ٣٢٣ :

« كان اكثر المسائل يحضرها الاستاذ باركس اثناء التجربة ولا يطلع عليها أحداً من الحاضرين . وكانت الوسيطة تكتب الاجوبة عليها في الظلام وهي متنبهة »

ثم سرد الوزير عدداً من تلك المسائل وما اجابت به الروح عنها ونحن نختار سؤالين منها ليرى القراء مبلغ صعوبتها وهما :

(١) هل تستطيع ان تقول لي (يخاطب الروح الذي يحرك يد الوسيطة) كيف يمكن حساب العلاقة التي تربط الذبذبات النوعية للهواء المأخوذ بحجم معين وتحت ضغط ثابت على حسب السرعة المعلومة للصوت والسرعة المحددة بواسطة قاعدة نيوتن ؟

(٢) هل تستطيع ان تفسر لي أصل الذبذبات الهوائية الناتجة من الانغام الناقصة ؟

هذان سؤالان من مئة ليس في بلادنا هذه واحد يجيب عنهما ولا يوجد في انجلترا كلها وهي مركز العلم والعلماء واحد يستطيع ان يجيب عليها كلها بدون تحضير فهل يعقل ان تجيب عنها امرأة تربيتها العلمية عادية وأن تكتبها بسرعة البرق وفي الظلام وهي تحادث الحاضرين في اثناء اشتغال يدها بالكتابة ؟ قبل ان يسرع المنكرون الى تعليل هذا الامر لنقرأ ماكتبه عنها باركس نفسه في مجلة (الاسبريتواليست) الانجليزية ونقله عنه الوزير اكزاكوف في كتابه فيما قاله :

« يوافقني كل انسان على ان هذه الاجوبة المختلفة لايعقل ان تصدر الامن انسان واسع الاطلاع جداً على اعوص الفروع المختلفة للعلم وقد اعطتنا الوسيطة غير هذه الاجوبة المختصرة رسائل تامة على الحرارة والضوء والفزيولوجيا النباتية والكهرباء والمغناطيس والتشريح ويمكن ان يقال ان كل واحدة من هذه الرسائل تشرف رجلا من رجال العلم . وجميعها صدرت منها بدون تحضير و بلا اقل تردد

« والوسيطة طول مدة التجربة تكون في حالتها العادية وتحادثنا وتجيبنا على كل سؤال نوجهه اليها في الامور العادية بلا تكلف . ولم يبد أثر للعامل الخفي عليها الافي استيلائه على يدها وتحريكها بارادته دون ارادتها

« فانا اشهد بأني قد وضعت بنفسي اكثر هذه الاسئلة وان الوسيطة لم تعرفها قبل ذلك بل لم يكن في جميع الحاضرين من يعرف عبارتها غيري . وقد كتبت اكثر هذه الاسئلة بدون تحضير عقلي فكانت الوسيطة تجيب عنها تحت نظرنا وكان يستحيل عليها ان تستعد للاجابة عليها

« واضيف الى هذا انها لم تأخذ بنساً واحداً اجرة على تلك الساعات التي سخرتها فيها وهي لاتقل عن مئة ساعة ضحتها بكل نزاهة لدرس الخاصة الجليلة التي لها في الوساطة » انتهى

(٨ — اثبات الروح)

لما نشر الاستاذ باركس تجاربه هذه عنيت بها جمعية المباحث النفسية واعتبرتها بعد نقدها من التجارب التي تستحق الاعتبار ودونتها فى مجموعتها

وكتب الوزير اكزاكوف الى العلامة باركس يسأله امورا ايضاحية فأجابه بكتاب ننقله من الانيميسم والاسبرتسم تأليف الوزير المذكور صفحة ٣٣٨ قال باركس :

« سيدي : تسألونني عما اذا كنت انا نفسي استطيع ان اجيب على الاسئلة الطبيعية التي وجهتها الى الوسيطة بمثل الدقة التي اجابت بها عنها ثم تريدون ان تعلموا الوجه الذي نستند عليه في القول بأن هذه الاجوبة ليست نتيجة قراءة الافكار . فأجيبكم بأن الاسئلة التي وجهتها الى الوسيطة في علم الطبيعة كنت استطيع ان اجيب على بعضها ولكن بأقل اتقان منها

« وقد كانت الاجوبة التي اجابت بها الوسيطة على وجه عام تفوق معارفي كثيراً في ذلك الوقت (قبل ١٢ سنة) وهي لا تزال ارقي من معارفي الحالية اذا طلب مني ان أجيب عنها بدون تحضير

« وفى هذه الاجوبة كثير من المصطلحات الفنية كان لا يدور بخلدي أن آتى بها لعدم استعمالي لها . ويوجد في تلك الاجوبة أيضاً عبارات أجهلها كل الجهل كقولها غشاء أدنيه aenée . فلم أصادف في هذه المدينة كلها (نيوكاسل اون تاين) غير طبيب يعرف معناها

« واني استطيع ان أو كذلك بشرفي انى لم أكن استطيع ان اجيب بمثل هذا التفضيل على جزء كبير من المسائل الطبيعية التي وجهتها الى الوسيطة بدون ان اطلع عليها أحداً وكان من بين المسائل عدة لا استطيع ان اجيب عنها ابداً

« وقد رجوت أحد أصدقائي ممن يتقنون علم الموسيقي ان يضع لى أسئلة فيها ففعل ولم أحاول انا ان افهمها ثم وجهتها بعد ذلك للوسيطة فكتبت أجوبتها بدون تردد ، تلك الاجوبة التي قرأتموها وقرأها غيركم ولم يكن موسيقي واحد فى تلك الجلسة

(يريد بذلك انها لم تقرأ الاجوبة في افكار احد من المجربين) وكانت معارف الوسيطة ذاتها ابتدائية في الموسيقى

« واني أسر جداً اذا رأيت ولو حادثة واحدة محققة يجيب فيها وسيط حساس من العوام غير منوّم بالكتابة وبعبارات علمية صحيحة على أجوبة موسيقية وعلمية بواسطة قراءة الافكار أو بتأثير ارادة رجل عالم او موسيقي عليه

« تسألوني ان ابين لكم المسائل التى كنت لا استطيع انا ولا احد من الحاضرين الاجابة عليها فأجيبكم بأنه فى الجلسة الاولى التي كانت مخصصة للموسيقي لم يكن في الحاضرين واحد يستطيع الاجابة عنها بجواب معقول . ولم يكن منهم واحد يستطيع الاجابة على الاسئلة الكيماوية والتشريحية والخاصة بالعين والاذن والدورة الدموية والمخ والمجموع العصبي ومواضيع كثيرة أخري تتعلق بالعلوم الطبيعية الا ان المستر (بل) كان على شيء من علم الكيمياء العملية ولكنه ما كان يستطيع ان يعبر عما يعلمه بسهولة وكنت انا علي علم بمبادىء علم الطبيعة . واما بقية الحاضرين فكانوا من ابعد الناس عن هذه المسائل »

« تفضلوا بقبول الخ »

التوقيع : ب . ت . باركس

وانا لا أتولى بيان قيمة هذه التجربة وقيمة الذي قام بها فمن أراد التعليل فليعلل حركة غير ارادية لليد تجيب على مئة سؤال من اعوص المسائل العلمية لا يوجد في انجلترا كلها من يجيب عنها بدون تحضير فتكتبها بسرعة عظيمة فى الظلام أو في النور تحت اشراف الحاضرين بينما صاحبة تلك اليد تكلم المجربين بدون تكلف كأن يدها لم تفعل شيئاً ، ثم لا تأخذ على هذا اجراً ولا تريد ذكر اسمها أيضا

نرجيء ذكر التجربتين الباقيتين للجزء المقبل ان شاء الله

***

رد المقتطف علينا

نشرنا في المقتطف هذه المقالة فرد علينا في جواب رد به على احد سائليه من ذلك الجزء نفسه ونحن نورده هنا ليطلع عليه القراء ولم نشأ ان نناقشه فيه لانه مجرد شبه يمكن ان توجه الي كل بحث وفي مجموع مقالاتنا الكفاية في ازالتها . اليك السؤال المذكور وجواب المقتطف

(٤) مناجاة الارواح

ومنه . ذكر محمد بك فريد وجدي في مقالاته (اثبات الروح بالمباحث النفسية) مقتطف ابريل ان قد بلغ هذا من العمر اكثر من سبعين سنة وهو يزداد رسوخا وتزداد مشاهداته وضوحا حتي اصبحت من الحقائق التي لايصح الامتراء فيها وقد تألفت لها في كل عواصم البلاد المتمدنة الجمعيات ومنها ما يعد عمرها بعشرات السنين الخ . ثم قال « وقد سئلت الارواح عن حجج ومستندات ضائعة فعينت مواطنها وسئلت عن تفاصيل حوادث وفيات مجهولة فانبأت عنها وسئلت عن مقادير ديون فقدرتها وعينت الدائنين وما لكل منهم بالضبط واستخدمت في المخابرات بين امريكا وأوربا في أمور معجلة فقامت بما عهد اليها بأكثر وأضبط من التلغرافات وسئلت أسئلة فلكية عويصة فأعلمت بأمور لم تكشف الا بعد سنين عديدة . كل هذه الامور مقررة ممحصة اكثر من تمحيص الامور الفزيولوجية »

فكيف نري حتي اليوم في أرقي الممالك مدنية اموالاً طائلة تصرف وعشرات الالوف من الناس تستخدم في اثبات القضايا والجرائم وكيف يعاني اهل العلم مايعانونه في اكتشاف غوامض اسرار الطبيعة وعند هذه الممالك مايكفيها مؤونة البحث والجهد ولا يكلفها غير استنجار الوسيط فهل العالم في غفلة وسبات الي حد العدم حتي يهمل

ذلك وكيف يصدق ذلك محمد بك فريد مع سعة اطلاعه وغزير علمه

ج . ان ماذكرهُ فريد بك نرجح انه لم يرَ شيئاً منه بعينه ولم يقع شيءٌ منه في اختباره بل قرأه في كتب القوم ومجلاتهم . أما كونهُ موجوداً في كتب القوم فلا شبهة فيه ولا شبهة أيضا في انه ان كان الذين يصدقونه يعدون بالمئات فالذين لا يصدقونه ولا يعملون به يعدون بالملايين وهم لا يصدقونه لا كبراً ولا عناداً ولا جهلاً بل اما لانهم لم يعلموا به او لأنهم علموا به ورأوا انه غير صحيح وان الذين يصدقونه مشوشون . وقد وقع لنا ان شاهدنا الذين يقرأون الافكار والذين يستنطقون الموائد والذين يناجون الارواح والذين يخبرون بالغيب والذين يكتبون بالبلانشت وكان معنا اناس رأوا ذلك معنا واعتقدوا صحته و بعضهم علماء و بعضهم اطباء واما نحن فلم نرَ فيه شيئا خارقا العادة مطلقا . ورأينا مع جمع كبير في اوتل شبرد كمبرلند يقرأ الافكار ويكتب بالعربية وهو لا يعرف حرفا منها كتب اسما واضحا اضمره احد الحضور وكنا قد فسرنا كيفية عمله لما قابل الخديوى توفيق ورسم صورة فيل كان الخديوي قد اضمر صورتهُ ثم لما رأيناهُ في اوتل شبرد فسر هو كيفية عمله فاذا هي كما فسرناها نحن كما ترون في مقتطف فبراير ١٨٩٣ وقد فسرنا اعمالا اخري للذين شاهدوها معنا فلما رأوها ثانية زالت غرابتها من نفوسهم . وقرأنا بالامس مقالة للكاتب الروحي الشهير المستر سنوت ذكر فيها انباء بعض الوسطاء بعدد الجوهر في عناصر الاجسام ذكر ذلك معجباً به غاية الاعجاب مع ان بعضه غير صحيح والبعض الآخر مبهم ويستطيع كل من قرأ أصول الكيمياء وما يظنه الكيماويون من وضع الجواهر في العناصر ان يقول به كما قال الوسيط كأن الوسيط أطلع على كتب الكيماويين التي فيها آراؤهم في تأليف الجواهر موضحة بالرسوم فرسخت تلك الرسوم في ذهنه وذكرها وهو نائم كما يذكر من يحلم حلما ماهو راسخ في ذهنه . والعلماء الطبيعيون في أوربا وأميركا يعدون بعشرات الالوف فلا عجب اذا انخدع مئة أو مئتان منهم لاسيما وان العلماء من ابسط الناس في الغالب واقلهم مقدرة على كشف الخداع . وهذا غير خاص بعلماء أوربا واميركا ولا بعلماء هذا العصر بل هو شائع في كل العصور حتى جاء المثل

مريي القائل « العالم مطية الجاهل » والذي يقرأ كتب المعتقدين بمناجاة الارواح ولا يقرأ الردود عليها يتعذر عليه ان لا يصدقها ولا سيما اذا لم يشاهد حوادثها بنفسه ومعه واحد يفسرها له . وفلامريون من أشهر الباحثين في هذه المواضيع و يظهر انما مما استشهد به المستر الى من كتابه الاخير انه لا يزال يعتقد بوجود أرواح تؤثر في الاحياء ولكنها ليست ارواح الموتي . والمستر الي يعتقدانها أرواح الشياطين ونظن انه لو رأي محمد فريد بك وجدي الوسطاء وسمع أقوالهم وكان معه واحد يشير الى مواقع الخلل فيها لعدل عن رأيه فيهم

***

(تجارب العلماء)

على الوسطاء

نشرناها بالمقتطف فى ٥ أغسطس سنة ١٩١٩

قلنا في الجزء الماضي من المقتطف ان العلماء اهتموا بعد اثبات صحة المشاهدات الروحية بالبحث فى الدرجة العقلية لتلك العوامل الخفية واخترنا من الوف التجارب التي قاموا بها ثلاثا اتينا على واحدة منها ووعدنا بايراد الاثنتين الباقيتين في مقتطف هذا الشهر فتوفى بما وعدنا فنقول :

قال الوزير الروسى (اكزاكوف) في كتابه (الانيميسم والاسبريتسم) فى صفحة ٣٤١ ما يأتي :

« نشر الماجور جنرال (ا . و . دريزون) الانجليزي في مجلة (اللايت) لسنة ١٨٨٤ صفحة ٤٩٩ تحت عنوان (حل مسائل علمية بواسطة الارواح) ما يأتي :

« إجابة لما طلبه الىّ المستر جوورج ستوك من إخباره عما اذا كنت استطيع ان اوافيه ولو بمثال واحد عن حل الروح أو العامل الذي يدعي انه روح لمسئلة من تلك

المسائل التى حيرت ألباب العلماءِ فى القرن الماضي اتشرف بأن ارسل لكم المشاهدة الآتية التي شاهدتها بعيني رأسي

« اكتشف وليم هرشل فى سنة ١٧٨١ الكوكب اورانوس وتوابعهُ ولاحظ ان هذه التوابع على خلاف جميع توابع النظام الشمسي تقطع مداراتها من الشرق الي الغرب . فقال ج.ف. هرشل في رسائله الفلكية انلمدارات هذه التوابع خصوصيات شاذة تناقض النواميس العامة التى تحكم اجرام المجموعة الشمسية . وذلك ان مستوي هذه المدارات يكاد يكون عمودياً علي سمت الشمس فهو يكوّن معه زاوية ٧٠٥٨ درجة وانها تجري في حركة قهقرية أي ان دورانها حول مركز كوكبها يحصل من المشرق الى المغرب بدل أن يكون علي العكس

« ولما نشر لابلاس نظريتهُ هذه وهي ان الشمس وجميع الكواكب تكونت من مادة سديمية كان أمر تكوّن التوابع في نظرهِ من المساتير

« وذكر الاميرال سميت في كتابه (الحوادث السماوية) ان حركة هذه التوابع قهقرية على خلاف جميع الاجرام السماوية التى شوهدت الي ذلك الحين فكان هذا الموضع دهش جميع الفلكيين

« ونشر في (الجالوري اوف ناتشر) مثل ذلك وهو ان توابع اورانوس تدور من المشرق الي المغرب وهو شذوذ غريب لانظير له في المجموعة الشمسية

« وقد اشتملت جميع الكتب الفلكية التى نشرت قبل سنة ١٨٦٠ على هذا الموضوع فيما يختص بتوابع أورانوس

« اما انا فكنت لا اجد تفسيراً ما لهذا الشذوذ وكان الامر في نظري من المساتير كما كان في نظر جميع المؤلفين الذين ذكرتهم

« في سنة ١٨٥٨ نزلت في ضيافتي امرأة حاصلة على خاصة الوساطة فألفنا جلسات يومية للتجارب الروحية

« في ذات ليلة اخبرتني بأنها ترى بجانبي شخصاً من عالم الارواح يزعم انه كان فلكيا فى حياته الارضية

« فسألت روحه عما اذا كانت الآن وهي في عالمها اكثر علما بالفلك مما كانت عليه وهى في حياتها الارضية ؟ فأجابتني بأنها صارت الآن اعلم مما كانت عليه كثيرا فخطر ببالي ان اوجه الي هذا المدعي بأنه روح سؤالا اختبر به علمهُ فقلت له : اتستطيع ان تقول لى لماذا تدور توابع اورانوس من المشرق الى المغـرب لا من المغرب الى المشرق ؟

« فأجابني على الفور بما يأتي :

ان توابع اورانوس لاتجري في مداراتها من المشرق الى المغرب بل من المغرب الي المشرق على ذات الاتجاه الذي يجري عليه القمر في دورته حول الارض . وانما نشأ خطأكم من ان القطب الجنوبي لاورانوس كان مواجهاً للارض في الوقت الذي اكتشف فيه هذا الكوكب . ولو نظرتم الى الشمس من نصفها الجنوبي ظهرت لكم دائرة من اليمين الي اليسار لا من اليسار الى اليمين . وتوابع اورانوس أيضاً تتحرك من الشمال الى اليمين وهذا لايعني انها تجري في مدارها من المشرق الى المغرب

« فسألته سؤالا آخر في هذا الصدد فأجابني بما يلى :

« مادام القطب الجنوبي لاورانوس متجها نحو الارض بالنسبة لراصد ارضي فان توابعه تظهر انها تتحرك من الشمال الى اليمين . فيستنتج من ذلك خطأ بأنها تجري من الشرق الي المغرب . وقد بقيت هذه الحالة نحو اثنتين وأربعين سنة . ولما اتجه القطب الشمالى لاورانوس نحو الارض فان توابعه رؤيت جارية من المغرب الي المشرق

« فسألته كيف حدث ان هذا الخطأ لم يعرف في مدي اثنتين وأربعين سنة بعد اكتشاف الكوكب اورانوس بواسطة وليم هرشل ؟

« فأجابني بما يأتى : « ذلك لان الناس من عادتهم ان يرددوا مايقوله أئمتهم فتراهم في إعظامهم امر الثمرات التي حصل عليها اسلافهم لايكلفون انفسهم عناء التفكير والروية فيها »

قال الماجور جنرال دريزون عقب ذلك : « فأخذت مستهديا بهذا التعليم في

حل المسئلة هندسيا فرأيت ان تفسيرها فى منتهى درجات الاحكام وان حلها غاية في السهولة فلم يسعني الا كتابة رسالة على هـذه المسئلة في مذكرات الجمعية الملكية المدفعية في سنة ١٨٥٩

« وفى سنة ١٨٦٢ فسرت أمر هذا السر المزعوم في كتاب فلكي صغيردعوته (نظرة فى السموات) ولـكن تأثير رأي الائمة كان شديداً حتي انه لم يبـدأ اعتراف المشتغلين بعلم الفلك بأن حركة توابع اورانوس منسوبة لموضع محور هـذا الـكوكب الا فى ايامنا هذه

« وفي ربيع سنة ١٨٥٩ لاحت لي فرصة بحضرة الوسيطة المذكورة لحادثةالروح التي ادعت انها روح فلـكي فسألتها عما اذا كانت تستطيع ان ترشدني الى حادث فلـكي آخر لايزال مجهولا عند البشر . وكنت اذ ذاك املك منظارا مقاس عدسته أربعة بوصات ومسافتة البؤرية خمس أقدام . فأخبرتني بأن لـكوكب المريخ تابعين لم يرهما أحد من أهـل الارض للآن . وقالت لي بأني أستطيع ان أراهما في شروط صالحة لرؤيتهما . فانتهزت أول فرصة لاحت لى لرصد ما اخبرتني عنه فلم اجد شيئا. فأخبرت بهذا النبأ ثلاثة أو أربعة من أصحابي كنت اجرب معهم في الامورالروحية وقررنا ان لانـكلم أحداً بما أخبرتنا به لاننا لانملك أي دليل على صحته . وذلك كان منا تفاديا من التعرض للاستهزاء العام

« ولـكني في اثناء اقامتي بالهند فاتحت بذلك المسترسينت ولـكني لااستطيع ان أعين متى كان ذلك . فحدث انه بعد ذلك التاريخ بثماني عشرة سنة أي فى سنة ١٨٧٧ اكتشف هذين التابعين للمريخ فلـكي في وشنجتون » . انتهي

هذه هي التجربة الثانية من التجارب الثلاث التي وعـدنا بايرادها لايمكن ان تعلل الا بشيء واحد وهو ان الوسيطة كانت أعلم بالفلك من جميع علماء زمانهافادعت العالم الفلـكي الجنرال در يزون بأنها تعبر عن روح فلـكي ميت وهي فى الواقع لاتعبر الا عن رأيها الخاص . ولـكن مافائدة هذه الوسيطة من نـكران ذاتها الى هذا الحد وهى لو نشرت ماقالته للجنرال باسمها لخلدت ذكرهـا فى تاريخ العلم ؟ وناهيك بمن

تعدل رأي مثل الامامين الفلكيين هرشل ولابلاس ويمن تكتشف للمريخ تابعين جديدين لم يرهما احد من العلماء من يوم خلق الله علم الفلك الى سنة ١٨٥٩

اليك التجربة الثالثة :

مات الكاتب الانجليزي الطائر الصيت (شارل ديكنز) عن رواية من أفضل رواياته اسمها (اسرار إدوين درود) كتب نصفها ونشره في مجلد وبقي نصفها الآخر حسرة في قلوب طلاب الآداب . فاتفق ان جمعية في مدينة براتلبورغ بأمريكا كانت تجرب مع وسيط شاب صناعته عامل عند بعض الميكانيكيين فحضرت روح ادعت انها روح (شارل ديكنز) الانجليزي وانها تريد ان تكمل الرواية التي تركتها ناقصة . فما وسع تلك الجمعية الا اعلان ذلك وضربت له موعداً ١٥ نوفمبر فاهتم بذلك المستطلعون واوفدت جريدة (ذي سبر نجفيلد ديلي يونيون) مندوبا من قبلها ليحضر التجربة فكتب عنها فيها ثمانية أعمدة ونحن هنا ننقل بعض ما كتبته مجلة الاسبريتواليست الانجليزية عنها نقلا من كتاب الوزير الروسي اكزاكوف من صفحة ٣٢٦ الى ٣٣٢ قالت المجلة :

« حوالى آخر اكتوبر من سنة ١٨٧٢ امسك الوسيط المتقدم ذكره القلم وكتب بغير ارادته رجاء بتوقيع روح المستر (شارل ديكنز) بأن تعين الجمعية لها جلسة خاصة في ١٥ نوفمبر لتعمل فيها على اتمام الرواية آنفة الذكر قائلة انها بحثت طويلا لبلوغ هذا الغرض فلم تجد وسيطا مناسبا لهذا العمل غير هذا الوسيط وشفعت هذا القول برجاء الوسيط نفسه ان يخصص لهذا المشروع كل أوقات فراغه

« قبل الوسيط هذا التكليف فكانت الروح تستولي على يده وتكتب صحفا عديدة كل يوم امام المجربين حتى كتبت من نوفمبر الى يوليو ١٢٠٠ صفحة طبعت في مجلد يحتوي على اربع مئة صفحة

« واليك ما كتبه مندوب جريدة (السبرنجفيلد ديلي يونيون) في ذلك الصدد :

« نحن هنا بحضرة جمعية مؤلفة من أشخاص لكل منهم ميزة خاصة وهم يؤدون وظائفهم فيها الى النهاية . وما أشد هذا على من لم يكتب في حياته ثلاث صفحات في أي موضوع كان (يريد ان الوسيط كان عاميا وان المراقبة عليه كانت صارمة). اما نحن فقد دهشنا عند كتابة اول فصل اذ تحققنا انه يشبه النصف المطبوع من الرواية من كل وجه . وقد بدأت كتابته من الجهة التي ترك الكاتب روايته فيها بالضبط . وقد انسبك الكلامان معا بحيث ان امهر النقدة لم يستطيعوا ان يعينوا الحد الفاصل بين الكلام الذي كتبه ديكنز في حياته و بين الكلام الذي كتبته روحه بعد وفاته . فكل شخص من اشخاص روايته استمر في النصف الاخير منها على ماكان عليه من الحياة والصفات والاحوال وليس هذا كل مافي الامر فقد جدت أشخاص اخري (وكان ذلك دأب ديكنز لايزال ينشئ اشخاصا جددا حتى في آخر ادوار رواياته) لم تكن صورة منقولة من الاشخاص الذين تقدم ذكرهم في النصف الاول من الرواية ولم يكونوا هياكل جامدة بل كانوا اشخاصا ذوي حياة ومبتدعات حقيقية. فمن الذي ابتدعها ؟

« ثم اليك تفصيلات ذات فائدة عظيمة جدا فاني ببحثي في المسودات وجدت كلمة سائح Traveller مكتوبة في كل موضوع بلامين كما هي العادة عند الانجليز في انجلترة بخلافها عندنا في امريكا فلا تكتب الا بلام واحدة «وكلمة coal فحم كتبت في كل موضوع باضافة حرف S عليها كماهي العادة عند الانجليز دون الامريكان . ومن المفيد أيضا ان تنبه على ان الحروف الكبيرة التي تكتب في اوائل الاعلام كانت في المسودات حافظة المميزات التي كانت لنظائرها في خط ديكنز وهو حي . ومن المدهشات ايضا الالمام بشكل مدينة لوندرة كما دلت عليه الروح في مواطن عديدة من الرواية . وكانت في المسودات أيضا تعبيرات مستعملة جدا بانجلترة ومجهولة تماما بامريكا وانوه ايضا بالتحول الفجائي في الافعال من الزمن

الماضي الى الزمن الحالي وخصوصا في سياق حديث حي . هذا التحول بعينه كان يكثر وروده في كتابات ديكنز وخصوصاً في مؤلفاته الاخيرة . هـذه الخصائص وما يمكن اضافتها اليها أيضاً ذات قيمة قليلة ولـكن بمثل هذه الفروق التافهة امكن ان تخيب كل محاولة للتدليس .

وختم المندوب كلامهُ بقوله :

« وصلت الى مدينة براتلبوروغ وانا معتقد ان هذا الامر لن يكون الا كفقاعة صابون يسهل فقأها . ولـكني بعد يومين صرفتهما في الامتحان المدقق اعترف بأني عدت وانا حائر . ولقد كنت أنكر أولا باعتبار انه مستحيل — كما كان يفعل ذلك كل انسان بعد الاختبار — ان تكون هذه المسودة كتبت بيد الوسيط الشاب .ولقد قال لي بأنه لم يقرأ قط الجزء الاول من هذه الرواية . هذا أمر قليل القيمة في نظري لاني مقتنع كل الاقتناع بأنه ليس بأهل لانه يكتب صفحة واحدة من المجلد الثاني لهذه الرواية . لا أقول ذلك لاجل اهانته لان كثيراً من الناس ليسوا بأهل لتكميل عمل تركهُ ديكنز ناقصاً

« فانا الآنْ متردد بين أمرين : فاما ان افرض ان رجلا عبقريا استخدم الوسيط ليقدم بواسطته للجمهور عملا خارقا للمادة بوسيلة خارقة للمادة كذلك وبين ما يقولهُ ذلك العامـل الخفي من ان روح ديكنز هي التي كتبته بنفسها . الفرض الثاني ليس بأعجب من الفرض الاول . فاذا كان يوجد في مقاطعة فرمون رجل مجهول الآن يصلح لان يكتب مثل ديكنز فليس له من علة معقولة لان يعمد الي مثل هذه الحيلة .واذا كان ديكنز نفسه هو الذي يتكلم بعد موته فما اعجب هذا الامر

« واني لاشهد بشرفي بأني اعطيت كل الحرية لاختبار كل شيء فلم أجد أقل أثر للتدليس . ولو كان لي الحق في نشر اسم الوسيط (وقد طلب ان لا ينشر اسمه) لـكان ذلك وحده كافياً لازالة كل ظن يعتري من لم يعرفه

« وقد كانت كتابة الوسيط تسرع أحيانا حتى تتعذر قراءتها . وكانت التجربة تبدأ في كل مرة في الساعة السادسة صباحا أو في منتصف الساعة الثامنة مساء وكان

نور النهار يبقى الى تلك الساعة في ذلك الفصل . ولكن متى اظلمت الحجرة بعد ذلك كان ذلك لا يعطل الوسيط بل يستمر في كتابته كأنه في نور ساطع

وكان الوسيط يقع في غيبوبة عند استيلاء الروح على يده ويخبر بعد يقظته بأنه كان يري روح ديكنز جالسة بجانبه وهي في حالة تأمل عميق . واحيانا كانت تنظر اليه نظرات ايحائية يفرق منها . وكان ذلك يحدث للوسيط كانه في حلم . وكان متى أرادت روح ديكنز ان تعلن الوسيط بانتهاء الجلسة تضع يدها الثقيلة الباردة على يده. فكان الوسيط يفزع عند ذلك ويصيح وتخرجه تلك اللامسة من الغشى الذي هو فيه . وكان أحيانا يشعر بعد انتهاء التجربة بألم في صدره يستمر طويلا » انتهى

ونقلت مجلة الاسبريتواليست الانجليزية عقب ايرادها هذه الحادثة قول المستر هاريسون الاخصائي المشهور في هذه المسائل وهو :

« من الصعب التسليم بأن العبقرية والصناعة المتجليتين في هذه الكتابات واللتين تشبهان من كل وجه عبقرية وصناعة شارل ديكنز تدلان ان صاحبهما مهما كان شأنه ان يقدم نفسه للعالم على حالة أمهر المدلسين »

نقول هذه ثلاث تجارب اخترناها من الوف امثالها ليست بأقل قيمة منها عجز اكبر النقاد الاوربيين عن تعليلها بعلل طبيعية فلنكتف بها الآن ولننظر في المقالة المقبلة الى أي حد وصلت خاصة الوساطة عند بعض الوسطاء. وفي استحالة تفسير أحوالهم بالتدليس ومنهم علماء من الطراز الاول وكتاب وشعراء من الطبقة العالية ونساء اميرات من بيوت الملك وزوجات وزراء وعلماء ومثل هؤلاء يستحيل في حقهم العمل لخدع الناس

وقد سأل فاضل المقتطف لماذا لا تعتمد الحكومات على الوسطاء في أثبات الجرائم وكشف الغوامض . فنجيب حضرته متوسلين بذكره اسمنا في سؤاله بأن هذا العلم لا يزال يجاهد لاثبات وجوده ولا يزال خصومه الذين لم يدرسوه يبذلون كل وسعهم لطمس معالمه وذلك صروحه بحجة انه يهدم اساس المذهب المادي ويعني

على آثاره . والمذهب المادي فى نظرهم ثمرة العلم الذي ليس وراءه مرمي ولا بعده مطمح . وقد ثبت بشهادة التاريخ انه ليس اشد على الانسان من تجديد مدركاته التي شب عليها وتعديل مقرراته التى أنس اليها . وقد ظهر فيه هذا الخلق بأشد حالاته في القرن التاسع عشر حيث بلغت دولة المادة أوج عظمتها وغاية ابهتها . ولولا ان المباحث النفسية تجري على نفس القاعدتين اللتين اتخذهما المذهب المادي اساسين لاسلوبه وهما المشاهدة والتجربة لماتت هذه المباحث وليدة ولما قاومت العوامل الداحضة لها سبعين يوما لا اكثر من سبعين سنة ونخجل ان يلفظ بها الحوذي الاود بي بله الالوف من أقطاب العلم الذين نذكر بعضهم فى كتاباتنا عنها . فمتى انتهي هذا الدور دور النزاع الشديد الذي يسبق عادة ميلاد الحقائق الكبري تلاه دور الاستفادة والانتفاع . ولا يدري الا الله مبلغ ماستمكسه علي الانسان هذه الفتوحات من النور الالهي وغاية ما تصل به اليه من المدركات العالية المناسبة لمقامه الكريم من هذه الخليقة « سأريكم آياتي فلا تستعجلون »

***

(تعليق للمقتطف)

(لما نشر المقتطف هذه المقالة علق عليها بماياتي)

(المقتطف) اننا نأسف لان وجدي بك لم ينصف الذين لم يروا حتى الآن مايقنعهم ان أرواح الموتي تتجلي للاحياء وتناجيهم بالوسطاء فاتهمهم بأنهم يفعلون ذلك لانهم ماديون . فكاتب هذه السطور مثلا ليس ماديا اي لاينكر وجود الروح بل لو اراد ان ينكر واحدا من الاثنين الروح أو المادة لرأي انكار المادة اسهل من انكار الروح لان الذي يشعر به العقل ليس المادة نفسها بل التأثير الواصل منها الي الدماغ والدماغ يشعر بمثل ذلك ولو لم تكن المادة امامه . وان لم نكن مخطئين فالعلامة فلامريون الذي قضي اربعين سنة يمتحن ويجرب اقتنع ان قوة روحية تفعل بعض

ماينسب اليها ولكنها ليست أرواح الموتي . فكيف لم يقنعه ماانقله الآن وجدي بك بان مفسر حركة اقمار اورانوس ومكتشف قرين المريخ هو روح فلكي مشهور . ومتمم رواية دكنز هو روح دكنز نفسه . افلامريون لايصدق ماقاله الوزير الروسي في مسألة فلكية من اختصاصه ومسألة انشائية من اختصاصه ايضاً ولماذا؟ هذا سؤال نطرحه على حضرة وجدي بك

تعليقات علي ملاحظات

نشرنا هذه المقالة بالمقتطف فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ وفيها ملاحظات على تعليقه المتقدم

ذيل المقتطف الزاهر مقالتنا الخامسة المنشورة فى جزئه الماضي بكلمات ختمها بسؤال وجهه الينا لنجيب عنه . وانا نري ان في مناقشة تلك الكلمات والاجابة عن ذلك السؤال اكبر فائدة للبحث الذي نحن بسبيله فليعذرنا حضرات القراء اذا استوعبت هذه المقالة تلك المناقشة وارجأنا متابعة البحث الاصلي للاجزاء المقبلة فان للمقتطف مباحث أخري يطالب باستيفائها فلا تتسع صحفه من هذا البحث لاكثر مما نورده اليوم

تعقيب المقتطف على مقالتنا يشمل قضيتين :

(الاولي) لومه ايانا على اتهامنا من لايصدق التجارب الروحية بالاخلاد الي المذهب المادي

(والثانية) سؤاله ايانا عن وجه عدم اعتداد كاميل فلامريون الذي بحث هذه الظواهر أربعين سنة باجابة روح الفلكي عن المعاضل الفلكية واتمام ديكنز روايته الناقصة وكلا الامرين من اختصاصه

(رأينا في القضية الاولي)

المكذبون للتجارب الروحية ثلاث طوائف وهم الدينيون والماديون و بعض الفلاسفة والاعتقاديين

فالدينيون يعتقدون وجود الروح من طريق الوحى وكتبهم مشحونة بظهور أرواح الانبياء والصالحين فى كل مكان وكل زمان ولكنهم يطعنون على التجارب الروحية الحديثة من جهة اعتبارات مذهبية و يدعون ان تلك الارواح المزعومة هى من اخبث الشياطين جاءت لتضليل الناس

وأما الماديون فيكذبون تلك التجارب جملة وتفصيلا و يدعون ان اخوانهم الباحثين فيها قد وقعوا في شباك التدليس وتردوا فى الفخاخ التى نصبها لهم المشعوذون . هكذا كان يقول ولسيم كروكس وأوليفر لودج وكاميل فلامريون وشارل ريشيه وسيزار لومبروزو وغيرهم فلما سنحت لهم فرص التجارب ورأوا صحة ما كانوا يكذبونه بالامس واعلنوا ذلك بشجاعة أدبية يحمدون عليها ضحك منهم المتخلفون وزعموا أنهم وقعوا في فخاخ المشعوذين كما وقع من قبلهم . وما زال الامر يجري على هذا المنوال منذ أكثر من سبعين سنة حتى بلغ عدد العلماء الذين جربوا الظواهر النفسية وصدقوها حداً فاق ما لكل فرع من فروع العلم فجازوا حدود المئين الى الالوف في جميع انحاء المعمور ووصل عدد من نحا نحوهم من الشعراء والكتاب والاطباء والمحامين والمهندسين والسياسيين الى بضعة ملايين وصار لهم صحافة واسعة النطاق وجمعيات تعد بالمئات . ونقلت المجلة العلمية الاخلاقية للاسبرتزم التي يديرها المهندس (جبرييل دولان) في جزئها الصادر في شهر يونيو الماضي عن جريدة الاكسلسيور ان الكاتب الانجليزي الكبير كونان دويل أعلن اعتقاده بهذا المذهب وعقبت تلك المجلة على ذلك بقولها ان هذه المباحث قد انتشرت فى انجلترا انتشاراً عظيما حتى لا تصادف مجمعاً أو نادياً أو ملهى الاوجدت المجتمعين فيها يتجاذبون فيها أطراف الحديث . وقد انتشرت أيضاً في أمريكا

على هذا النحو. فمثل هـذه الجماهير من كبار المتمدنين لا يعقل ان يعمهم الانخداع عشرات من السنين وان عقل انخداع الافراد فلا يعقل انخداع الجمعيات الكثيرة التي الفت لهـذه المباحث خاصة وسريت عليها فيها الاساليب العلمية العملية

وقد أحسن العلامة كاميل فلامريون حيث قال في مقدمة كتابه (القوي الطبيعية المجهولة) صحيفة ٥ :

« كلما فكرت في هـذا الامر عراني الدهش من ان معظم الناس لا يزالون يجهلون هـذه الحوادث جهلا مطبقا مع انها عرفت ودرست وقـدرت وسجلت من منذ زمن ليس بقصير بفضل جميع الذين تتبعوا بنزاهـة اتجاه هـذا النور الجـديد »

وأما الاعتقاديون من أهـل العلم والفلسفة فقـد اعتبروا الفروق العظيمة بين الحياة الانسانية وحياة الاحياء الاخري فحكموا بوجود روح انسانية من طريق الظن والترجيح ولهم كلام طويل في هذا الباب سقط كله امام شبهات الماديين حتي خفت صوتهم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فانتشر الالحاد في أوروبا انتشاراً سريعاً وجاءت مـذاهب النشوء والارتقاء واخصها مذهب دارون فوصلت بين حلقات الاحياء وحشرت بالانسان في رتبة الحيوانات الثديية ولم تمنحه الاهذه المزية وهي انه أرقي أنواع هذه الرتبة . واقتدح علماء الفزيولوجيا أفكارهم ليجـدوا فارقاً بين الانسان والحيوان من جهة العواطف القلبية والميول النفسية والقوي الادبية والعقلية فلم يعثروا على شيء من ذلك الا في الكم دون الكيف . الا ان العلامة دوكاترفاج الفرنسي زعم انه اهتدي الى فارق بين الانسان والحيوان وهو عاطفة التدين فادعي انها هي الوصف المميز لهذا الـكائن الذي يزعم غروراً انه ملك الـكون . فلم ينتشر رأيه هذا حتي سلقه اخوانه الفزيولوجيون بالسنة حداد وعجبوا منه كيف يجرأ على هذا القول وهو يري ان الحيوان لا يتجرد من عاطفة الخضوع والخشوع والاسترحام وهي اساس العاطفة الدينية بمعناها العام . فالـكلب الذي يتخاشع ويتخاضع امام سيده

ويسترحمهُ بتحريك ذنبه ليعطف عليه ويرضى عنه اذا آنس منه الغضب لا يفترق عن الانسان فى تخاضعهِ وتخاشعهِ عند سماعهِ زمجرة الرعد وهزيم العواصف او وهو متأثر بطلب مغنم أو دفع مغرم لقوة خفية يظن ان بيدها تصريف هذه الشؤون الكبري. فعاطفة التدين موجودة كما ترى في الحيوانات العليا ولكن على قدر قواها العقلية . فليس للانسان أدني ميزة علي الحيوان من هذه الوجهة ايضاً . وقد افرد هذا الموضوع بالتأليف .

نعم عدت مذاهب النشوء والارتقاء علي عقيدة الروح وان كان داروين نفسه تظاهر بالايمان . ولكن لم يفت هذا التناقض كبار انصاره من معاصريه فزعم بعضهم انه تصنع التسامح امام العقائد ليصد حملات الدينيين عليه وعلى مذهبه . ومن ظن منهم اخلاصه في ايمانه رماه بالعجز عن استقصاء كل النتائج التي يؤدي اليها رأيه في النشوء والارتقاء

فأين ذهبت زخارف الاعتقاديين من الفلاسفة فى امر الروح امام هذا السيل الجارف من الملاحظات العلمية والمشاهدات الفزيولوجية وما تخللها من الحملات القوية على العقائد والموروثات ؟ آوت الي بعض الرؤوس ومن بينها رؤوس كبيرة وجدوا في أنفسهم من الجرأة مادفعهم الى الجهر بعقائدهم فهز انصار التحول رؤوسهم متضاحكين وقالوا هذا مصداق لناموس الوراثة الذي نعول عليه فى نقل الصفات المكتسبة . فان عقيدة اكتسبها الانسان منذ الوف السنين لايمكن ان تزول في أعوام معدودة فلا بد من مرور اجيال لتحل محلها المقررات الجديدة

على ان الباقين من هؤلاء الفلاسفة الاعتقاديين لايعبأون بعقيدتهم فى الروح الا من الوجهة الفلسفية الكلامية فهم لايعملون على استثمارها ولا يأبهون بالباحثين المجربين فيها . وكثير منهم ينتقد هذه التجارب ويدحضها ولم يكلفوا أنفسهم عمل تجربة واحدة متأثرين بنفس الاصول المادية التي تغلبت على رجال العلم فى القرن الماضي . وسيرتهم في ابطال هذه الحوادث منقولة عن سيرة الماديين أنفسهم الذين

يزعمون ان ليس وراء المـادة مرمي . والا فان الرجل اذا اعتقد فلسفياً ان المـادة مجهولة الاصل وانها قد تتحلل وتستحيل الي قوة وان ممكنات الـكون غير محصورة وان حواسنا الخمس من القصور والضؤولة بحيث لاتصلنا من الوجود الا باغلظ جهاته وان العقل قد لايكون صفة من صفات المادة بل متنزلا من عالم أرقي منها وان علومنا الارضية على جلالتها لاتساوى قطرة من بحر العلم المطلق — إن رجلا يعتقد مثل هذه الاصول من الوجهة الفلسفية لايتحفز لتكذيب كل بحث جديد ولا يتعجل في البت بنقض كل نظرية بدون امتحان مدقق ولا يتهم الوف العلماء وملايين من الاذكياء فيما يدعون انهم شاهدوا أمورا على الاسلوب العلمي الدقيق في مدي اكثر من سبعين سنة بأنهم ممخرقون ضالون . بل يتئد ويستجمع كل ماكتب في هذا الموضوع ويلقي عليه نظرة علمية ويتتبع سير المبـاحث ويظهر أمامها بمظهر المستعد لقبولها متي بلغ عـدد العلماء القائلين بها حداً يستحيل معه اجماعهم على ضلالة أو وقوعهم في حبالة أو اتفاقهم في البلادة العقلية والبله.

ولـكن الذين يكذبون هذه المباحث وان كانوا من المعتقدين بالروح لا يسلـكون هذا المسلك بل يسرعون الى تكذيبهـا باعتبار انها مستحيـلات علمية أو مظاهر خيالية . وهذا بعينه سيرة الجامدين على الفلسفة المادية . وهم ماظهروا بهذا المظهر على مناقضته لاصولهم الالتأثرهم على غير علم منهم بأصول تلك الفلسفة وانحصارهم في دائرتها الضيقة . فالعـدو اللدود لـكل بحث روحاني هو تلك الفلسفة دون سواها سواء كانت بذاتهـا وجهاً لوجـه أو بمظهر من مظاهرهـا الـكثيرة في الفلاسـفة الاعتقاديين وغيرهم

لهذا السبب أتهمنا الذين يسرعون الى تـكذيب المشاهـدات الروحية بدون بحث أو الذين يهزون اكتافهم عند سماعها لعدم الاهتمام بها بأنهم ماديون جامـدون علي المادية فان لم يكونوا ماديين فهم متأثرون بالفلسفة المادية ومحبوسون في دوائرها الحرجة على غير علم منهم . ولا نخلي العالم من وجود افراد مثل العلامة صاحب هذه المجلة وقفوا موقف الحياد ولم يتـأثروا بالتعاليم المادية الا انهم من القلة بحيث يصح

أغفالهم من باب التغليب

(رأينا في القضية الثانية)

كيف لا يعتقد العلامة كاميل فلامريون بأن روح فلكي مشهور تكشف القناع عن بعض المساتير الفلكية وان روح كاتب كبير تكمل رواية تركها ناقصة مع ان كلا الامرين من اختصاصه

الجواب : ان كاميل فلامريون بمقتضى مذهبه لا يرتاب في ان روحا من العالم الروحاني تأتي فتحل بعض المعضلات أو تكمل ما تركه بعض الكاتبين ناقصاً. ولكنه يرتاب في صحة شخصية تلك الروح أي في ان تلك الروح الظاهرة هي روح هذا الميت أو ذاك . ويري ان الادلة لديه غير كافية في اثبات الشخصيات ويرجح ان تلك الآثار العقلية اما احدثتها أرواح المجربين مجتمعة ان كانت لا تتعدي قدرتهم العلمية واما اتت بها روح من طبيعة غير معروفة للبشر موجودة في العالم الروحاني وهي غير الروح الانسانية . وهو لا يصير الي هذا التعليل الا متى رأي ان تلك الآثار العقلية تفوق قدرة المجربين منفردين أو مجتمعين كما هو الشأن في الاخبار عن اجرام علوية مجهولة أو احداث كتابة ليس في قدرة أحد احداثها غير افراد معدودين في العالم كله لم يكن منهم واحد في جاسة التجربة

على ان كتابات الرجل في هذا الموضوع تدل علي حيرته الشديدة كما نقلناه عنه في مقتطف يوليو سنة ١٩١٩ صحيفة ٤٣ فقد ذكر ان امامه احدي عشرة مشاهدة اربع منها يمكن ان تعلل بأن روح الوسيط سرت فنقلت ما قالته عن القواميس والجرائد وان السبع الباقية منها لا يمكن تعليلها الا بالقول بأنها أرواح الموتي الذين تدعي الارواح بأنها أرواحهم

هذا موقف الاستاذ فلامريون وهو بعينه موقف جماعة من الباحثين في الروح ولا بد لنا من كلمة في هذا الموضوع وان لم يجيء وقتها لاعطاء القاريء فكرة في هذا الباب فنقول :

اجمع العلماء والعقلاء الذين بحثوا في الظواهر الروحية منفردين أو مجتمعين على أنها حقة لا يصح الارتياب فيها بعد ان مرت من منخل الامتحان العلمي الدقيق عشرات من السنين . ولكنهم اختلفوا في أمر واحد وهو صحة شخصية الارواح التي تتصل بالاحياء هل هي أرواح الاشخاص الذين تعينهم بالاسم أم هي شخصيات تتكون من مجموع أرواح المجربين أو أرواح عالميـة أخري مجهولة الطبيعة أو أرواح الشياطين ؟

فذهب الكثيرون من العلماء وفي مقدمتهم الاستاذ الكبير روسل ولاس الفزيولوجي بأنها أرواح الاشخاص الذين تعينهم بالاسم مرتكنين على انها لو كانت غير ذلك لما اجمعت في كل بلد ولدى كل امة على انها أرواح الموتي طول هذه المدة ولوجد منها من يصدق المجربين بذكر حقيقتها ولو مرة واحدة

ثم ان هذه الارواح تأتي فتتجسد على صورة أشخاص الميتين وتتكلم بلغاتهم وتكتب بخطوطهم وتوقع بتوقيعاتهم وتذكر أهلها بما نسوه من ماضيهم معها وتدلهم على مواضع اشياء كانوا استروها عنهم فلو كانت أرواحا غير أرواحهم لما اتقنت التلبيس عليهم الي هذا الحد وعلى هذا الوجه الظاهر.

ثم قالوا وأي حظ للشياطين أو لارواح أخري في نكران شخصياتها الي هـذا الحد وانتحال شخصيات أخري؟ ان قيل انما تفعل ذلك للتضليل رُدَّ على القائل بأنها تأتي بأرفع درجات الحكمة وهي لا تدع وجها من وجوه الاصلاح الخلقي والنفسي الا جاءت به بأبلغ العبارات واكثرها تأثيرا على النفوس

ولكن الذي حير بعض الناظرين ان روحاً قد تأتي فتدعي انها روح فلان ثم تأتي روح فلان ذلك فتسأل عما قالته في التجربة السابقة فتنكره وتقول ان الروح التي جاءتكم قبلي هي روح شريرة اتت لتهزأ بكم في غيبتي

وقد شكا كبار المجربين هـذا الامر لتلك الارواح وأظهروا التشكك في صحة شخصياتها من جراء تلك الحوادث . فأجابوا بأن عالمهم كالعالم الارضي فيه الطيب والخبيث . فالخبثاء ينتهزون بعض الفرص لتضـليل الناس والسخرية بهم على نحو

ما كانوا يعملون وهم على الارض . ويحذرون المجربين من الوقوع فى حب الآثم ويذكرون ان المميزات التى تميزهم عن اصحاب تلك الشخصيات هي انها تخلط في ماضيها ولا تكتب بخطها وانما تمثلها تمثيلا ناقصاً فيفتضح امرها بقليل من التأمل كما هو حاصل.

فسألة التحقق من شخصية الارواح هى عضلة العقد في المباحث النفسية وهي المسئلة الوحيدة القابلة للاخذ والرد بين العلماء . اما اثبات العالم الروحانى ووجود عالم عاقل فيه مجرد عن المادة يمكن ان تتصل به بواسطة اشخاص ذوي استعدادات خاصة فقد أصبح من البداثه العلمية التى لا يصح التردد فيها بعد ملايين التجارب والمشاهدات السابقة .

فكاميل فلامريون لا يكذب كما قلنا ان روحاً تأتي فتحل مسألة فلكية ؛ وتكمل رواية ناقصة ولكنه يرتاب في شخصية تلك الروح هل هى روح ذلك الشخص الذي تعينه بالاسم أو روح عالمية أخري مجهولة الطبيعة . فهو لا يرتاب في صحة المسألة ولكنه يرتاب في تعليلها

وفي ختام هذا البحث نقول ان المعركة القديمة بين الماديين والروحيين كانت قائمة علي امكان أو استحالة قيام الروح المجردة بدون مادة . اما وقد ثبت بهذه المباحث قيامها بدون مادة فان مسألة اثبات الشخصيات ثانوية . وقد تفنن العلماء في وسائل اثباتها تفننا لا يخطر ببال غير امثالهم سنأتي علي طرف منها حينما نصل في بحثنا الى هذا الموضوع هنا ان شاء الله

(ملاحظات للمقتطف)

لما نشرنا هــذه المقالة لاحظ عليها المقتطف فى الجزء نفسه بمناسبة رده على بعض السائلين ونحن نورد السؤال وجوابه هنا وهما :

(٧) حقيقة اقمار اورانوس

مصر . احد المشتركين . لقد علقتم علي مقالة فريد بك وجدي المدرجــة في مقتطف اغسطس مشيرين اشارة المنــكر الي ماذكره عن روح الفلــكي الذي صار الآن اكثر علما بعلم الفلك وان هذه الروح بينت خطأ الفلــكيين الذين يحسبون ان اقمار اورانوس تدور حوله من الشرق الى الغرب لا من الغرب الى الشرق كسائر السيارات وكما يقتضى الرأي السديد . والي روح الروائي ديكنز التي قيل انها اتمت رواية لديكنز مات قبل ان يتمها . وسألتم وجدي بك كيف ان هذين الامرين لم يقنعا فلامريون بصحة دعوي الذين يدعون مخاطبة أرواح الموتي بالذات مع ان المسألة الاولي فلكية والثانية انشائية وهما من اختصاصه . ولــكن لنفرض ان فلامريون لم يقتنع بأن روح فلــكي هي التي بينت خطاء الفلــكيين وروح دكنز هي التي اتمت رواية دكنز اينفي ذلك كون روح فلــكي فسرت حركات اقــمار اورانوس وروح دكنز اتمت روايتــه

ج . اننا استشهدنا بفلامريون فى هذه القضية كبينة قوية على انه لو كانت الحادثتان صحيحتين لما خفيت عليه صحتهما ولــكنفنا لاقناعه بأن الروح الاولى هى روح فلكي والروح الثانية روح دكنز نفسه . ومن حيث انهما لم تقنعاه ففي صحتهما شبهة قوية ولو ذكرهما كل وزراء روسيا في كتبهم . وهذا هو الواقع . ولم نهتم نحن بتفنيدهما قبلا لان دعاوي مدعي مناجاة الارواح كثيرة جداً ويستحيل علينا ان نبحث فيها كلها . ولــكننا لم نبحث بحثاً مدققاً في واحدة منها الا وجدناها غير صحيحة أو وجدنا شكا

في صحتها . هذه اقمار اورانوس لما كشفت ظهر انها تدور حوله من الشرق الي الغرب كما قيل ولا يزال علماء الفلك يقولون ان حركتها متقهقرة أي انها تدور من الشرق الى الغرب . قال السر روبرت بول استاذ علم الفلك في جامعة كمبردج في كتابه دليل السماء المطبوع سنة ١٩٠٥ في آخر الصفحة السابعة منه ما ترجمته « ان اقمار اورانوس واقمار نبتون تخالف في سيرها سير كل جرم آخر في النظام الشمسي في كون حركتها متقهقرة » retrogrape وقال العالم انسورت داقز في المجلد الاول من كتابه العلم في الحياة الحديثة المطبوع بلندن سنة ١٩١٠ صفحة ٢١ ما ترجمته ان اقمار اورانوس الاربعة حركاتها كلها متقهقرة في سطح يميل ٨٢ درجة علي سطح فلك سيارها » . وقال العالم توماس هيث المساعد الاول في المرصد الفلكي بادنبرج في اطلسه الفلكي المطبوع سنة ١٩٠٣ صفحة ٩٠ ما ترجمته « ان افلاك اقمار اورانوس مائلة على دائرة البروج على زاوية ٨٢ درجة وحركات هذه الاقمار متقهقرة » . وجاء في ملحق الانسكلو بيذيا البريطانية المطبوع سنة ١٩١٣ عما تم من التحقيق الفلكي في أمر اورانوس « ان الفلكيين سليفر ولول اثبتا ان حركة اورانوس نفسه على محوره متقهقرة يتمها في عشر ساعات وثلاثة أرباع الساعة » . فما ذكره الوزير الروسي في كتابه غير صحيح سواء قالته الوسيطة أو وضعه هو أو قالته كل أرواح الموتي .

ورب قائل يقول كيف تعللون اذا كلام الوسيطة العلمي بحدوده العلمية ولو لم يكن منطبقا على الحقائق العلمية . فنجيب أولا ان ليس ثم دليل على ان الوسيطة نطقت به . وسواء نطقت هي بهذا القول أو غيرها فالتعليل عندنا هو هذا . ان القائلين برأي لابلاس الحريصين على اثباته هالهم كون حركات هذه الاقمار متقهقرة وحسبوا ذلك ناقضاً لرأي لابلاس ثم لما رأوا ان فلك هذه الاقمار يكاد يكون عموديا على فلك أورانوس قال ان حركتها يصح ان تحسب مستقيمة كما يصح ان تحسب متقهقرة . والمرجح عندنا انهم ذكروا ذلك في المجلات والكتب فقرأته الوسيطة وذكرته بشيء من الابهام ان كانت قد ذكرته فعلاً . ويحتمل انها فعلت ذلك حينئذ لا

بقصد التضليل بل ذكرته في غيبوبتها كما يذكر الان ان أموراً كثيرة وهو بين النوم واليقظة مما لا يتذكره في اليقظة . ولكن افلاك هذه الاقمار ليست عمودية تماما على فلك أورانوس حتى يصح ماتقدم بل تقطعه على زاوية ٨٣ درجة ولذلك تسهل رؤيتها متقهقرة . ونرجح اننا ذكرنا اسباب الحركة المتقهقرة فيما كتبناه من علم الفلك وكون ذلك لا ينقض رأي لابلاس

اما تكميل رواية دكنز فليس لدينا الآن دليل على تكذيبه ولكننا نذكر قصة وقعت لنا وهي ان جريدة اميركية يومية عيَّدت عيد بلوغها مئة سنة على ماتذكر ونشرت شرحا مسهباً لتقدمها في هذه المدة من سرعة الطبع وسعة الانتشار وبعثت الينا بالعدد الذي ذكرت فيه ذلك . فاستحسناه ونوَّهنا به في المقطم وبعثنا اليها بالعدد الذي كتبنا فيه عنها فصورت المقطم ونشرت صورته وكتبت فصلا طويلا عنا تقول فيه ان المقطم جريدة يكتبها رجل واحد وهذا الرجل نفسه هو الذي يجمع اخبارها ويكتب مقالاتها ويجمع كل حروفها ويطبعها ويوزعها الي غير ذلك من الغرائب التي تفوق التصديق وينقضها الاختبار وليس في هذا كله مايشيننا ولكن الجرائد الاميركية لاتحاسب ذمتها فى ذكر الغرائب . والظاهر ان قراءها يرضون بذلك فلا نستبعد ان تستنبط جريدة اميركية أو مطبعة اميركية قصة مثل قصة رواية دكنز لكي يكثر قراؤها وربح طابعها من بيعها . والا فلو كانت هذه القصة صحيحة لكفت وحدها لاقناع فلامريون وكل المشككين في محادثة أرواح الموتى بصحة ماينسب الى هذه الارواح أو لاستحضروا روح دكنز مرارا وسألوها عن صحة القصة فأخبرتهم الخبر اليقين حتى لم يبق في المسكونة مشكك

ردنا علي المقتطف

نشرنا هذه المقالة في المقتطف متابعين بحثنا الاصلى ومضمنين اياها ردا على ما نشره المقتطف من الرد علينا فى جوابه السابق

كلمة في مصلحة هذا البحث — اني مع احترامي لرأى المقتطف ولكل رأي يخالف رأيي أري من حقي ان ادفع عن مستندأتى وجوه التجريح

أجاب المقتطف علي سؤال لبعض قرائه فى صفحة (٢٦١) فذكر ان عدم اعتراف كاميل فلامريون بحادثة اقار أورانوس و بقية رواية ديكنز يعتبر بينة قوية علي عدم صحتهما . وقد بينا رأي فلامريون في ذلك الجزء نفسه في مثال هذه التجارب فلا نعود اليه هنا

وقد نقل المقتطف أقوال بعض الفلكيين الذين لايزالون يعتقدون ان اقمار أورانوس تدور من المشرق الي المغرب . وانا اخشي ان يتسرب الى ذهن القاريء ان الجنرال دريزون صاحب هذه التجربة الروحية يحكم بأن ما ذكرته الروح اصبح رأي (١) العلماء كلهم . لذلك انبه القاريء الي انه قال كما نقلته عنه فى صفحة (١٢٣) من المقتطف :

« وفى سنة ١٨٦٢ فسرت أمر هذا السر المزعوم في كتاب فلكي صغير دعوته

---

(١) (المقتطف) اذا قال عالمان من أشهر علماء الفلك اننا رصدنا اقمار اورانوس فوجدناها تدور من المشرق الي المغرب لايكون قولهما من قبيل الرأي أو الاعتقاد بل من قبيل النتائج الحسابية كما اذا قال مهندس انني مسحت الاطيان الفلانية فوجدت مسطحها خمسة وسبعين فدانا . فما وجده الفلكيان سليفر ولول في مرصد من اكبر مراصد الدنيا منذ بضع سنوات فقط يجب الاخذ به الى ان يثبت انهما غلطا فى حسابهما

(نظرة في السموات) ولكن تأثير رأي الائمة كان شديداً حتى انه لم يبدأ اعتراف المشتغلين بعلم الفلك بأن حركة توابع أورانوس منسوبة لموضع محور هذا الكوكب الا في أيامنا هذه » انتهي

فهو يقرر ان الاعتراف بذلك لم يبدأ الا حديثا وهو نفسه باعتباره عالما فلكيا جري عليه

وقال المقتطف في صفحة (٢٠٢) عند نقده هذه التجربة (ليس ثم دليل على أن الوسيطة نطقت به) والشك في نسبته للوسيطة معناه الشك في صديق الجنرال دريزون أي يجوز أن يكون قد اختلق هذه الحادثة وقول الوسيطة مالم تقل

وفي رأيي انه لايصح ان يصير الناقد الي هذه الدرجة من الشك في صدق مجرب الا اذا كانت هناك قرائن تسوغه . ولا نري نحن قرينة واحدة في ذلك . فالجنرال دريزون حاصل على أعلى الالقاب العسكرية في ارقي امة اوربية ومعروف بمباحثه الفلكية . وكتاباته من الاعتبار بحيث تسجل في مذكرات الجمعية الملكية المدفعية. ولم ينفرد من بين العالم بالنقل عن الارواح ففي الارض ملايين من اهل العقل والبصر يحذون حذوه في هذه المباحث فأي قرينة تسوغ لنا ان نصمه بنقيصة لايقدم عليها الاكل مجرد عن الشرف عار عن الادب

اما ما ذكره المقتطف عن رواية ديكنز واستشهاده بما ذكرته الجريدة الامريكية عن المقطم ففيه نظر فان هذه التجربة لم تنفرد بروايتها تلك الجريدة بل نصت عليها مجلة الاسبريتواليست الانجلزية كما نقلناه عنها في الصفحة (١٢٥) من المقتطف وكانت التجربة في جمعية المباحث النفسية في مدينة براتلبورغ من الولايات المتحدة . وقد تناولها النقدة من الانجليز ومنهم الاخصائي المستر هاريسون فقرروا أنها لاتفسر بالغش والتدليس فليرجع من شاء لما كتبناه عنها في المقالة السادسة

اما ما ذكره المقتطف عن الجريدة الامريكية التي قرظت المقطم فانا لا استطيع ان اشك في صحته حرصاً على آداب النقد ولكني اقول لعل تلك الجريدة خلطت

بين المقطم والاهرام فان المرحوم بشاره باشا كتب عن نفسه . انه لقي في اول تأسيس الاهرام من المتاعب ما لم يلقه غيره وقال بأنه كان هو وحده يحرر مقالاته السياسية واخباره اليومية ويترجم تلغرافاته ويرتبها ويشرف على توزيعه وادارته جامعا في شخصه بذلك وظائف لايقوم بها الا عدة رجال . والا وجب علينا أن نحكم بأن الجرائد الامريكية (١) من السخف وقرائها من البله في حضيض ليس دونه حضيض .وهذا الحكم لايتفق وما عليه الامريكيون من التبريز في كل مجال من مجالات العلم والعمل والضرب في المدنية الانسانية بأفوز السهوم وأوفر الحظوظ

وبعد فليس رمينا عرض الحائط بكل هذه الشهادات الانسانية والمشاهدات العلمية التي لوحظت فيها ادق الشروط التجريبية على أيدي أعقل افراد الامم وابعدهم نظراً وأكثرهم شكوكا من الامثلة الحسنة التي ننقشها في نفوس من يحتذون شاكلتنا من القارئين . فلو اتيح لي او لحضرة العلامة صاحب هذه المجلة ان نجرب هذه المشاهدات ونقرر ما قرره قبلنا الملايين من الفضلاء لما كان حظنا ان استحسنا

---

(١) (المقتطف) يقول المثل الغرض يعمي ويصم وبعض الجرائد الاميركية غرضها الاول في الغالب تسلية القراء بذكر الغرائب المدهشة واليكم مثالا من ذلك يتعلق بموضوعنا ذكره الفلكي الكبير الاستاذ نيوكم أشهر فلكيي أميركا بالاجماع في مقالة نشرها في مجلة القرن التاسع عشر ولخصناها حينئذ في مقتطف مارس سنة ١٩٠٩ وهو

« وسنة ١٨٥٨ احتدمت نار الجدال في جريدة من جرائد أميركا في أمر مناجاة الارواح والوسطاء وانتهى الجدال بأن واحداً عرض مبلغاً طائلا من المال جائزة للوسيط الذي يحرك مائدة من غير ان يلمسها أو يقرأ ورقة من غير ان يراها أو يقرع قرعة لا يعرف سببها . واشترط ان يكون ذلك امام لجنة يعينها هو . فقبل رئيس المعتقدين بمناجاة الارواح طلبه وأتي باشهر الوسطاء من أماكن مختلفة والفت اللجنة من ثلاثة وهم الاستاذ لويس اغاسز واستاذان آخران من أساتذة مدرسة كمبردج الاميركية

هذا الاسلوب من النقد وجرينا عليه بأحسن من حظ اعلام العلم وأركان العقل فيتهمنا تلاميذنا بأننا نكذب فيما نقول أو اننا من السذاجة بحيث ننخدع باحابيل المشعوذين

عود لموضوعنا الاصلى

اتينا فى الاجزاء الماضية على عدة أمثلة من خواص الوساطة التى يخيل للبعض أنها نوع من الكهانة أو العرافة أو الشعبذة . والواقع اننا جميعاً حاصلون على خاصة الوساطة ولكن على درجات شتي . وقد ظهرت هذه الخاصة في الوف مؤلفة من أعلياء الاوربيين بين رجال ونساء فكانت وسيطة الوزير الروسي اكزاكوف مرأته وهي من اعرق البيوتات الروسية . وكانت وسيطة ادمواندس رئيس مجلس الشيوخ الامريكي ابنته المسماة لورا . وكان المستر ستيد الكاتب الانجليزي الكبير وسيط نفسه فكانت الروح تستولى على يده فتكتب ما شاءت الارواح

وجري الامتحان في نزل بوستن فلم يفلح الوسطاء فى شيء واستصغر أولئك الاساتذة أنفسهم لما رأوا انهم جلسوا ساعة ولم يروا شيئاً يستحق الذكر . ولم يعمل الوسطاء الا بعض مايعمله المشعوذون عادةً وكان عذرهم عن فشلهم ان الارواح لاتظهر امام اناس لايؤمنون بها . ومن ثم لم يعد الاستاذ نيوكم يعبأ بما يسمع عن مناجاة الارواح : كان يقول الذين يكلمونه في هذا الموضوع ايتوني بوسيط تعتقدون صدقه ودعوني ا[illegible]حنه على انفراد وأخيراً وجد الوسيط المطلوب وهو فتاة اسمها لولوهرست عملت اغر[illegible]الها الدهشة امام جماعة كبيرة وهو بينهم لكنها لم تدع انها فعلت شيئاً خارق العادة بل أظهرت كيف فعلت كل مافعلته . واتضح حينئذ ان كل ماسمعه الاستاذ نيوكم عنها قبلا كان من قبيل المبالغة والوهم . وكان هناك جمهور من مخبري الجرائد فصدرت جرائدهم وفيها أغرب الاخبار كأن الفتاة فعلت أعجب ما يدعيه مناجو الارواح »

فتأملوا

ان تبلغه اياه . وكان على هذه الحال أيضاً العالم اللاهوتي الانجليزي ستنتون موزس . وكان وسيط الجمعية العلميـة الرسمية التي تكونت في لوندره لتقـديم تقرير عن الاسبرتسم واحداً منهم فلم يحتاجوا لوسـيط مأجور . وكان الضابط الانجلـيزي بول الذي تولى مصلحة الاتجار مع الاعداء في اثناء الحرب فى بلادنا هـذه وسيط نفسه أيضاً . فذكر في كتابه (العسكري دردنج) ان الروح استولت على يده فأملت عليه ذلك الـكتاب وفيـه تنبؤات كثيرة ظهر منها ما جـاء وقته كتاريخ وقوف رحى الحروب العامة وتاريخ ابرام الصـلح مع ان ذلك الـكتاب أملى عليـه قبل الصلح بسنتين وقـد قال المقطم عقب ايراده هـذا التنبؤ في عـدده الصادر في ٨ مارس سنة ١٩١٩

« هذا مانقلناه من الحديث المذكوروأعظم مايقع منه فى نفس القاريء النبوءة الخاص بانتهاء الحرب وعقد الصلح فانها كتبت سنة ١٩١٧ كما تقدم ولم يكن فى سير الحرب مايدل على موعد نهايتهاوتاريخ عقدالصلح »

ان خواص الوساطة تعتبر خطأمن علم ماوراء الطبيعة وماهي فى الواقع الامن العلم الطبيعي نفسه . فالبـاحث الذي ينيم شخصا نوما مغناطيسيا و ينظر فيما يكتسبه من من الخصائص العقلية والروحيةوهوفى تلك الحالة لا يقال عنه انه يبحث فيماوراءالطبيعة بل يقال انه وسع من دوائر بحثه الطبيعي فبعد ان كان يقصره على درس خصائص المادة الجسدية تخطي الي درس خصائص الحياة المستكنة فيها . وكذلك الباحث الذي يجلس واخوان له حول خوان و يعمل علي الاتصال بعالم الروح لا يقال انه يبحث في علم ماوراء الطبيعة بل يقال انه يتخطي ببحثه الدوائر التى حدها المذهب المـادي الى الدوائر التى تظهر فيها خصائص الروح . فالذين يزعمون ان هذه المباحث من عـلم ما وراء الطبيعة و يلفظونها بهذا الاعتبار يقفون في وجه العلم الطبيعي نفسه . و يصدون عن سبيله و يحكمون عليه بأن لا يتعدي الدوائر الضيقة التي حدها له القصور العلمى وهو حكم يأباه الرقى المطرد للعلم نفسه

عالج بعض النقدة في اوروبا هذه المشاهدات تعليلات شتي فلم يقو واحد منهم

على النقد واضطر النقدة واحداً بعد الآخر الى التسليم بحقية هذه المشاهدات الا الذين لم تتح لهم تجربتها . ونحن هنا نأتي على طائفة من المشاهدات من انواع شتي لاتفسر بالخدع والانخداع ولا بالبله والسذاجة ننتخبها من ملايين من امثالها لننتقل منها الى فصول اخري من أول المقالة الثامنة المقبلة

(وساطة الاطفال الرضع)

ذكر المستر كابرون kapron في كتابه المسمى المذهب الروحي في العصر الحاضر في صفحة (٢١٠) قال :

« روي لنا المستر لوروا سندرلاند أن المسائل التي كان يطرحها على الروح كان يجاب عنها بالقرع على الخوان . وكانت الوسيطة ابنته مارجريت أو ابنتها الطفلة وكانت لاتزيد سنها عن سنتين . قال فكنت أمسك الطفلة بين يدي ولا يكون معنا أحد فتجيبنا الارواح المصطلح عليه »

وجاء في كتاب المذهب الروحي بأمريكا في العصر الحاضر أن البارون سيمون كيركوب كتب الي المستر جنكن مؤلف ذلك الكتاب يقول :

« كانت ابنتي وسيطة ولم تتجاوز سنها سنتين وقد بلغت الآن من العمر احدي وعشرين سنة . وقد كتبت طفلتها بيدها تحت تأثير الارواح ولم تتجاوز سنها التسعة الايام (تاسوعاء) وقد حافظت على الرسائل التى كتبتها وها أنا مرسل اليكم بصورة فوتوغرافية لتلك الكتابات

« لم تحمل ابنتى هذه الطفلة غير سبعة أشهر ثم وضعتها في حجم صغير جدا . فكانت ابنتى ترفع هذه الطفلة علي وسادة باحدي يديها وتمسك بيدها الاخري كتابا عليه ورقة بيضاء وما كنا ندري بأية كيفية ينتقل القلم الى الطفلة فكانت تمسكه بيدها بقوة . فكتبت أولا الحروف الاولى لاسماء الاربعة الارواح التي تلازمها وهي R a D J ثم سقط القلم من يدها فظننت أن الامر قد وقف عند هذا الحد ولكن ابنتى الاخري اعوجين

صاحت قائلة انها قد عاودت القبض على القلم فكتبت الطفلة الجملة الآتية: (لا تغير شيئاً فهذا برهان جلي وافعل ما أمرناك به . أستودعك الله) وأنت ترى ذلك في الصورة الفوتوغرافية المرسلة اليك »

(تكلم الوسطاء بعدة لغات يجهلونها)

كتب المستر ادموندس الذي كان رئيساً لمجلس الشيوخ الامريكي في كتابه المذهب الروحي عن وساطة ابنته وهو من سراة الامريكيين وثراتهم قال :

« ظهرت في ابنتي (لورا) خاصة الوساطة ولكنها ما كانت تقع في اغماء أثناء حضور الارواح . وكانت تلك الارواح تستولي على لسانها فتتكلم بلغات مختلفة ولم تكن تعرف في حالتها العادية الا لغتها الاصلية واللغة الفرنسية . ولكنها متى استولت الارواح على لسانها كانت تتكلم بتسع أو بعشر لغات بسهولة تامة » .

ومثل الرئيس ادموندس لا يصح اتهامه بالبله والخبل ولا اتهام ابنته بالتزوير والتدليس . وأمثلة تكلم الوسطاء باللغات المجهولة كثيرة لا تحصى

(تلقي الوسيط رسائل متعددة في وقت واحد)

ذكر الدكتور (ولف) في كتابه عن وسيطه منسفيلد يقول :

« رأيت منسفيلد وهو يتلقى عن الارواح وقد استولت روح على يده اليمنى وروح على يده اليسرى فأخذتا تكتبان بلغة يجهلها . و بينما كانت يداه تكتبان كان هو نفسه يكلمني في أمور أخرى »

وذكر الاستاذ كروكس في كتابه المباحث النفسية صفحة ٩٥

« رأيت الميس كيت فوكس بينما كانت تكتب بيدها تحت تأثير روح رداً على سؤال أحد الحاضرين كانت روح أخرى تملي بواسطتها جواباً لرجل آخر من الحاضرين .

بطريقة القرع . وكانت الوسيطة نفسها في تلك الحالة تتكلم مع شخص ثالث في أشياء لا علاقة لها بالارواح »

(التخاطب بواسطة الارواح من ألوف الاميال)

ذكر المستر ادموندس رئيس مجلس الشيوخ الامريكي المذكور آنفاً في المجلد الاول في كتابه صفحة ٣٠ :

« بينما كنت أسيح في امريكا الوسطي كان أصحابي يقفون على أخباري مفصلة بواسطة الارواح يوما فيوما وهم في نيو يورك . أول اجتماعهم للسؤال عني كان بعد سفري بأربعة ايام وانا علي بعد ٨٠٠ ميل منهم ولم تقابلنا في طريقنا سفينة حتي يتوهم انها نقلت من اخباري اليهم »

ثم سرد تفصيلات ما اخبرتهم به واتفاقها التام مع مذكراته اليومية

وكتب الاستاذ الامريكي روبرت هار في كتابه (المباحث التجريبية على الحوادث النفسية) فقال :

« لما كنت في كيب مي cape maY بايسلاندة كانت الروح الملازمة لي ان تذهب الى فيلادلفيا (بأمريكا) عند ميسز جورلي وان تبلغها انى ارجو زوجها ان يذهب الى بنك فيلادلفيا ويستفهم منه عن تاريخ حوالة كانت لي فيه . وكلفتها بأن تخبر الميسز جورلى ايضا بأنى في منتصف الساعة الرابعة سأجلس امام السبيريتوسكوب (آلة عليها الحروف الهجائية للتخاطب مع الارواح) لتسلم الجواب . وكانت الساعة اذ ذاك واحدة بعد الظهر وفي الساعة المحددة عادت الروح وأخبرتني بنتيجة عملها

« فلما عدت الى فيلادلفيا حدثتني مدام جورلي بأن الروح التى أرسلتها اتفق حضورها في ساعة كانت هي تتخاطب فيها مع روح اخرى فقطعت عليهما التخاطب وأدت اليها رسالتي وكان اخوها وزوجها حاضرين فقاما من فورهما الى البنك واستفهما

عن الامر الذي عناني ووصلتني نتيجة مساعيهم فيا اليوم نفسه .

« وكان عامل البنك قد أعطاني تاريخا خطأ عن الحوالة التي انا يصددها و كنت انتظر مجيء الجواب مطابقا لحسابي ولكن لما ذهب زوج مدام جورلي واخوها الى ذلك العامل تحري التاريخ واعطاهما اياه صحيحا هذه المرة فجاءت الروح بتاريخ لم اكن انتظره ولا اتوقعه » انتهى

هنا يمكن ان يقول معترض : اذا كان قد بلغ من قدرة الباحثين في الارواح ان يتخاطبوا على بعد آلاف الاميال فلم لايكتفون بها عن التلغراف اللاسلكي الخ الخ

فأقول بأن الارواح لايمكن استخدامها لاغراضنا الدنيوية فهي اذا اطاعت الباحثين في نقل الاخبار وجلب الاشياء واحداث الخوارق فانما تفعل ذلك لاقامة الدليل لهم على انها حية باقية مدركة وقد صرحت بذلك الف مرة . ولكن الفائدة المنتظرة من عقيدة وجود الارواح وخلودها لايمكن للعقل تقديرها في مثل هذا القرن وما يليه . فالمذهب المادي ساق الناس الى تيار أدام الى الاباحة المطلقة واطفأ في صدورهم جذوة الامل فأظلمت القلوب ولم تجد لها متنفسا الا في الافراطات من كل نوع . هذا ولا تزال بقية في النفوس من عقيدة موروثة فما بالك لو ذهبت تلك البقية الموروثة أيضا وتحقق الانسان علميا انه كمية مهملة في الوجود لاتبالي النواميس في اية زاوية من زوايا العدم قذفت بها ؟ فجاء المذهب الروحاني اليوم يثبت الناس من طرائق الحس والعيان وجود العالم الروحاني وخلود النفس بعد الموت في عالم كله جمال وجلال وترق لاحد له ولذات عقلية وروحية لاتنتهي الى غاية . فنحن لانحتاج للارواح لتخدمنا في امورنا الدنيوية ولكننا نحتاج لها لتثبت وجودها بأي الطرق شاءت .

ان ما اوردته في باب خواص الوساطة شيء لايذكر في جنب الملايين من المشاهدات التى تغص بها المؤلفات التي وضعها الافراد والجماعات . وناهيك ان الملايين من الافراد والالوف من الجمعيات دأبت منذ اكثر من سبعين سنة على

التجارب وتدوينها . فالذي حني رؤوس الباحثين الاوربيين من اهل الشكوك المستعصية والالحاد المصمت ليس بالأمر الهين . فان توالي هذه المشاهدات في مدي ثلاثة ارباع القرن علي ايدي رجال لايخشون في الحق لومة لائم من العلماء والكتاب والصحفيين والسياسيين والاطباء والمهندسين والاصوليين علي الاسلوب العلمي الحاصل على ادق الشروط التجريبية هو الذي اعطى المذهب الروحي هذا الوزن في اوربا وامريكا ومكنه من ضرب المذهب المادي ضربة لاقيام له بعدها

ولو كان مجموع هذه الشهادات والتجارب في مدي هذا الزمن كله وعلى ايدي هؤلاء الرجال الذين ذكرناهم في ارقى امم العالم مما يسهل تعليله بالخدع والانخداع وعدم التفرقة بين الشعوذة والمشاهدة العلمية او بالبله والخبل فعلى العقل الانساني وعلى التجارب والمشاهدات وعلى العلماء والاذكياء وعلي الباحثين من كل امة وفي كل اجيال البشر السلام

* * *

(تعليلات المنكرين)

الحوادث الروحية

نشرنا هذه المقالة في المقتطف الصادر في نوفمبر سنة ١٩١٩ وفيها رد ضمني على الحواشي التي ذيل بها بعض الصحف

لما ذاع امر الحوادث النفسية وتناقل الناس تجاربها حاول بعض الناقدين ممن يفسرون مساتير الكون وهم جلوس على اسرتهم اوممن يسرعون الى البت في كل معضلة ولم يبلغوا الغاية من علمها ان يعللوا بعض ظواهرها بعالي . وقد نظرنا في التعليلات التي

تعلل بها الحوادث النفسية فوجدناها تنحصر في ست نظريات وهي :

(١) هذه الحوادث من الشعوذة لا أكثر ولا أقل فجميع الوسطاء خادعون وكل المجربين مخدوعون

(٢) هذه الظواهر خيالات تتراءى للمجربين وهم تحت تأثير الاستهواء الواقع عليهم من الوسيط فيرون مالا حقيقة له في الخارج ويخبرون عنه كأنه من المشاهدات الواقعية

(٣) هذه الحوادث من فعل روح الوسيط نفسه لاروح أجنبية عنه

(٤) هذه الحوادث عمل الروح العامة التي تتكون من مجموع أرواح جميع الحاضرين

(٥) هذه الحوادث نتيجة عمل أرواح مجردة موجودة في الكون ولكنها ليست بأرواح الموتى

(٦) هذه الحوادث فتنة من الشياطين لتضليل عبادالله المؤمنين

فلنلق على كل من هذه التعليلات نظرة انتقادية مستندين على التجارب العلمية التي عملت لدحضها واثبات نقصها فنقول :

(نظرة على التعليل بالتدليس)

قال الاستاذ الكبير وليم كروكس في كتابه القوي النفسية صفحة ١٧٤ :

« قالوا ان كل هذه الحيولات نتيجة التدليسات والتدبيرات الآلية المتقنة أو الشعوذة وان كل الوسطاء مزورون وجميع المجربين غفل مخدوعون ...

« ولقد رأيت عدة تدليسات كان بعضها متقنا جدا وبعضها من الفلاظة بحيث لايتفق ان يقع فيها واحد ممن شهدوا الحوادث الحقة لهذا العلم . فمن الباحثين من اذا صادفه تدليس من هذا القبيل يكره موالاة البحث ويجد نفسه مدفوعا الى اطلاق العنان لآرائه سواء في مجالسه الخاصة او بلسان الصحف فيتهم بانكاره جميع الوسيطين

فيكتشف العجوز الذي شارحاً ماوآه من التدليس وقد تأخذه الشفقة من رؤية هـذا المنظر المحزن وهو امعان الرجال المعدودين من الاذكياء في الانخداع بالاحابيل التي كشفها هو من أول وهلة ...

« فلا يجوز ان ننسي ان أي تعليل من التعليلات يجب ان تتوفر فيه جميع الشروط لاجل أن يكون ذا قيمـة حقيقية . فليس من العقل ان يقول شخص لم ير الا بعض المشاهدات التافهة « أظن ان كل هـذا من التدليس » ولا ان يقول : « قد رأيت كيف تدبر هذه الادوار من الغش » ...

« وبما أني متحقق من صحة هذه الحوادث فمن الجبن الادبي ان ارفض شهادتي لها بحجة ان كتاباتي قد استهزأ بها المنتقدون وغيرهم ممن لا يعلمون شيئاً في هذا الشأن ولا يستطيعون بما علق بهم من الاوهام ان يحكموا عليها بأنفسهم . أما انا فسأسرد بغاية الصراحة مارأيته بعيني وحققته بالتجارب المتكررة »

وقال العلامـة كاميل فلامريون في كتـابه القوي الطبيعية المجهـولة صحيفـة ٥٤١ :

« من السهل جداً ان يقف الانسان موقف المنكر انكاراً مطلقا حيال المشاهدات التي هي غرضنا من هذا الكتاب »

ثم سرد حوادث روحيـة كثيرة وقال : « كل هذه الحوادث بالنسبة لثلاثة أرباع سكان الـكرة الارضية تعتبر هذياناً أو شعوذة فلا يصح ان يبحث عن عللها في نظرهم . ولديهم ان الرأي المعقول الوحيد هو ان كل هؤلاء الوسـطاء من الذين اتخذوا الوساطة صناعة أو لم يتخـذوها كذلك مدلسون مزورون وكل المجربين غفل مخدوعون .

« وقد لايكتفي الواحـد من هؤلاء القضاة الاعلين بالغمز بعينيه أو بالتبسم وهو على اريكة اختصاصه الملـكي ولـكنه قد يتفضـل فيحضر احـدي التجارب فاذا اتفق كما يحدث كثيراً عدم حصوله على شيء يخضع لارادته يبرح المجرب المبجل المكان وهو معتقد تمـام الاعتقاد بأنه لنفاذ بصيرته الفائق قد اكتشف الحيلة ومنع

ظهور أى شيء بادراكه الواسع ونظره البعيد . فيسارع الي الكتابة للجرائد مفسراً التدليس و باكيا بأدمع التمساح تأثراً من ذلك المنظر المحزن وهوانخداع رجال معدودين من الاذكياء بتدليسات اكتشفهاهو من أول وهلة.

« هذا التعليل الاولي الساذج قد عرضناه كثيراً في هذا الكتاب وجادلنا فيه ودحضناه وقد صار قرائي يعتبرونه فيا ارجو محكوما عليه حكما تاما مطلقا نهائيا ومطروحا خارج دائرة البحث »

هذا قول رجلين من اكبر رجال العصر الاخير في نفس التدليس وامامنا مئات من هذه الاقوال فلنكتف بهما ولننظر الى ماعلقه المقتطف على بعض ماقلناه في المقال السابق.

ذكر المقتطف عن الاستاذ نيوكم الفلكي ما جري سنة ١٨٥٨ أي قبل ٦٢ سنة من تكون لجنة من ثلاثة أساتذة في نزل بوستن لبحث حوادث الاسبرتسم فلم يروا ما يستحق الذكر . وان الاستاذ نيوكم نفسه جرب على فتاة اسمها لولو هرست فاتت بالمدهشات ولكنها لم تدع انها فعلت شيئاً خارقاً للعادة بل أظهرت كيف فعلت مافعلته . وان الجرائد الامريكية ذكرت الغرائب عن تلك الفتاة.

لتكن الجرائد الامريكية على تلك الصفة بل ليكن الامريكان كلهم مخدوعين بالاعيب المشعوذين فلسنا والحمد لله نعتمد عليهم بل على مقررات الجمعيات العلمية الاوربية ومؤلفات الباحثين الاوربيين وعلى الاخص منهم الانجليز المشهورين بشدة التدقيق والتمحيص والاعتماد علي المشاهد المحسوس وعدم التسرع في اصدار الاحكام الطائشة.

وبعد فان الاستاذ نيوكم الامريكي لم يخرج عن كونه أحد المنكرين لهذه المباحث وقد بني انكاره على تجارب سلبية معدودة بل بني حكمه الشخصي فيها على تجربة واحدة وقع بها فى احابيل مدلسة عمرها خمس عشرة سنة فتنطبق عليه أقوال الاستاذين وليم كروكس وكاميل فلامريون التى قدمناها . فأين البروفسورنيوكم في تسرعه وضجره من الاعضاء الثلاثين الذين ندبتهم الجمعية العلمية الانجليزية وسميا

لبحث ظواهر الاسبرتسم فامعنوا في التجارب ثمانية عشر شهرا وليس معهم وسيط أجنبي و بالغوا في الصبر و بذلوا ماهو معروف عن علماء الانجليز من الثبات والتؤدة و بعد النظر ثم كتبوا تقريرهم المشهور الذى وقع في اكثر من خمس مئة صفحة وترجم الي جميع اللغات الحية . وقد جاء فيه بالصفحة ٩ وما بعدها من الترجمة الفرنسية ما يأتي :

« قد عقدت هذه اللجنة من يوم تألفها في ١٦ فبراير سنة ١٨٦٦ اربعين اجتماعاً بقصد عمل التجارب والامتحانات المدققة

« كل هذه الاجتماعات عقدت في البيوت الخاصة للاعضاء لاجل نفي كل احتمال في اعداد آلات لاحداث هذه الظواهر أو اية وسيلة من اي نوع كان

« ولقد كانت اثاثات الغرف التي عقدت فيها الاجتماعات في كل حال هي اثاثاتها العادية

« وقد كانت الاخونة (الترابيزات) التي استخدمت دائما للتجارب هي اخونة للطعام ثقيلة تحتاج لقوة عظيمة اذا اريد تحريكها . وقد كان طول أصغرها خمس أقدام وتسع بوصات وعرضها أربع أقدام . وكان طول اكبرها تسع أقدام وثلاث بوصات وعرضها أربع أقدام ونصف القدم وكان ثقلها مناسباً لحجمها

« وقد كنا نعمد الي تفتيش هذه الاخونة وجميع الاثاثات تفتيشاً مكرراً قبل عمل التجارب لنحصل على الثقة التامة بعدم وجود أي آلة أوجهاز يمكن بواسطته ان تحدث الاصوات والحركات التي ستذكر بعد

« وقد عملنا تجاربنا في ضوء الغاز ماعدا عدداً قليلا منها اقتضى فيها شأنه الخاص ان نعمله في الظلام في دقائق معدودة

« وقد تحاشت لجنتكم ان تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه الوظيفة في الخارج أوالذين يأخذون أجراً على عملهم هذا . فكان واسطتنا الوحيد أحد أعضاء اللجنة شخص جليل الاعتبار في الهيئة الاجتماعية وحاصل على صفة النزاهة المطلقة وليس له من غرض مالي يرمي اليه ولا أي مصلحة في غش اللجنة

« وقد عقدت لجنتكم عدة اجتماعات بدون أي وسيط لاجل محاولة الحصول على نتائج مشابهة التي تحصلت عليها بحضوره فلم نحصل بعد كل جهد على نتائج مشابهة تماما التي نحصل مع وجوده

« كل تجربة من التجارب التي عملناها بما امكن لمجموع عقولنا ان تتخيله عملت بصبر وثبات . وقد دُبرت هذه التجارب في أحوال كثيرة الاختلاف واستخدمنا له كل المهارة الممكنة لاجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا وابعاد كل احتمال لغش أو توهم »

« وقد اكتفت اللجنة في تقريرها بذكر المشاهدات التي كانت مدركة بالحواس وحقيقتها مستندة الي الدليل القاطع

« وقد بدأ نحو أربعة اخماس اللجنة التجارب وهم في أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر ومقتنعون أشد اقتناع بأنها كانت اما نتيجة التدليس أو التوهم أو أنها حادثة بحركة غير ارادية للعضلات . ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المنكرون أشد الانكار عن فروضهم السابقة الا بعد ظهورها بوضوح لا تمكن مقاومته وفي شروط تنفي كل فرض من الفروض السابقة و بعد تجارب و امتحانات مدققة ومكررة فاقتنعوا رغما منهم بأن هذه المشاهدات التي حدثت في خلال هذا البحث الطويل هي مشاهدات حقة لا غبار عليها

« وقد كانت نتيجة تجاربهم التي تتبعوها مدة طويلة وقادوها بمتانية واهتمام وجشموها جميع اشكال الامتحانات تقرير الاحوال الآتية :

(اولا) انه بوجود شخص أو اشخاص ذوي استعداد جسماني أو عقلي خاص تتولد قوة كافية لتحريك أشياء ثقيلة بدون استخدام أي مجهود عضلي و بدون مس ولا اتصال مادي من أي نوع كان بين تلك الاشياء و بين جسد أي شخص من الحاضرين

(ثانياً) هذه القوة تستطيع ان تحدث اصواتاً في بعض الاشياء الجامدة بحيث يسمعها جميع الحاضرين بوضوح تام ولا يكون بين تلك الاشياء و بين احد الحاضرين أي اتصال

وقد ثبت ان هذه الاصوات صادرة في هذه الاشياء عن ذبذبة تتضح عند اللمس تمام الانضاح

(ثالثاً) كثيراً ماتكون تلك القوة مقودة بعقل » انتهى

نقول أين هذه الرزانة والثبات والدؤوب وراء الغاية الجليلة من ذلك التسرع المعيب والتحدي السلبي الذي ظهر بهما الاستاذ نيوكم؟ فهل كان يتخيل أغاسز وصاحباه ان يكشفوا عالم الروح بجلوسهم مرة أومرتين امام وسيط لايهمه الاقبض الاجرة؟ وهل كان يرجو الاستاذ نيوكم ان يتصل بالعالم العلوي بجلوسه مرة واحدة امام مشعوذة وهو بين حشد من المتلهين ولم يتخذ بعض مايتخذه رجال العلم في انجلترا وفرنسا والمانيا من التحوطات التجريبية كربط الوسيط وحبسه في قفص حديدي وتسميره بالارض وايصال تيار كهربائي الي جسده ليسجل عليه كل حركة وسكنة لكيلا يقع فيما وقع فيه من الانخداع الشائن حتى كانت المشعوذة هي التى اخبرته بأنها لم تفعل ما فعلته بغير اساليب الشعوذة ؟

انا اعجب لماذا يعول خصوم هذه المباحث على أمثال هؤلاء المتسرعين ويعتمون عن قراءة تقرير اللجنة الرسمية التى ندبت لدرس هذه الحوادث في البلاد الانجليزية وهو يعتبر حكم الانجليزي المشهور له بالتمحيص والتدقيق ؟

ان تقريراً يكون من الموقعين عليه تندل ولورد افبري وروسل ولاس ووليم كروكس من أقطاب العلم الانجليزي بل من زعماء المذاهب العلمية الحاضرة لجدير بأن يحل في الدرجة العليا من الاعتبار في نظر المتكلمين في هذا الموضوع الخطير الذي حول آراء العلماء من المادية البحتة الى الروحانية الصرفة في هذا الجيل.

هل يعقل ان نعتد بتجربة اغاسز السلبية الوحيدة وبوقوع نيوكم (١) في يد مشعوذة ماهرة فنعتبر فشلهما حجة دامغة ونرمى عرض الحائط باقوال الالوف من رجال العلم الذين

(١) (المقتطف) انما استشهدنا بالاستاذ نيوكم للدلالة على عدم تدقيق الجرائد الاميركية . اما رأيه في السبرتزم فيرجع فيه الى مقالته المشار اليها وقد كان اول رئيس لجمعية المباحث النفسية الاميركية .

جربوا هذه المباحث مجتمعين ومنفردين في مدي اكثر من سبعين سنة ؟

ألم يكن في الثلاثين اخصائيا الذين ندبهم المجمع العلمى البريطاني لفحص الاسبرتسم واحد في مثل تبصر اغاسز او نيوكم فيهدي تلك اللجنة الي طريقة التدليس ؟

ان جمعية المباحث النفسية التي تألفت في لوندرة منذ سنة ١٨٨٢ لاتزال قائمة وقد تولى رئاستها لسنة ١٩١٩ اللورد ريليه Rayleigh وهو أعلم علماء انجلترا بالطبيعة ناهيك انه يشغل في الجمعية الملكية محل العالم الاشهر تندل . وقدجمعت هذه الجمعية من التجارب مايقع في اكثر من اربعين مجلداً . فهل يعقل ان هذه الجمعية المؤلفة من غطارفة العلم الانجليزي تتسكع في الغرور والوهم والانخداع نحو اربعين سنة ؟ وهل يليق ان نرمي بتجاربها الايجابية عرض الحائط ونأخذ بقول اغاسز او نيوكم ممن لم يحاولوا هذا الموضوع الخطير الاسرة واحدة ؟

هل هذا الاسلوب السلبي الإنكاري مما يرقى العلوم أو يشجع الباحثين على موالاة التنقيب عن اسرار الكون ؟

لو كان دحض المستكشفات العلمية يتأتى بنقل آراء الخصوم المتسرعين في احكامهم لما حيي مذهب جديد في العالم ولا ثبت رأي حديث فيه .

ولو كانت الحقائق الجديدة تموت بأحكام الخصوم المتسرعين لباد استكشاف الاوكسجين بواسطة لافوازييه لقيام قيامة العلماء ضده اذ ذاك بحجة ان العناصر الاربعة لاتقبل التحليل . ولذهب استكشاف هرفي لدورة الدم ادراج الرياح لان جامعة الطب هزئت به وسلقته بلسان حاد . ولقبر الاستصباح بالغاز لان العلماء كانوا يضحكون متي ذكروا امكان وجود مصباح بلا فتيل ولما مُدت الخطوط الحديدية وجرت عليها الآلة البخارية لان الرياضى الاشهر اراغو اثبت بالادلة الرياضية سنة ١٨٣٨ امام مجلس النواب الفرنسي ان هذا المشروع مستحيل . ولما تحقق عمل الاسلاك البحرية التلغرافية لان العلامة نابيه قال عنها في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٨٥٣ : « ان نظرية التيارات الكهربائية تستطيع ان تعطينا أدلة غير قابلة للنقض (تأمل) عن استحالة مثل هذا النقل للمخابرات » ولما كنا

صدقنا بوجود الانسان الحفري لان العلامة الجيولوجي الكبير (ايلي دو بومون) السكرتير الدائم للمجمع العلمي الفرنسي ظل طول حياته ينكر وجوده . ولكننا رفضنا الاستفادة من السبكترسكوب لان العلامة اجوست كونت قال اننا لانستطيع ابداً وبأية وسيلة من الوسائل ان ندرس التركيب الكيماوي للكواكب. وحرمنا من القوة الكهربائية في مخاطباتنا ومعاملنا و بيوتنا لان علماء الطبيعة المعاصرين لمستكشفها جالفاني سخروا منه وكذبوه ونبزوه بلقب مرقص الضفادع

انا لو أردنا إستقصاء اقوال خصوم كل بحث جديد لزمنا ان نصنع في ذلك كتاباً . فليس طريق الوصول الى الحقائق وخصوصا الكبري منها ان نقف مع أقوال المنكرين الجامدين من غير المجربين اومن المجربين الذين فشلوا في تجربة واحدة أو عدة تجارب في سويعات معدودة ولكن طريقها درس ادلة المثبتين وزنتها بميزان النقد الصحيح.

هذا هو الذي نعمله في كتابتنا هذا البحث وهو الطريق الذي سلكه كل الباحثين في جميع العصور . وبهذا الاسلوب وحده تقررت الاستكشافات الجديدة وزادت بها مادة العلم.

ان التنويم المغناطيسي الذي اصبح اليوم جزءا من العلوم الرسمية رمى مستكشفه مسمر بالشعوذة ونبز بكل الالقاب المحقرة . فلو كان اخذ المجربون المقاريم بكلام هؤلاء الخصوم لكنا حرمنا اليوم من اعظم استكشاف ظهر في العلوم النفسية.

والاسبرتسم مضى علي جهاده اليوم اكثر من سبعين سنة وقد وصل الي ما وصل اليه من احترام الوف من العلماء وملايين من الفهماء في سائر اصقاع المعمور رغما عن جميع المعارضين حتى صارت له مجامع علمية لاتقل جلالا عن المجامع الرسمية

وقد ذكرت مجلة التاريخ السنوي للمباحث النفسية التي يصدرها العلامة الكبير ،

شارل ريشيه العضو بالمجمع العلمي الفرنسي بجزئها المطبوع في سبتمبر الماضي انه قد تألف في فرنسا مجمع علمي جديد لتهيئة الحوادث النفسية للدخول الى العلم الرسمي مؤلفا من الاستاذ الدكتور جيليه المدرس بجامعة السوربون وشارل ريشيه المدرس بجامعة الطب البار يزية والدكتور كالمت المفتش العام لصحة باريز . وجبرييل دولان المهندس والاستاذ كاميل فلامريون والكونت ا . دوغرامون من المجمع العلمي الفرنسي وجول روش أحد وزراء فرنسا سابقاً والعضو بمجلس النواب حالا والاستاذ سانتو ليكيرو أحد وزراء ايطاليا ورئيس اللجنة الدولية الصحية للحلفاء والاستاذ تيسيه المدرس بجامعة ليون والمسيو بارتلمي سوريل الصحفي الفرنسي المشهور . فهل يجتمع هؤلاء القادة المشاهير من العلماء والاطباء والسياسيين لتهيئة الاضاليل للدخول الي العلم الرسمي ؟ وهل يعقل ان يتنزل أمثالهم للاشتغال بالاعيب المشعوذين مما ثبت لاغاسز بتجربة سلبية ولتيوكم بانخداعه اطفلة مشعوذة انها خرافات لاتستحق غير الاعراض ؟

وجاء في المجلة العلمية والخلقية للاسبرتزم الصادرة فى شهر سبتمبر الماضي بصفحة ٢٨٠ ان المجمع العلمي الفرنسي (الاكاديمي فرنسيز) منح المسيو ل . شفروي جائزة (فاني إمدن) لتأليفه كتابهُ الذي عنوانهُ (الانسان لايموت) وهو أول كتاب روحي حصل على هذه الجائزة من مجمع كان قبل سنوات يهزأ بهذه المباحث ويعدها من الانحرافات العقلية . فهل يهب مثل هذا المجمع جوائزه لنشر الاضاليل وتأييد خزعبلات الخادعين والمخدوعين ؟ . . .

ان دولة الاسبرتسم قد تأيدت بحيث لم يعد فى وسع أحد ان يصد عن سبيلها او يقف حائلا دون انتشارها بعد ما اكتسبت الي صفها الالوف من رجال العلم والملايين من أصحاب الذكاء والفهم وخصوصاً بعد ما اجتازت كل عقبة وضعت فى سبيلها وثبتت على كل تمحيص واختبار وتجربة سربت عليها . فأي وهم يقاوم كل هذه التجارب والمشاهدات وأي شعوذة تستهوي عقول اعتي المجربين من الماديين فى مدي اكثر من سبعين سنة ؟

هل عهد في تاريخ البشر ان شعوذة مهما بلغت من الدقة ينخدع بها ثلاثون عالماً نزلوا خصيصاً لبحثها فيجمعون على الشهادة بصحتها؟وهل عهد في تاريخ البشر ان الملايين من افراده الاذكياء يتألبون على درس مسألة محسوسة فيلعب بعقولهم حثالة من المحتالين والدجالين وينتهي الامر بأن يصدروا لنشرها نحوثلاث مئةمجلة ويؤسسوا لها المجامع العلمية ويتولاها أقطاب العلم الرسمي في مثل الامم الانجليزية والفرنسية والالمانية وغيرها ؟

وهل يعقل بعد هذا كله ان تستمر هذه الحركة وتزيد في هذا العصر عصر الشكوك والالحاد وفي مثل القارتين المتمدنتين حيث دولة العلم قائمة وموازين النقد صارمة ؟

اللهمَّ لا

ويحسن بنا ان نختم هذه المقالة بكلمة كتبها الاستاذ فايجومدرس علم التشريح بجامعة ليسبون للعلامة كاميل فلامريون في ١٥ مايو سنة ١٩١٦ ونشرتها مجلة التاريخ السنوي للعلوم النفسية في عدد الصادر في سبتمبر الماضي جاء في نهايتها :

« انا لا احاول ان اعلل ما رأيته ولكن اكتفي بأن أقول كما قال السير وليم كروكس بأنه حق صحيح.

« وانا اشعر الآن بندم عظيم من جراء جحودي السابق . فاذا ادرك الانسان ما وصل اليه العلم في هذه السنين الاخيرة تعذر عليه ان ينكر شيئاً لاول وهلة . واننا لننسى بسرعة تعاليم روجر باكون وندعي مع ذلك اننا حسيون نحب المذهب التجريبي »

دحض شبهة الاستهواء

في التجارب الروحية

نشرنا هذه المقالة في مقتطف دسمبر سنة ١٩١٩

ندحض في هذه المقالة النظرية الثانية من نظريات الماديين التي يوردونها لتعليل الظواهر الروحية ومؤداها ان هذه الظواهر خيالية بحت ليس لها حقيقة في الواقع وانما تتراءى للمجربين لوقوعهم تحت تأثير استهواء الوسيط

لما آنس الماديون ان اصرارهم على نظرية التدليس اصبح لا وزن له بعد دخول الوف من الرجال المشهود لهم بالالمعية والفضل الي ميدان التجارب وتطابق شهاداتهم لها في كل صقع من أصقاع المعمور لجأوا الي نظرية الاستهواء التي قدمناها وهي بمثابة خط الدفاع الثاني لهم كأن العلماء الكبار امثال كروكس وريشيه وزولنر ولومبروزو وبترهوف والالوف المؤلفة من الاخصائيين العظام من الغباوة والبله وانحطاط المدارك والبلادة العقلية بحيث يسهل على وسيط ساذج مربوط على كرسيه ومحبوس في قفص من الحديد أن يوقعهم تحت تأثيره المغناطيسي فيوهمهم برؤية مالا يوجد الا في خياله فيسرعون الى اثباته تحت العنوانات الضخمة في مجلاتهم وكتبهم في مدي جيلين متتابعين ويعقدون له مئات الجمعيات ثم لايؤوبون الى رشدهم بعد تنبيه الماديين لهم بل يدأبون عليه ويواصلون البحث فيه كأنهم جمعوا الى بلادة العقل والبله المستعصى الجمود الذي لاحد له.

ان دحض نظرية الاستهواء من ايسر الامور بل هي داحضة من نفسها في نظر من وقف على بعض التجارب الروحية ونحن ساردون هنا الوجوه التي تبطلها:

(١) المعروف في الاستهواء انه يؤثر على واحد . والمجربون للظواهر النفسية يكونون

عادة كثيرين وقد كان عدد الاعضاء الذين ندبتهم الجمعية العلمية الانجليزية لبحث هذه الظواهر ثلاثين فكيف تسني للوسيط استهواء هذا الجم الغفير ؟

(٢) المقرر ان الواقع تحت استهواء غيره يكون فاقداً لارادته وملازما لمجلسه وفي حالة نوم لانفترق عن النوم الطبيعي الا في اطاعته للمؤثر عليه . والمجربون في المسائل النفسية يكلم بعضهم بعضا ويقومون ويقعدون ويراقبون الوسيط ويقيدون بالكتابة مايشاهدون ويسمعون.

(٣) المعروف عن الاستهواء ان المستهوي يقف على قدميه امام من يريد استهواءه ويحدق في عينيه أو يشيراليه بيديه . والامر علي العكس من هذا في التجارب الروحية فان الوسيط هو الذي يقع في خدر تام وقد يتشنج وتعتريه حوادث تعوز الاسعاف في اثناء التجربة فيقوم بخدمته المجربون ويكون مقيداً ومربوطاً علي كرسيه وموضوعا داخل قفص من الحديد وموصلا به سلك كهربائي ليسجل عليه جميع حركاته.

(٤) كثيراً ما يكون الوسيط امرأة الباحث المجرب أو بنته كما كان ذلك حال الوزير الروسي اكزاكوف وادموندس رئيس مجلس السناتو الامريكي أو أحد المجربين كما حدث للجنة التي ندبتها الجمعية العلمية الانجليزية لبحث هذه الظواهر أو يكون المجرب وسيط نفسه كما كان حال ستيد وستنتون موزس وغيرهم من كبار الرجال وعظيمات النساء فهل تستقيم نظرية الاستهواء في هذه الاحوال كلها ؟

(٥) تسجل الآلة الفوتوغرافية الظواهر النفسية في ساعات حدوثها فتأتي الصور مطابقة لما رآه المجربون بأنفسهم فهل تقع الجوامد في الاستهواء أيضا فترسم خيالات الوسيط ؟

(٦) ارتفاع الاخونة الثقيلة عن الارض وانتقال الاثاثات من اماكنها وبقاؤها في مطارحها الجديدة بعد التجربة . أو تحطمها واستحالتها الى قطع بدون لمس احد لها وخروج مساميرها بدون آلة وبقاء ذلك كله مشاهداً محسوسا بعد الفراغ من التجربة .

(٧) حدوث قوالب من البرافين في اثناء التجربة و بقاؤها بعدها ومنها قوالب لايد وارجل ليست لأحد من المجربين لان منها ما يكون في نحو ضعفي حجم يد الإنسان العادي

(٨) بقاء الازهار والاشياء التي تجلبها الارواح من اماكن بعيدة بعد التجربة ولا يزال كثير من تلك الاشياء محفوظاً لدى المجربين وقد مضي على بعضها اكثر من نصف قرن

(٩) بقاء ماتكتبه الارواح بأيديها في أثناء تجسدها بعد انقضاض التجربة

هذه الوجوه كلها تنفي نظرية الاستهواء والتخييل وقد نقلنا عدداً كافياً من هذه التجارب في مقالاتنا السابقة هنا ولكن الماديين الذين يزعجهم ان يكون في الكون غير المادة المحسوسة يهزون اكتافهم متى سمعوا بهذه التجارب و يصرون على اعتبارها أضاليل عقلية أو أحابيل شعوذية و ينسون أو يتناسون ان الذين يقولون بها اليوم كانوا بالامس أشد منهم شكا وكانوا يصمون المجربين بأشد مما يصمونهم هم به اليوم من سقم العقل والوقوع في الانخداع ولكنهم بعد ان خبروها بأنفسهم عادوا فاقتنعوا بصحتها بالرغم منهم.

ولو كان هؤلاء الماديون منصفين ولم يطوح بهم الهوي الي ماطوح بهم اليه من معاندة المحسوسات لكان لهم في تقرير لجنة الجمعية العلمية الانجليزية التي وكل اليها البت في أمر هذه الظواهر مقنع . لان هذه اللجنة التي الفت من ثلاثين عالماً من أشهر علماء الانجليز دعيت خصيصاً لحسم مادة القيل والقال ودرس الموضوع دراسة علمية خالية من كل غرض مذهبي أو اعتبار ديني . ولم تستخدم وسيطا مأجوراً ولم تجتمع الا في بيوت أعضائها المجربين وليس فيهم واحد يجهل الاستهواء أو يستفهم للانخداع وكانت الامة الانجليزية اذ ذاك ناقمة على حركة الاسبرتسم وعادة اياها رجوعاً للأوهام القديمة وتود ان يكون من وراء اجتماع هذه اللجنة كشف وجوه التدليس واصدار حكم قاطع صارم لايقبل النقض على ان هذه الامور من الشعوذة التي لايقع فيها الا الغفل ولا يقيم لها وزنا الا العامة

الجاهلون ولـكن رغما عن هـذا كله جاء تقرير اللجنة مخالفـا لرأي الجمهور ومثبتاً لنظرية القائلين بأن وراء هـذه المـادة قوي تظهر في شروط خاصـة وتعمل بعقل وروية وتأتي أعمالا مادية لادخل لاحـد من المجربين فيها . فـكان هـذا رأي العلم الحاسم وجاء بعـدها الوف مؤلفـة من العلماء المجربين فايدوا كلهم هـذه النتائج . فهل بعد هذا لشاكّ مهما بلغ به حب التحوط لمـدركاته أن يشك في صحة تلك الظواهر بحجة انه لم يرهـا بعينيه ؟ ولو رآهـا هو ونقلها لـكذبه السامعون كما يكذب هو سـواه وهلم جرا . وليس هـذا بالطريق التي تودي الى تقرير الحقائق الـكبري . وقد لاحظ هـذا الامر قادة العلم في أوربا ونبهـوا على ضرره وعلي تأثيره السيء في تقدم العلوم فقال الاسـتاذ الرياضي الـكبير ألبرت دو روشاس مدير مـدرسة الهندسة فى باريز فى مقدمـة كتابه « استخراج القوة المحركة التى في الانسان » :

« ان رفض تصديق كل هذه التأكيدات على كثرتها ووضوحها ودقتها يجعل قيام أي علم طبيعي مستحيلا فدارسه لايجوز له ان يطلب شهود جميع الظواهر التى تلقي اليه والتى تـكون ملاحظتها صعبة غالبا »

على ان المادي المتشكك لو قام له عذر في اطراح قرار لجنة الجمعية العلمية الانجليزية المذكورة آنفا فلم يعهد في تاريخ العلم ان ثلاثين عالما من الاخصائيين يجتمعون ثمانية عشر شهراً للبت في مسألة محسوسة ويجمعون على حكم لايشذ عنه واحد منهم وأربعة اخماسهم كانوا مقتنعين من قبل بحثها انها من الشعوذة كما كتبوا ذلك بأنفسهم في تقريرهم فيقعون كلهم في الضلال لا يشذ عنهم واحد يخالفهم الي الهدي.

لم يعهد هذا فى تاريخ العلم ولن يكون في عصر من العصور وقد أثر تقرير هـذه اللجنة أعظم تأثير في عقول العلماء فحملهم علي احلال هذه المباحث محلها من الاعتبار وانتهي الحال بهم الي ما نري اليوم من اعتبار المجامع العلمية الرسمية للمؤلفات التى تصـدر فيها. وقد نقلنا في المقالة الماضية خبر منح المجمع العلمي الفرنسى جائزة (فان إمدن) لـكتاب المسيو ل . شفروي الذي عنوانه الانسان لا يموت وكل مستنداته مستمدة من التجاريب

الروحية الحديثة .

قال الدكتور السر ارثر كونان دويل وهو من مشهوري المفكرين الانجليز في كتابه الذي أصدره في سنة ١٩١٩ التي نحن فيها وهي التي أعلن فيها انضمامه الي صفوف الروحيين بعد تجارب دامت اكثر من ثلاثين سنة :

« ولقد تأثرت أيضا في ذلك العهد بتقرير الجمعية العلمية الانجليزية وهو التقرير الذي يصعد تاريخه الى سنة ١٨٦٩ فانه من الاعمال التى تفضى قراءتها الى الاقتناع. وهو ان كان قد قوبل من الصفحيين الجهلاء ومادبي العصر بالسخرية الا انه فى الواقع ذو قيمة جليلة . فلقد تألفت هذه اللجنة من جماعة من الرجال الممتازين المعروفين بالنزاهة وقد رغبوا فى تحقيق الظواهر الخارجية للاسبرتسم . فجاء تقريرهم مفصلا تجاربهم والتحوطات التي اتخذوها ضد التدليس . فبعد ان يقرأ الانسان البراهين المجموعة في ذلك التقرير لايستطيع ان يدرك كيف كان يصل هؤلاء المجربون الى غير النتائج التى أعلنوها وهي ان هذه الظواهر بلا أقل ريب حقيقية وتدل على وجود نواميس وقوي لاتزال مجهولة من العلم . والاغرب مما تقدم انه لو جاء قرار هذه الجمعية ضد الاسبرتسم كان طعن هذه الحركة طعنة قاتلة وما كان يقابل بالاستهزاء لضمانه صحتها . ولقد كان هذا الاستهزاء حظ مباحث عديدة عملت بعد مباحث هيدسفيل في سنة ١٨٤٨ أو حين قام الاستاذ هير (HArc) من جامعة فيلادلفيا ليعارض الحقيقة كما كان شأن القديس بولس ولكنه اضطر ان ينحني اجلالا (انظر صحيفة ٢٧ من كتاب الوحي الجديد تأليف الدكتور السير ارثر كونان دويل) .

هذا تأثير وقع تقرير اللجنة العلمية الانجليزية في العالم العلمي فيحسن بكل من يريد الكلام في هذا الموضوع تصويبا او تخطيئا ان يقرأه احتراما للحقيقة.

واننا في مناسبة ذكر كتاب الدكتور السير ارثر كونان دويل نقتطف لقراء هذه المجلة كلمات منه فهو احدث كتاب ظهر في عالم المطبوعات في هذا الموضوع وصلتني

نسخة منه منذ ايام وقد اخذت في ترجمته لانه يحكي تاريخ نفسه في الشك والجمود ثم تدرجه شيئا فشيئا تحت تأثير البراهين الى الاعتقاد الجازم بأن الاسبرتسم حق وانه وحي جديد للعالم ليخرجهم من ظلمات الالحاد المطلق الي انوار الايمان القائم على دعائم العلم الصحيح . قال الدكتور المذكورة بعد ذكره التجارب التى عملها في مدي الثلاثين سنة السابقة

« ان هـذا الموضوع كما برهنت عليه يجدر ان يعتبر بعثا لعـلم كان قد اندثر لا استكشافا جديداً . وانما لسنا في عهد يصح أن نحسب فيه الآراء الناضجة المتروي فيها لامثال كروكس ووالس وفلامريون وشارل ريشيه ولودج وباريت ولومبروزو والجنرالين دريزون ونوريز والسرجان بالانتاين وستيد والقاضي ادموندس والاميرال اسبورن مور والمرحوم ارشيديكون ويلبرفورس وجم غفير من شهود آخرين . قلت لسنا في عهد يصح ان توصف فيه آراء هؤلاء بأنها من الخلط أو اللغو المملّ . وقد توافقنا انا والمستر ارثر هيل في القول بأننا وصلنا من هذا العلم الي الغاية التي تعتبر معها كل شهادة جديدة زائدة عن الحاجة ويقع عبء كل انكار على المنكرين أنفسهم.

« ان زمن البحث والتنقيب قد مضي وحان وقت العمل من زمان بعيد .

« ان الادلة التي يستند عليها هذا العلم من الكثرة بحيث تملا مكتبة بأكملها. والشهود الذين دعموه لا يعيشون في غيابات الظلام ولا هم في ماض بعيد لا يقبل التمحيص بل هم معاصرون لنا ومن اصحاب المدارك والصفات المجمع على احترامها.

« الامر في جملته ينحصر كما أري في الاخذ بأحد رأيين اثنين وهما : إما ان يفرض بأن وباء من الجنون التهم جيلين من الناس وعم قارتين من الارض واصاب رجالا ونساء يعتبرون في اوج الصحة في كل مجال عقلي آخر وإما التسليم بأننا منذ سنين نتلقي وحيا جديداً من مصدر على يخالف اكبر الحوادث الدينية التى حدثت منذ موت المسيح مخالفة كبيرة . لان حادثة الاصلاح البروتستانتي كانت عبارة عن تهذيب الكاثوليكية .

وأما هـذا الوحي الجديد فيغير في نظرنا وجه الموت وحظ الانسان من الوجود تغييراً كليا . لامجال للتردد في اختيار احد هذين الفرضين. واماالنظرية التي مؤداها ان الاسبرتسم لايعدو التدليس والافك فلا تثبت امام الوضوح والعيان . فإما ان يكون هذا الامر من الجنون البحت واما ان يكون انقلابا يجعلنا نقابل الموت وجها لوجه بلا وجل وتعزيةً لاحد لها باقناعنا بان الذين نحبهم لم يتلاشو بالموت بل انتقلوا الي عالم من وراء حجاب

« واحسن ما أفعله لختام هذا الـكتاب الصغير هو ان انقل الـكلمات البليغة التي اعجز عن الاتيان بمثلها وهي كلمات تساوي فيها الفكر والبيان في السمو للمفـكر الـكبير والشاعر المستر جـيرالدماسيه Geralbmâssey وقد كتبت منذ عـدة سنين قال :

« ان الاسبرتسم صار لي كما صار لـكثيرين غيري توسعة في مدى افق العقلى ومنفذاً الى ان السماء وتحولا لايمـاني بالغيب الى عقيدة بمشاهـدات محققة لايمكن ان تشبه الحيـاة بدونه الا بالمرور في قاع سـفينة مقفلة النوافذ وليس مع السائر من نور غير بصيص من لهب شمعة ثم سمح له مفاجأة ان يصعد الى ظهر السفينة في ليلة حالية بالـكواكب ليتأمل لاول مرة هذا المظهر المعجب للسماء وهي تتلألأ بعظمة الله » .

الروح والجسد

جاء فى جزء المقتطف الذي نشرنا به هذه المقالة سؤال وجهه الينا بعض قراء المقتطف هذا نصه :

حضرة الفاضل محرر المقتطف

قرأت في مجلتكم مقالات متوالية تحت عنوان اثبات الروح بالمباحث النفسية لحضرة الفاضل فريد بك وجدي ويتلخص كلام حضرته في أربع كلمات وهي ان الروح غير الجسد خلافا لما يثبته الطبيعيون من ان الروح ظاهرة من الظواهر التى تنتج من الجسد بتأثير بعض المؤثرات فيه.

فالرجاء من حضرة الكاتب ان يفسر لنا العلاقة بين زوال الروح من الجسد بالامتناع عن تعاطى الطعام و بين استمرارها فيه بتعاطيه الطعام الى ان يصير الجسم غير صالح لها مسكناً مستفيد

***

(دحض شبهات)

تأثير الوسيط بقوته الذاتية

نشرنا هذه المقالة فى جزء المقتطف الصادر في يناير سنة ١٩٢٠

لما تحقق المنكرون للعالم الروحاني ان نظرية التدليس والاستهواء لاتنهض لتعليل المشاهدات التجريبية للمباحث النفسية ولا تقوى على مقاومة تيار ظواهرها

التي تظاهرت في الشهادة لها المشاعر والآلات المدنية وخشوا ان هم أصروا على هذا الضرب من المكابرة أن يحاط بهم من كل جهة تقهقروا الي خط دفاع ثالث وجمعوا صفوفهم استعداداً لمركة فاصلة تسلحوا لها بفروض جديدة . فزعموا ان تلك الظواهر كلها لاتدل علي وجود عالم روحاني تظهر لنا آثاره بواسطة ذوي الاستعداد الخاص لاظهارها ولكنها مظاهر مختلفة لقوي الوسيط نفسه . فقد يظهر الوسيط بشخصية مخالفة لشخصيته فيخيل للمجربين ان روحا استولت عليه وتكلمت بلسانه والحقيقة ان هذه الحالة مظهر من مظاهر الامراض العصبية كحالة المرضى الذين وصف اطوارهم الباحثون في تلك الامراض كالاساتذة جانه وريكر وجمس وميرس وغيرهم (انظر المقتطف صفحة ٤٦٨)

والوسيط الواقع في تلك الحالة قد يخبر بمالايعرفه هو ولا يعرفه المجربون فيتوهم من يراه ان روحا تتكلم بما غاب عن الناس والحال كما يقول المقتطف في الجزء الماضي انه يعبر عن « معلومات محفوظة في عقله الباطن الذي أطلق عليه الاستاذ ميرس اسم muers أي تحت عتبة الشعور واطلق عليه شوبنهوير وهارتمان اسم اللاشعور SuplimtnaL. نريد بذلك ان بعض الناس يسمعون ويقرأون عن أمور كثيرة فترسخ في عقلهم الباطن ولكنها لاترسخ أو لا يبقى ذكرها في عقلهم الظاهر الذي يستولى عليهم وهم في حالتهم الطبيعية فاذا مرضوا أو ناموا بالاستهواء وأصابتهم الغيبوبة تذكروا ما هو راسخ في عقلهم الباطن وذكروه »

فان قلت لهؤلاء ان أنواع المشاهدات الروحية لاتنحصر في ظهور الوسيط بشخصية غير شخصيته ولا في اخباره بالغيب بل تتناول ضروبا من الخوارق يطول فيها العد . ردوا عليك بمثل ماقاله المقتطف في ذلك الجزء نفسه : « لايخفي علينا ان بعض ما روي عن الوسطاء لايعلل بما تقدم ولكن الذين فحصوا بعض الغرائب المروية وجدوا فيها بعداً عن الحقيقة مقصوداً أو غير مقصود وانها اذا ردت الي حقيقتها زالت منها كل غرابة ».

المنكرون في كل زمان ومكان رددوا هـذه العبارات كلما خوطبوا في المسائل الروحية . فقالها كروكس ورسـل واليس وشارل ريشيه و بترهوف وزولنر ولومبروزو ولجنة الجمعية العلمية الانجليزية التي دعيت لفحص المشاهدات النفسية وتقديم تقرير رسمي عنها . وقالها الالوف من العلماء والمفكرين في كل بلد متمدن . ولـكنها ذابت وتلاشت عند ما بحثوا هذه المشاهدات بأنفسهم فانقلبوا الى صفوف انصارها ودافعوا عنها بكتاباتهم وخطبهم حتي أصبح لها الدولة اليوم . فالامر كما يقول الدكتور (ارثر كونان دويل) ينحصر بين فرضين اثنين لاثالث لهما : فإما ان يكون و باء من الجنون التهم القارتين في جيلين متواليين وإما ان نكون حيال فتح جديد افاضه الله على الناس ليكمل لهم به نقص الدليل العقلي في اثبات الروح والخلود بشاهد من الحس كما تتطلبه الفلسفة العصرية

وانا أزيد على هذا قولي : لو كانت مشاهدات الوف من العلماء والنبهاء مجتمعين ومنفردين في جيلين متواليين تدحض بمثل هذا الاسلوب لبطل كل علم في الارض الا ما يراه الانسان بنفسه . فيستطيع أحدنا مثلا جريا على هذا الاسلوب ان ينكر كل ماذكره المقتطف عن العـلماء جانه وريجو وجمس وميرس وازام من تجـاربهم فى الشخصيات المتعددة و يستطيع ان يورد عليها كل مايورده المنكرون على المشاهدات الروحية من التشكيكات المتنوعة . واذا كان المقتطف يثق بهم و يعتمد علي ماينقلونه عن الشخصيات المتعددة لدحض الوساطة الروحية فلم لا يثق بهم فيما يقولون هم أنفسهم عن المشاهدات الروحية . أليسوا هم أولى الناس بتعليلها بالشخصيات المتعددة باعتبار انهم اكبر الدارسين لها والواقفين علي أطوارها . انهم لم يفعلوا ذلك بل رأيناهم يشهدون بصحـة الظواهر الروحيـة وبأنها ليست مما يعلـل بالشخصيات المتعـددة . فقال الدكتور جانه في كتابه (الحركة النفسية الذاتيـة) صفحة ٣٧٦ بعـد ذكر الاسـبرتسم :

« المذهب الذي أوجزنا الـكلام عنـه هنا يستحق درساً مدققاً ومناقشة أصوليـة . وان التشكيك والازدراء اللذين يحملان على نكران كل ما لا يفهم وعلي

ترداد كلمتي غش وتدليس دائما وفي كل مكان ليس لها محل هنا ولا حيال ظواهر المغنطيس الحيواني . فان الحركة التى دفعت الي تأسيس خمسين جريدة في اوربا وحملت علي الاخذ بها عدداً عظيما من الناس لايصح ان تعتبر قليلة القيمة »

أما ميرس وجمس فالاول منهما كان أكبر أعضاء جمعية المباحث النفسية في لوندره وفي كتابه المسمى الشخصية الانسانية الذي نقل المقتطف عنه ماقاله في الشهر الماضي عشرات من الشهادات في صحة التجارب الروحية . والثاني منهما كان رئيساً لجمعية المباحث النفسية المذكورة وقد نقلنا شهادته لهذه المباحث في العدد الصادر من المقتطف فى شهر يناير من السنة الماضية

ويحسن بنا ان نضيف هنا الي شهاداتهم شهادة عالم كبير من الباحثين فى مسألة الشخصيات المتعددة هو الاستاذ الدكتور (بينيه) Binet مدير المعمل البسيكوجي في جامعة الطب الفرنسية فقد قال في كتابه (تحولات الشخصية) فى صحيفة ٢٩٨ بعد ذكره بعض التجارب الروحية :

« هذه البراهين كافية لان يتمكن مذهب كالاسبرتسم من ادهاش الناس أجمعين ومن كسب الوف مؤلفة من المصدقين »

هذه شهادات نخبة العلماء الذين استشهد المقتطف بأقوالهم فى مسألة تعدد الشخصيات وقد زدنا عليها شهادة الاستاذ (بينيه) وهو من اكبر الاخصائيين في تلك المسألة فبأي مرجح نأخذ بأقوالهم في مسألة تعدد الشخصية ونرفض تجاربهم في المباحث النفسية ؟

* * *

قلنا ان فى المشاهدات الروحية مالا يمكن تفسيره بتعدد الشخصيات ولا بالعقل الباطن ولنضرب لذلك أمثلة قليلة من ملايين كثيرة من تجارب بحثت كلها بحثاً علمياً وُيسري عليها ادق أساليب التمحيص المعروفة منها تكلم الوسيط بأكثر

من عشر لغات لا يعرفها هو ولا احد من المجربين كالعربية والهندية والجاوية والصينية يتكلم بها كاحد أبنائها بشهادة أهل تلك اللغات الذين يستحضرون للتفاهم مع الروح المتكلمة . وقد كتب المستر ادموندس رئيس مجلس الشيوخ الامريكي ان ابنته (لورا) كانت تتكلم بخمس عشرة لغة كاحد أبنائها وكان من شدة شغفه بهذه المباحث يعرضها للمجربين، فهل يعقل ان عقلها الباطن يحفظ تلك اللغات كلها على غير شعور من عقلها الظاهر ويشهد أبوها ، وكان زعيم اكبر هيئة دستورية في العالم، انها لم تتعلم غير الانجليزية والفرنسية ؟ وان عقل ذلك فهل يعقل كتابتها لتلك اللغات كلها بخطوط أصحابها المتوفين ؟

ومنها ادخال المواد الجامدة الى غرف التجارب المقفلة من خلال الحوائط ونقلها اياها من مئات الاميال وانفاذ الاشياء الجامدة في الصناديق الحديدية المقفلة المغطاة امام أعين المجربين بدون ان تلمسها ، وقد نقلنا شيئاً من ذلك في مقالاتنا الماضية فهل تفسر هذه الخوارق بتعدد الشخصيات أو بالعقل الباطن ؟

ومنها ظهور ايد وأرجل وانصاف اجساد واجساد تامة التركيب تتكلم وتسلم على الحاضرين بيدها وتسمح لهم بفحصها بكل ضروب الفحص وتكتب لهم بيدها وتترك لهم قوالب من البرافين لبعض أعضائها وتهديهم بخصل من شعرها او بقطع من ثيابها فهل يفسر هذا أيضاً بتعدد الشخصيات أو بالعقل الباطن ؟

كل هذه المشاهدات وهي ملايين تماسري عليه أقسى ضروب التمحيص لو عرضتها على الماديين وأخبرتهم بأن الذين شاهدوها هم من اخوانهم العلماء الذين يفوقونهم علما ورزانة اعرضوا بجانبهم ولم يجدوا وسيلة أحسن من نكرانها جملة وتفصيلا والادعاء بأن أولئك العلماء (وهم الوف) قد خدعهم المشعوذون واستهواهم الدجالون . فان أتيتهم بشهادة عشرات الالوف من الاطباء والمهندسين والصحفيين والكاتبين والشاعرين رموا بها عرض الحائط أيضاً وزعموا ان هؤلاء ينقصهم التمحيص العلمي الصارم وكبر عليهم ان يأخذوا بتجارب من دونهم . فان قلت لهم فتفضلوا انتم بالبحث بأنفسكم

اجابك بعضهم بأن هذا لا يهمه أصلا كافعل الاستاذ هكـلى . وأجابك البعض الآخر بأنه حضر تجربةً لوسيط (مأجور) فظهر له انه يحاول الغش فلم يعد بعدها للتجربة ووقر فى نفسه ان كل الوسطاء مدلسون ! وزد عليك بأن آخر هذه المشاهدات مناقضة للعلم المعروف .... كأن العلم المعروف لا يصح ان يرتقي عما هو عليه الي ابد الآبدين .

ان هذا الاسلوب في دحض الاستكشافات الجديدة لا يعد من الحيطة العلمية ولا من دلائل الالمعية بل يعتبر من قبيل وضع العقبات امام العلم واحتكار مسئلة الوجود الكبري لعدد محصور من نواميس ناقصة أظهر النقد العلمى الحديث انها مسلمات تحكمية كالمسلمات المنطقية

* * *

ولقد بلغ الغلو ببعض العلماء الماديين أنهم اخترعوا نظريات لتعليل المشاهدات الروحية لو ثبتت لكانت اعجب من ظهور أرواح الموتي جهاراً وسيرها بين الناس في الطرقات. كقولهم ان القوة العصبية للوسيط قد تخرج منه فى بعض الاحوال وتحدث أعمالا مادية محسوسة . فما هي هذه القوة العصبية ؟ وعلى أي دليل علمي استندوا في زعمهم بأن هذه القوة قد تخرج من الجسم لتضحك على لحي المجربين ؟ وما حظها من ادعائها بأنها روح بعض الميتين ؟

وأراد الدكتور ادوارد هارتمان الالماني ان يعتدل فلم يقل بخروج القوة العصبية بل قال بخروج الروح من جسد الوسيط وهو متشنج واتيانها لتلك الخوارق فيظنها المجربون روح أحد المتوفين وما هي الا روح اخيهم الوسيط . كما ذكر ذلك فى كتابه (انيميسموس اند سبريتسموس) الذي رد به على الوزير الروسى اكزاكوف . فلما سئل ومن اين لروح وسيط جاهل أن تأتى بالفلسفة العالية وأنباء الغيب ؟ فأجاب بقوله ان الروح الانسانية نفحة من الخالق عز وجل فإذا تجردت اتصلت به اتصال الفرع بالاصل وعلمت ما كان وما سيكون الى ابد الآبدين

فرد عليه اكزاكوف بقوله : ان هذه الارواح التي تظهر المجربين تدعي انهـا أرواح موتي معينين فهل يعقل ان روح الوسيط بتجردها عن عالم الرعونات البشرية واتصالها بالذات العلية الكلية تتصف بالكذب الصراح وهي في ذلك الطور من الجلال السماوي ؟ اما كان يجدر بها وهي تتجلى فى ذلك العالم العالى بذلك العلم المطلق ان تقول الحق وتهدي الناس الى الصواب ؟

وقد زعم بعض العلماء ان هذه الخوارق تحدث من الروح العامة التي تتكون من مجموع توجهات المجربين واتحاد قواهم العصبية على احداثها . وهذه شبهة لا تحتمل النقد ولا يصح ان تحشر في عالم الفروض العلمية فان القول بتكوّن روح عامة من قبيل الاستناد الى مجهول فما هي تلك الروح العامة . ومم تتألف . وكيف تتكون . وما حدود سلطانها . وما حظها من الابهام والتدليس . على ان المجربين اكثر ما يكونون مكذبين منكرين يريدون عدم ظهور أي خارق أو ظهوره وكشف احبولة الوسيط . واذا امكن تعليل بعض المشاهدات الساذجة بهذه النظرية كتحرك خوان أو انتقال متاع من مكان لمكان ، فهل يمكن ان يعلل بها حدوث المشاهدات الكبرى كظهور الاشباح وتكلمها بلغات متعددة وكتابتها بها واحداث الخوارق التي سردنا عليك بعضها ؟

ان اوردت عليهم هـذا قالوا كل مالا يعلل بتلك النظرية يجب ان يلفظ الى زاوية الاهمال باعتبار انه من الشعوذة وانخداع المجربين ! (بخ بخ)

الامر جلل . وهناك ملايين من المشاهدات تتظاهر على نفي هـذه الشبهات كلها . وما احتل الماديون واعداء هذه المباحث خط دفاع الا تعقبهم المجربون فيه وقهروهم عنه . فاذا كانت هذه المشاهدات ليست من الشعوذة ولا الاستهواء ولا من روح الوسيط ولا من مجموع أرواح المجربين فلم يبق الا شبهة رجال الدين ومن نحا نحوهم من الاعتقاديين بأنها آثار أرواح مجردة موجودة في الكون غير ارواح الناس أو اعمال شيطانيـة الغرض منها التضليل وصرف الناس عن حقائق الدين . وهذا ما سننظر فيه في الجزء المقبل ان شاء الله

وما سألنيه حضرة المستفيد في صفحة ٥٢٣ من المقتطف فسنجيبه عنه في ختام المقال التالي أيضاً

***

رد شبهتي الارواح غير الانسانية

والارواح الشيطانيـة

نشرنا هذه المقالة في مقتطف فبراير سنة ١٩٢٠

نفينا في مقالات سابقة شبهات الماديين على الخوارق والارواح المتجسدة التي تظهر للمجربين لظواهر الاسبرتسم واليوم ننفي شبهة بعض الفلاسفة الاعتقاديين القائلين بأن تلك الارواح التي تتكلم المجربين ليست بأرواح الموتي من الآدميين ولكنها أرواح مجردة أخرى موجودة في الكون لاندري حقيقتها . وشبهة رجال الدين الذين يذهبون الي ان تلك الارواح أرواح شيطانية تظهر للمجربين لتفتنهم وتضلهم عن الدين

فأما الشبهة الاولي فضعيفة من وجوه عديدة :

منها انه لامعني لادعاء تلك الارواح المجردة بأنها أرواح موتي الآدميين واصرارها على تلك الدعوي في مدي جيلين متواليين واجماعها على ذلك في كل أدوار هذه المباحث

ومنها ان الارواح التي تظهر للمجربين تعلم أسرار الموتي الذين تدعي هي انها أرواحهم وتكتب بخطوطهم وتوقع بتوقيعاتهم فاذا تجسدت ظهرت بصورهم التي كانوا عليها وتكلمت بأصواتهم وأخبرت عن جميع دخائلهم ولا يعقل ان تكون تلك الارواح المجردة من الغش وفساد الطوية بحيث تزج بالعالم في مثل هذا الضلال

البعيد الا اذا كانت من اخبث الشياطين فتؤول هذه الشبهة الى الشبهة الثانية

ومنها ان تلك الروح لا يعقل ان تكون من الملائكة الذين تصفهم الاديان فانها تقول بأنهم كائنات علوية ليس من شأنهم التدليس ولا من صفاتهم التلبيس

ومنها انه لو ساغ فى العقل وجود أرواح مجردة تحضر فتكلم المجربين فلم يستبعد ان تكون هي أرواح الميتين خصوصا وهي تؤكد ذلك وتقيم عليه البراهين كما ستراه في المقالة الثانية عشرة

ومنها ان هذه الشبهة لاقيمة لها في دحض المذهب الروحاني لانها من جهة لا تؤيد مزاعم الماديين لنفيهم وجود الارواح جملة كافية، ولا دعاوي الدينيين لذهابهم الى ان الارواح لاتحضر المجربين، بل تقوي حجة الروحيين من امكان اشرافنا على العالم الروحانى واتصالنا بالكائنات اللامادية فيه.

***

وأما شبهة رجال الدين فلا تقوي على النقد حتي النقد المؤسس على تعاليمهم لان الشياطين في تعريفهم هي ارواح شريرة جبلت على اغراء الناس على الفساد وتوريطهم في الهلكات . والارواح التى تظهر للمجربين على الضد من ذلك تأمر الناس بالمعروف وتزعهم عن المنكر وتقيم لهم الادلة على الخلود وتعمل جهدها فى هدم المذهب المادي الذي دفع بالناس الى قبول شر التعاليم . وكان من أثر تلك الارواح في مدي سبعين سنة ان آمن بالله واليوم الآخر ملايين من الماديين وانفتح لاهل النظر مجال لاحد له في تنور اسرار الخليقة وكشف مساتير الطبيعة والاستدلال على عالم الروح بأسلوب العلم المادي وتعديل مزاج الفلسفة العصرية ؛ فماذا ابقت هذه الكائنات بعد هذا كله للملائكة الكروبيين وأرواح الشهداء والصالحين ؟

الحقيقة ان لتألب رجال الدين فى أوربا على الحط من قيمة هذه الآية الكبري

آية ظهور الارواح سبباً قل من فطن له في هـذه البلاد . وهو ان هـذه الارواح تدعى انها مكلفة بهداية الناس الي نظر جديد يرتفعون به على معارج الدليل الحسى الي مستوي من العقائد أرقى مما هم فيـه من اديانهم المقررة . وقد صرحت بأن الناس بما يحملونه باسم الاديان من جهـالات اسلافهم أصبحوا بعداء عن كل خير، مستبعصين عن كل كمال . وانه قد آن وقت خلاصهم من هذه الآصار لا بتكذيب كتبهم ورسلهم ولـكن باعتبـار ان تلك الـكتب أوحيت لهـم مشوبة بكثير من الخرافات لان حالتهم العقلية تأبي غير ذلك وان المرسلين هم وسطاء روحيون لا اقل ولا اكثر

هذه التعاليم ازعجت رجال الدين وجعلتهم ينظـرون الى المسألة الاسبريتيـة نظرهم الى عامل شديد الخطر يقوض صروح الاديان ولـكنها، لفتت من جهة أخري نظر الباحثين المستقلين ورأوا فيها حـلا علميا مقبولا لمسألة النبـوة والـكتب الموحاة

ونحن في هـذه المقالة لا نري بدآ من نشر طرف من فلسفة الارواح فى هذه المواضيع . وأحسن ما اتت به من ذلك ما كتبته بنفسها بالاستيلاء على يد أكبر وسطاء انجلترا القس ستنتون موزس الاستاذ بجامعة كوليدج سكول . كان هـذا القس عدوا للمذهب الروحى كجميع رجال الدين وكان له صديق صميم من غلاة الماديين وهو الدكتور ستانهوب سبير فاتفق ان ميسز سبير قرأت كتاب (الارض المتنازع عليهـا) للاسـتاذ الانجليزي الـكبير (ديـل اوين) فى الاسـبرتسم فحبب اليها البحث في هذا المذهب فحملت زوجها الدكتور سبير وستنون موزس على التجربة وكانت الوسـيطة أولا (لوتي فلاور) ثم (وليم) المشهور فاتضح فى اثناء التجارب ان القس سـتنون موزس خاصـة الوساطة فـكان يشاهد أصحابه اذا اجتمعوا معه للتجربة حدوث طرقات واجابتها علي أسئلة السائلين وظهور أنوار علي هيئة كريات وهبوب روائح زكية عليهم وحصولهم على مقادير من المسك السائل فى أيديهم ومناديلهم الخ ولـكن اكبر هـذه الظواهر كلها كان استيلاء أرواح معينين علي يد القس وكتابتهم فصولا طويلة كان لهـا اكبر تأثير عليه وعلى الحاضرين .

وذلك انها فاجأته بما يناقض عقائده الدينية فكان يجد يده تكتب ما يعد بمجرد الفكر فيه كفراً صريحاً فيشتد في الرد عليه فتستولي الروح على يده ثانية وتناقشه في رده حتى أفضى الامر الى صبوه لمذهبها واقتناع الدكتور سبير وزوجته وابنهما شارلتون سبير بصحة مذهب استحضار الارواح بعد ان رأوا من دلائله الحسية مالا يمكن التردد في قبوله

وننبه هنا ان ما سننقله عن كتاب القس ستنون موزس (التعليم الروحي) هو مذهب جميع الارواح في جميع بقاع الارض

فما كتبته بيد القس المذكور عن وظيفتها قولها في صفحة ٩٠ من الكتاب المذكور :

« نحن مرسلون من عند الله كما ارسل المرسلون من قبلنا غير أن تعاليمنا أرقى من تعاليمهم . فالهنا هوالههم الا ان الهنا أظهر من الههم وأقل صفات بشرية واكثر خصائص الهية

« الايمان التقليدي لايمكنه ان يحل محل الاقتناع العقلي . لان الايمان انما يكون ايمانا اذا قام على أصول ثابتة منتخبة يقرها العقل والافلايمكن ان يكون واجباً على أحد . فاذا لم يكن مستنداً على شيء أصلا فلسنا في حاجة الى اقامة الدليل على بطلانه .

« ان وجهتنا نحن اعتبارالعقل فكيف يمكن ان يستدل من ذلك على اننا آتون من قبل الشيطان ؟ وما هو الخطر المتوقع من الاصل الذي ندعو اليه ؟ وبأي مناسبة يمكن اتهامنا بأننا نرمي لغرض جهنمي ؟

(مذهب الارواح في حب الانسانية وفي الفلسفة)

« محب الانسانية هو الذي يحبها لذاتها والفيلسوف هو الذي يحب العلم لذاته كذلك . فأمثال هذين الرجلين هم أحباء الله الذين لاتقدر لهم قيمة وما اعد لهم من السعادات لايمكن ان يحد بحد :

« فالاول لايقيد حبه للناس اعتبارٌ لجنس ولا لوطن ولا لاعتقاد ولا لامم بل يحيط الانسانية عامة بحبه الخالص . فيحب الناس باعتبارهم اخواناً غيرمبال بآرائهم الخاصة فهو لاينظر الا الي حاجاتهم . يهبهم من علمه الراقي فيبارك الله عليه . هذا هو الحب الصادق للانسانية وليس هو ذلك الذي لايحب الا الذين يوافقونه في الرأي ولا يساعد الا من يتملقون له ولا يتصدق الا ليعرف عنه انه من المحسنين

« والثاني أي الفيلسوف هو الذي خلص من وطأة النظريات فيما يجب ان يكون ومن الخضوع للآراء الطائفية والتقاليد المذهبية فأصبح حراً من أسر المقررات ومستعدا لقبول الحقيقة مهما كانت بشرط ان تقوم عليها البراهين، باحثاً عن مساتير الحكمة الالهية فيجد سعادته من وراء هذا البحث . وهو لا يخشى ان يستنفد خزائن هذه الحكمة فانها لاتقبل النفاد . اما اغتباطه فى الحياة فهو في الترقي كل يوم في معارج العلوم العالية وفي الحصول منها على محصول عظيم من آراء هى أقرب الي الحقيقة عن الله وعن العالم . اجتماع هاتين الخصلتين حب الانسانية وحب الفلسفة يكوّنان الرجل الكامل (صحيفة ٣٧)

(مذهب الارواح في المقررات التي نعتبرها حقائق)

« اذا رأيت ان تعاليمنا تثبت عدم وجود حقيقة مطلقة فنحن نشكرك علي انك فهمت مانرمي اليه . فما لاشك فيه انه لاشيء وانتم في حالتكم الراهنة من النقص يقرب من الحقيقة المطلقة ولا من الكمال المطلق

والحقيقة المناسبة لكم يجب ان تكون متغيرة لانكم لاتستطيعون ان تحيطوا بالحقيقة المطلقة في كليتها ولا ان تدركوها فى جزئياتها فهي تظهر لكم من وراء حجاب . ونحن لاندعي ان نكشف لكم عن وجهها بل نحن أنفسنا نجد في الوصول اليها . والذى علينا هو ان نساعدكم في الحدود المسموح بها فنعين لكم في صورة غير تامة الجلاء مدركات جديدة هي اقل بعداً عن الحقيقة بما لايقدر من المدركات التي تتخيلون انها وحي مباشر من الحق

تعالى نفسه (صفحة ١٦٧)

(نصيحة الارواح للناس في الامور الاعتيادية)

« لاتخضع لاية عقيدة مذهبية ولا تقبل بلا بصر ولا روية تعاليم لاتستند على العقل . ولا تأخذ بلا تحفظ وحياً جاء لاحوال خاصة في عصر من العصور . وستعلم بعدُ أن الوحي لاينقطع أبداً وهو آخذ في الترقي ولاوقت له ولاحد . وليس هو بامتياز لامة دون أمــة ولا لشخص دون شخص . والله يكشف نفسه للانسان شيئاً فشيئاً (صفحة ٩٧)

(مذهب الارواح في الاديان الموجودة)

« العقل الانساني مسوق لان يأخذ بدين ورأي ومحمول على ان يعتقد بأنه يجب أن يكون الله على مايدركه جنسه أو أسرته فالله عند الهندي الاحمر هوالروح الاعظم الذي يدركه وعند المتوحش الاسود هو الفتِش الذي يعبــده . والنبي يجب ان يكون المسيح أو محمــداً أو كونفشيوس . و بالجملة فان الانسان من الشمال الي الشرق ومن الغرب الى الجنوب قد أسس علما لاهوتياً لما يعتقده وأخذ يلقنه لاولاده مخضماً اياهم بالقوة لدين يعتبره الوسيلة الضرورية للنجاة . وقد نبهناكم قبل الآن الي هــذا الامر فتأملوه . فأي دين من الاديان لجنس من اجناس البشر علي أى بقعة من بقاع الارض يدعي احتــكاره للحقيقة الالهيــة فهــو بشري مزوّر ولده الــكبر ولفقه الزهو

« فلا يوجد أي علم لاهوتي محتكر للحقيقة بل ان في كل منها نقصاً الي حد معين . ولــكن منها جهات صحيحة تناسب حاجات من أوحي اليهم أو ارتقي بهم . ولــكن لايوجد من بينها واحد يصح ان يعلن للنــاس بأنه الغذاء الروحاني الوحيد المنزل من الله اليهم . والانسان في قصوره وعجزه يجب ان يعتقد بأنه المالك وحده

لاصل من أصول الحقيقة (ونحن نضحك من تمسكه بهذا الغرور) ويؤديه افتخاره بهذه الملكية الوهمية الي الاعتقاد بوجوب ارسال دعاة له في طول الممالك وعرضها يحملون عقائده الجنسية لشعوب أخري تضحك من هذه الحقوق المزعومة (صفحة ١٧٨) .

(مذهب الارواح في اختلاف الاديان وصحتها كلها)

ذكرت الارواح اولا ان الحقيقة المطلقة نور ساطع لاتتحمله اعين البشر طفرة ثم قالت :

« قد حصل كل اجناس البشر على شعاع من هذا النور . فمنذ وجدت دنيا كم هذه حصل كل من البرهمي والمحمدي واليهودي والمسيحي علي بصيص خاص من ذلك النور واعتبره كل منهم ميراثاً له خاصة أنزل اليه من السماء . فلاجل ان نزيدك تنبيها على مبلغ بطلان هذه المزاعم نحيلك الى التأمل في الكنيسة المسيحية التي تدعي الاختصاص بالحقيقة الالهية والي ماوصلت اليه من الانقسامات

« لقد قرب الوقت الذي فيه يخترق شعاع جديد من نور الحقيقة ظلمات هذا الجهل الانساني . والحقائق العالية التى كلفنا باعلانها تمحو من ارض الله الاحقاد المذهبية وغمم العلوم اللاهوتية والغضب وارادة السوء والبغضاء والكبر الفريسي (نسبة للفريسيين) وهي الصفات التى شوهت اسم الدين وجعلت كلمة العلم اللاهوتي مرادفة بين الناس للشقاق والتفرق (صفحة ١٧٩)

(مذهب الارواح فى الابرار وفي القرب من الله)

« لا يوجد بررة مختارون غير الذين يشتغلون بأنفسهم للترقي في معارج الكمال على مقتضى النواميس الطبيعية التي تحكمهم . فنحن ننكر ما يعزي للاعتقاد الاعمى والايمان الساذج من القدرة المطلقة . ونعترف بقيمة العقل المدرك المخلص

المنزه عن ضيق النظر . فمثل هـذا العقل يقرب من الله و يجتذب ارشاد الملائكة .
ونرفض بصوت عال كل مـذهب هادم يقرر ان للايمان وللاعتقاد وللتسليم بالآراء
المقررة قدرة ما علي محو الذنوب . وننكر ان حيـاة أرضية معيبة نجسة يمكن ان ترتقي
وتتحول الى حياة طاهرة بالتسليم برأي ما أو بخيال ما او بعقيدة غير معقولة تسليما أعمى.
ان مذهباً هـذه حاله قد حط من النفوس اكثر مما حطته اية خرافة يمكننا ان نعينها
(صفحة ٩٤)

(مذهب الارواح في أي الاديان يجب الاخذ به)

« ليس من تعاليمنـا أن ديناً من الاديان له التأثير الاعلى دون سواه . فليس
واحد منها بمحتكر للحقيقة . بل لكل دين نصيب منها وكلها مشوبة بالاضاليل .
فنحن نعلم ما لا تعلمون ونعرف الاحوال التي تكون الشكل الديني الذي يفضله كل
انسان على سـواه ونقدره حق قدره . ونعرف ان ارواحا هي هنا في الطبقات العليا
من الرقي الروحاني تقدمت رغمـاً عن الشكل الديني الذي كانت آخـذة به على
الارض . فنحن هنا لا نعبـأ الا بعاطفة التعطش لادراك الحقيقة عند جميع حملة
العقائد المتخالفة على السواء . وليس للتأملات المجردة من قيمة هنا . فترانا نكره المباحث
الجامـدة التي يزعم اللاهوتيون انهم حـلوا بها مساتير العلم السماوي ولا نبـالى
بالمجادلات الطفلية التي يهتم بها الناس . ولا نـكترث بمسألة التخالف المذهبي الا
لنعلن انها اشد العوامل خطراً في توليد الحقد والبغضاء والخبث ومقاصد السوء بين
الناس

(مذهب الارواح في الوصول الي الحقيقة .)

« يجب على الانسان ان يعلم كل هذا اذا أراد ان يتصل بالارواح بلا خطر .
واذا علم ذلك او كان في دور تعلم ذلك وجب عليه ان يري ان نجاحه متوقف

عليه نفسه

« فليكسر نفسه وليظهر عقله الي أعمق مايصل اليه وليطرد منه القذر كما يطرد الطاعون لوحل به . وليرفع بصره الي أرفع مايستطيع ان يرفعه اليه . وليحب الحقيقة حبه لله فهى التي يجب أن ينحني امامها كل شيء . وليتبعها غير مبال بما يؤديه اليه البحث . اذا فعل ذلك احتف به ملائكة الله وأشرقت فى صميم روحه لانوار »

***

هذا طرف من مذهب الارواح ، وكتب المجربين مشحونة بها فى كل أمة فلا عجب ان ذهب رجال الاديان الى انها أرواح شريرة جاءت لتفتن الناس في دينهم وتحيد بهم عن طريق عقائدهم . ولكن رجال العلم فى أوربا وأمريكا يرون فى هذه التعاليم اصلاحا بعيد المدي لم تصل الى تكوينه والدعوة اليه فلسفة بشرية الي اليوم . وهم يذهبون الي أن هذه التعاليم العالية من أقوي الادلة علي ان هذه الارواح ليست من الارواح السفلية ولا من الكائنات الواقفة في درجة معينة من درجات الرقي العقلى . ومن عني من القراء بدرس الفلسفة الدينية ووقف علي قوة ما يدلي به نقدة الاديان من الشبهات عليها يجد في هذه التعاليم الروحية حلا علميا اصوليا لجميع تلك الشبهات . ويجد معه الدواء الشافي من داء الالحاد الذي يتسرب الى عقول الواقفين على تلك الفلسفة

فاذا كانت الارواح تقول بأن الحقيقة ليست محتكرة لاي دين في العالم وانها لا يصح ان تنحصر في واحد منها وانها انما أوحيت فى أزمان مختلفة لامم خاصة احتوشتها أحوال خاصة وأن ليس فيها مايصح الركون اليه في كل أدوار البشر وفي جميع أجيالهم فانها فى الوقت نفسه تصرح بأنها كلها وحى من الله ولكنه وحى مشوب بالخرافات التي كانت عالقة في عقول المرسلين بها ، اولئك المرسلين الذين تعتبرهم وسطاء ليس الا

هذه تعاليم خطيرة ندع الخوض في تحليلها و بيان قيمتها الآن ولكننا نقول بأنها تنفي شبهة رجال الدين فى ان تلك الارواح من الكائنات السفلية

فاذا انتفت جميع الشبهات التى قدمناها على حقيقة تلك الارواح فلم يبق الا فرض واحد وهو انها أرواح الموتي الذين تدعي هي انها أرواحهم . ولكن هل تقيم هي الادلة الحسية علي ماتقول ؟ وهل لها في اثبات شخصيتها مايحمل على الاخذ بما تدعيه ؟

ذلك مانبحث فيه في المقال الآتي ان شاء الله

وقد طالت هذه المقالة فلم نستطع اجابة حضرة الكاتب المستفيد كما وعدنا فنرجىء ذلك لفرصة مقبلة

***

(تحقيق شخصية الارواح)

التي تظهر للمجربين

نشرنا هذه المقالة فى جزء المقتطف الصادر في مارس سنة ١٩٢٠

ثبت بالادلة العلمية التجريبية بأدق معاني هذه الكلمات ان كائنات تظهر للمجربين متمتعة بعقل غير عقل الوسيط ولا عقل واحد من المجربين ولا عقولهم مجتمعة فتستولي اما على يد الوسيط فتكتب بخطوط المتوفين وتوقع بتوقيعاتهم واما تتسلط علي لسانه فتتكلم بلغته الخاصة . وقد تظهر تلك الكائنات متجسدة بجسد تستمده من جسم الوسيط نفسه كما ثبت ذلك بوزن الوسيط قبل تجسد الروح وفى اثنائه فتدعي هذه الكائنات بأنها أرواح ميتين معينين ماتوا منذ حين أو عشرات بل مئات من السنين . فهل هذه الكائنات الروحانية صادقة فيما تدعيه ؟

هذه مسألة ضخمة ليس لنا عليها دليل على من نوع الادلة التى تستحق هذا الوصف . بل كل ما لدينا مرجحات اذا جمعت والقي عليها نظرة عامة بلغت بالناظر درجة الاقتناع ونحن نثبتها هنا بايجاز فنقول :

(١) تكلم الروح بلغة المتوفي الخاصة واستخدامها عباراته المألوفة وتذكير اهله بحوادث قديمة كانوا نسوها لبعد العهد بها ولا يدريها احد سواهم

(٢) دلالتها أهلها على أمكنة أوراق ومستندات ضائعة وضعها المتوفي في تلك الاماكن قبل موته بدون اطلاع احد عليها

(٣) كتابتها بخطه والتوقيع بتوقيعه والتعبير بأسلوبه حتي ولو كان من كبار الـكاتبين بحيث عرض كل ذلك علي الخبراء فحكموا بتطابق الخطين والانشاءين كل التطابق

(٤) ظهورها متجسدة على صورته التي كان بها على الارض وتكلمها بصوته ولهجته

(٥) اجماعها في كافة بقاع الارض على التأكيد بأنها أرواح الموتي وانها ليست من الملائكة ولا من الجن ولا هي أرواح أخري ذات طبيعة مجهولة

(٦) شغفها بأهليها وايصاء المجربين بهم وتكليفهم البحث عنهم ومساعدتهم

هـذه كلها مرجحات قوية وقد قلب العلماء المجربون البحث في هـذه المسألة على كل وجه يمكن تصوره فكانت الدلائل تتظاهر على ابطال كل فرض غير هذا الفرض مع كثرة ما أتوا به من الاحتمالات في هـذا الباب وطول ترددهم في قبول هذا الرأي

فقال العلامة الفزيولوجى الشهير (الفريد رسل والليس) مكتشف مذهب النشوء والارتقاء هو ودارون في وقت واحد فنسب للثاني لاعتبارات جزئية قال في كتـابه (المعجزات والاسبرتسم العصري) .

« كنت مادياً مقتنعاً بمذهبي كل الاقتناع ولم يكن في عقلي مـكان للتصديق بحياة روحية ولا بوجود عامل في هذا الكون كله غير المادة وقوتها ولكني رأيت ان المشاهدات

الحسية لا تغالب فانها قهرتني وأجبرتني على اعتبارها حقائق مثبتة قبل ان اعتقد نسبتها الى الارواح بمدة طويلة . ثم اخذت هذه المشاهدات مكاناً من عقلي شيئاً فشيئاً ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية ولكن بتأثير المشاهدات التي كان يتلو بعضها بعضا على صورة لا يمكن تعليلها بوسيلة أخري »

يقول انه كان ماديا متشدداً ولكن المشاهدات قهرته على قبول وجود العالم الروحاني بغير عزو تلك المشاهدات الى أرواح الموتي ثم اضطر أخيراً بتتالى المشاهدات الى القول بهذا الرأي لانه لا يمكن تعليلها بوسيلة أخري

وقال العلامة الفلكي الكبير كاميل فلامريون في كتابه (القوي الطبيعية المجهولة) :

« كان تحت نظري حديثاً مشاهدات تشهد لهذا الفرض (لوحانى) . فالاولى والثانية من الاحدي عشرة مشاهدة يمكن ان تكون عرفت من القواميس والثالثة والخامسة من الجرائد (أي ان روح الوسيط سرت فقرأت ذلك عند ما سئلت عنه في القواميس والجرائد) ولكن بالنسبة للسبع الاخري نري ان قبول صحة شخصية الروح هو احسن الفروض المفسرة لها »

***

بقي علينا ان نقول كلمة فيما تخبر به الارواح عن اشياء يصعب على بعض الناس تصديقها عن العالم الآخر . كقول بعض الارواح انها هنالك تأكل وتشرب . وكقول ريموند ابن السير اوليفر لودج بأنه هنالك يقيم في بيت من الآجر وانه اذا ركم التراب ثيابه بالطين . وقد وجه سؤال الي المقتطف في هذا الصدد بصفحة ١٨٦ من الجزء السابق . ونحن لبيان هذا نقول :

ان للناس عن الموت وعن الحياة في العالم الآخر معارف وراثية تقليدية وان كانت أصبحت لدي الاكثرين في عداد الاوهام القديمة بتأثير شبهات الفلسفة المادية الا انهم لا يزالون يستندون عليها في هدم كل علم صحيح يخالفها مما يختص

بالحياة في العالم الآخر . فالذي ورثه الناس من ذلك ان الانسان متى مات انتقل طفرة الى حالة نفسية وعقلية مباينة لما كان عليه كل المباينة فعلم كل ما كان يجهله وخلص من كل الاوهام والاباطيل والصفات الذميمة التى عاش عمره عليها واصبح احد رجلين اما منعما ثواباً علي ماقدم من اعمال صالحة او معذبا جزاءً علي ما اسرف علي نفسه

ونحن هنا لانبحث في مصدر هذا العلم ولا في فساد أسلوبهم فى الاخذ عنه . ولكنا نريد أن نقول للماديين (ولانقصد سواهم بكتاباتنا فى هذا الموضوع) ان الموت كما ثبت علمياً لايرفع الانسان طفرة من حالة كان فيها على الارض الى حالة أخري لانسبة بينهما . بل هو انتقال بسيط من حياة كان فيها الانسان يحمل جسداً كثيفاً الى حياة أخري يحمل فيها جسداً لطيفاً خاضعاً للقوانين الطبيعية علي نسبة الفرق بين تركيب الجسدين . فيبقي الميت فى الوجود معنا علي ما كان عليه علي الارض من الحالتين النفسية والعقلية الا انه يرانا ويسمعنا ولكنا لا نراه ولا نسمعه . ولا عجب في ذلك فنحن لانري الاثير وهو مادة ولانري اشعة رونتجن والكهرباء والحرارة والمغناطيسية وهي مواد اثيرية في حالة حركة ومؤثرة فينا أعظم تأثير . ولكن يري الميت أمثاله من الذين انتقلوا الي مثل حالته فيجتمعون به ويعيشون معه على النظام المقرر فى ذلك العالم اللطيف كما نعيش نحن في عالمنا هذا على نظامنا المعروف . فيظل الميت على ما كان عليه ويأخذ في اصلاح نفسه تدريجياً علي سنن مقررة . ومن الموتي من يستمرون علي ما كانوا عليه من الصفات ويزيدون عتواً وعناداً ويعصون كل ارشاد كما كانوا يعصونه وهم على الارض

ولاأدري كيف يعقل ان يكون أمر الحياة الاخري علي غير النظام الطبيعى العام والوجود واحد وقواه هي هي في كل زمان ومكان ؟ أليست الطفرة محالا والسنن الطبيعية حكم لايمكن التملص منه وللحياة درجات لاتقف عند حد ؟

نعم قد ثبت علمياً ان الارواح أقدر منا على المادة المحسوسة وانها تأتي من الخوارق مالا

يكاد يتصور وان من ارتقي منها قد وصل الى مكانات عالية من السمو العقلى والنفسي وليس هذا بصعب التعليل لو امعنا النظر فيه قليلا

اننا بحالتينا الجسمية والعقلية ثمرة وجودنا فى وسط عوامل معينة من عوامل الطبيعة المحيطة بنا . فوجود أرضنا على هذه الكثافة المقررة وهوائنا على هذه اللطافة المقررة وحواسنا على هذه القوي المعينة وجرينا من الشمس على هذه المسافة المحددة هي اكبر العوامل التي جعلتنا على مانحن عليه جسداً وعقلا . فان تخيلنا كوكبا من الكواكب يخالف أرضنا في كل هذه العوامل جاءت الكائنات مناسبة له كل المناسبة ومخالفة لنا كل المخالفة

ولو تخيلنا نشوء حاسة سادسة فينا كالحاسة التى تهدي النحل الي خلاياها والحمام الي وكناتها عن بعد مئات الاميال لتغيرت مدركاتنا وحالاتنا الجسدية والعقلية والاجتماعية علي تلك النسبة فما بالك لو زادت قوي حواسنا الخمس كلها فأدركنا من قوي الوجود مالاندركه منه الآن

اننا نعلم الآن ان المادة نفسها وكل قوي الكون كالحرارة والنور والكهرباء الخ ليست الا درجات معينة من الذبذبة في الاثير المالىء للكون . فأدركنا تلك المادة وكل القوي المعروفة لنا على نوع ما و بنينا على هذه المعرفة القاصرة وجودنا الصوري والمعنوي واقمنا عليها الصنائع والعلوم التى نحن عليها اليوم ولكن بين عدد الذبذبات الاثيرية التي تولد الحرارة وعدد الذبذبات التى تولد النور والكهرباء الخ درجات نتائجها مجهولة لنا ولم ندرك منها أشعة رونتجن المعتمة الا عفواً فبنينا عليها التصور من خلال الحجب الكثيفة . فلو اتيح لنا ان ندرك نتائج الذبذبات الاثيرية الاخري فالي أي حد تبلغ قدرتنا على المادة وعقولنا من ادراك الحقائق ؟

هذا من الوجهة المادية . فاما من الوجهة النفسية فالانسان على مثل هذه الحال النسبية أيضاً . يرى نفسه يفكر في الامور ويذكر الماضى ويحفظ المسموعات و يتخيل الصور فيسمي مجموع تلك القوي عقلا لايعرف له مصدراً . فتارة يزعم انه نفحة

من عقل عام متميز عن المادة وخالد لا يعتريه الفساد وأخري يدعى انه ليس بمستقبل بل هو لازمة من لوازم تركيبه الجسداني يفني بفنائه

ينام فيري خيالاته تتجسد امامه فيلمسها و يكلمها ثم يستيقظ فلا يبقي في ذهنه الا صورها وقد لا يذكرها فيسمي مايراه حلما و يذهب في تعليله على مايحسنه له المذهب الذي ينتمي اليه

وينوَّم نوماً صناعيا فيري و يسمع مالا يراه ولا يسمعه وهو يقظان و يتجسد امامه كل ما يتصوره منومه تصوراً فيسمي هذه الحال نوما مغناطيسيا و يسلك في تعليلها المسلك الذي يزينه له ما هو عليه من المدركات الطبيعية الناقصة.

و يصاب ببعض الاعراض فتكون له شخصية غير شخصيته أو شخصيات متعددة فيتوهم انه يري أشياء واشباحا يلمسها و يكلمها فيسمي الناظر اليه هذه الحال مرضا عصبيا و يمضي في تفسيره على ما يسمح به علمه في العهد الذي هو فيه.

يحدث كل هذا في هــذا العالم ويؤلف حتي لا يلفت نظراً لاحــد لجريه مجري الامور العادية ولم يهجس في عقل عاقل ان ينكر وجود هــذا العالم المــادى بسبب وجود هــذه العوارض فيه . ولــكن اذا روي له بعضها عن عالم الارواح اتخــذ ذلك دليــلا علي عــدم وجود ذلك العــالم وعد من يقول بوجوده جانيا على العلم والفلسفة

فاذا سألته لم تنكر العالم الروحاني لرواية بعض هذه الاعراض النفسية عن اهله ولا تنكر هذا العالم مع وجودها كلها فيه ؟ ولمَ تكون النفس البشريةُ وهي في هــذا العالم عرضة لــكل الاعراض التي ذكرتها ويجب ان تتنزه عنها وهي في الحياة الاخري ؟ اجابك على الفور بقوله : نعم لان الروح متي خلصت من هذا الجسد يجب ان تتخلص من جميع عوارضه المرضية ؟

فان قلت له : من أين أتيت بهذا الايجاب وأنت لم تعن بدرس حالات الارواح بعد انتقالها الي ذلك العالم كما عني بذلك الوف من العلماء والباحثين في عشرات من السنين ؟ و بأي سلطان تتحكم في اسناد تلك الاعراض للجسد المحسوس دون اسنادها

للجسد غير المحسوس الذي ينتقل مع الروح بعد الموت ؟ ان قلت له ذلك لم يجد جوابا يمكن ان يسمى علميا.

أما الذي ثبت لاهل العلم الذين وقفوا أنفسهم لدرس حالات الارواح بعد انتقالها من هذا العالم فهو انها لا تطفر طفوراً من حال دنيا الى حال عليا بل تلازمها جميع صفاتها العقلية والنفسية مدة حتي تتهذب بتجاربها الخاصة وترتقي على سنة تدريجية فقد تكذب وتدلس وتحسد وتغري بالفساد وتتخيل الخيالات وتصاب بأعراض كل هذه الصفات .

فان أخبرتهم روح بأنها هنالك تسكن فى بيت من الآجر وان ثيابها تتلوث بالطين كلما سجدت كما اخبرت بذلك روح ابن السر اوليفر لودج نظروا في قولها نظر ناقد فلعلها تكذب لتضليل المجربين ولعلها تسخر منهم ولعلها انتقلت الى ذلك العالم وهي حاملة لخيالاتها القديمة الخ الخ ولكنهم لا يتخذون قولها هذا دليلا على عدم وجودها في ذلك العالم . وكيف يسوغ لهم ذلك وهي تكلمهم وتمطرهم البينات على وجودها كما ثبت ذلك لكل من طالع كتاب السر اوليفر لودج . والعلماء لم يتكلفوا المشاق وراء هذه المباحث وفاء لشهوة من شهوات الانحراف العقلي كما يتوهم خصوم هذه المباحث بل بعد قيام الادلة التى لا تقبل النقض على وجود العالم الروحاني وليس بعد تجسد اهله امامهم واحداث الخوارق لهم مزيد لمستزيد . فهم ليسوا بطائفة من الموسوسين يجتمعون حول وسيط فيستملون ما يصوره لهم من أهوائه وخيالاته ثم يقومون بنشره بين الناس لاجتلاب السخرية اليهم في مدي جيلين متتابعين ولكنهم أئمة العلم الرسمي ألفوا لبحث هذه الامور مجامع علمية بلغ عمر بعضها اليوم نحو نصف قرن وقد تكون في فرنسا مجمع جديد في سنة ١٩١٩ جمع بين أعضائه اكبر زعماء العلم في تلك البلاد وقد أتينا على خبر تأليفه في جزء شهر دسمبر من المقتطف واثبتنا اسماء اعضائه وقرناها بالقابهم العلمية ومكاناتهم فى الهيئة الاجتماعية

فمسألة الروح ووجودها في عالم وراء هذا العالم اكبر مسألة اهمت البشرية منذ

وجودها علي هذه الارض وسيكون كذلك مادامت عليها وهي من الاعضال والتشعب واتساع المدي و بعد الغاية بحيث يجب ان توقف لها الاعمار و يوصل في بحثها الليل بالنهار . وقد توجهت البشرية بمجموعها اليوم وفي مقدمتها رجال العلم الى حل هذه المسألة حلا حاسما بحيث تصبح من المقررات الطبيعية فتدرس في المدارس كما تدرس الكيمياء العملية والميكانيكا فكان من أثر هذا الاهتمام كله حدوث حركة روحية لم يسمع بمثلها في أي عهد من عهود التاريخ . وقدجاءفي جريدة المقطم في عددها الصادر أمس ٩ فبراير تحت عنوان (بساط الريح وتحقيق حلم قديم) ما يأتي

« لم يسبق ان اشتد اهتمام العلماء والكتاب الباحثين برفع ستار الغيب لمعرفة ما وراء هذه الحياة اشتداده هذه الايام . وقلما تصدر جريدة أو مجلة من جرائد الغرب ومجلاته الكبري الا وفيها بحث أو رسالة أو فصل عن هذا الموضوع الذي شغل العقول والاذهان منذ عرف المرء الموت مفرق الجماعات »

(جواب لمستفيد)

طلب الينا فاضل في مقتطف ديسمبر تعليلا لعلاقة الروح بالجسد من بقاءالحياة فيه بسلامته وزوالها عنه بعطبه . كأنه يري ان في هذه العلاقة الوثيقة شبهة على استقلال الروح عن الجسد

فنجيب حضرته بأن هذا الاستقلال قد قامت عليه الادلة الحسية اليوم وفيما كتبناه هنا من المقالات المتتابعة الكفاية في هذا الباب

اما وجه وجود تلك العلاقة المشاهدة بين الروح والجسم فهو ان هذا الاخير آلة تستخدمها الروح لاغراضها كما يستخدم الميكانيكي الآلة البخارية لاغراضه كذلك. فاذا صلحت الآلة البخارية ساقها الميكانيكي أحسن سوق واذا فسدت ببعض الفساد

قادها على علاتها قيادة تناسب ماعرض لهـا من التلف . واذا عطبت كل العطب تركها حيث هي وانصرف عنها لشأنه . فكما لايقدح تلف بعض عدد الآلة البخارية أو عطبها كلها في استقلال قائدها وسلامته التامة كذلك لايقدح ضعف الجسد وعطبه في استقلال الروح وكفاءتها التامة

واني مع هذا اوجه نظر حضرة المستفيد لما سأكتبه في الجزء المقبل في خاتمـة مباحثي في اثبات الروح فسيجد فيها مكان هـذه الشبهات من العلم الحق ان شاء الله

***

(خاتمة)

نشرنا هذه المقالة في مقتطف ابريل سنة ١٩٢٠ وهي تتمـة هذا البحث

امتاز الانسان عن جميع الاحياء التى تشاطره الوجود على هذه الارض ببعـد مدي النظر العقلى ونمو قوتي الاستدلال والاستقراء وعدم وقوفه من هذه الخصائص عند حد . وقد كافأت هذه القوي فيه تجرده عن الاسلحة الجثمانية لحفظ وجوده بين الاحياء التي تنازعه البقاء واستظهر عليها بسعة حيلته وقدرته على الابتكار . وسخرها لحاجاته فوجد فراغا من الوقت للتـأمل في نفسه ليعرف مصـدرها ومصيرها وفي الـكائنات ليـدرك مساتيرهـا وفي الطبيعـة ليقف علي القوي أو القـوة العظمى المدبرة لها .

لم يكن الانسان بالـكائن الذي ينفعل لقوي الـكون صاغراً لها ويخضع لقواعله لاهيا عنها فأخذ يفكر أولا فى علل العاديات التي تصيبه في ذاته واهله وجماعته و بيئته فتخيل ان الوجود عامر بعوامل عاقلة محجوبة عن بصره وان لهـا عواطف واهواء من نوع عواطفه واهوائه . فشرع يتقرب اليها بالعبودية ويتزلف لها بالقرابين الحيوانية

والبشرية جلباً لمراضيها وتجنبا لمساخطها فكان هذا اصلا له لدينه ولبحثه فيما وراء المادة المحسوسة

اطرد الانسان طريقه في الترقي فكان كلما ازداد علمه بالكون والكائنات ونما ادراكه العلل والمعلولات ورقي شعوره بالحقوق والواجبات لطف من عقائده بتلك العوامل وهذب من مدركاتها في صفاتها حتي وصل الى توحيدها وتنزيهها وجد في التوفيق بين مايهديه اليه العلم الحسي وبين ما يوجبه عليه النظر العقلي حتي كان له بازاء العلم الطبيعي علم لاهوتي . ولكنه ما كاد يصل الي هذه المرتبة العقلية حتي تولدت في ذهنه الشكوك والشبهات وعمر رأسه بالايرادات والاستشكالات وهي من لوازم الاعمال العقلية فتجرأ بعض آحاده على نفي القوة العاقلة المدبرة للكون والذهاب في تعليل الوجود بالفواعل الطبيعية المحضة . الا ان اولئك الآحاد لم ينجحوا في نشر مذهبهم بين الدهماء لغلبة سلطان العقائد على الاذهان ومسايرة العلوم الكلامية لاهواء الانسان

بدأت هذه النزعة المادية حوالي القرن الخامس قبل المسيح و بقيت مقصورة علي بعض المفكرين هدفا لتجريح الدينيين والاعتقاديين من الفلاسفة الرسميين . وتشدد حفظة العقائد في تعقب اصحابها في بعض الادوار تشدداً ليس له مثيل في تاريخ التطورات العلمية وازدادوا في الوقت نفسه جوداً على تعاليمهم وعداء لحرية البحث والنظر حتى اختنق العقل الانساني تحت آصار التقييد وعميت سبل التأمل على الناظرين وظل العالم الغربي على هذه الحالة نحواً من الف سنة حتى كانت فتنة الحروب الدينية بين البروتستانت والكاثوليك وما نشأ عنها من فصم وحدة الدينيين فتجرأ الفيلسوف الايطالى بطرس بومباتيوس سنة (١٥١٦) على التصريح جهاراً بانكار الروح و بعدم امكان حدوث الاعمال العقلية بدون جسد وتلاه جسندي سنة (١٥٩٢) فاحيا مذهب ديموكريت المادي اليوناني في الجواهر الفردة وتلاهما جماهو بين من كبار فلاسفة الانجليز ولكنه اضطر للهرب من انجلترة خوفا من بطش الدينيين

فلما جاء القرن الثامن عشر كان الجو اكثر ملاءمة لنشر الفلسفة المادية فنبع دافيدهيوم فى انجلترة ناصراً لها وايده فى فرنسا كونديلك ودولامتري وديدرو وفي المانيا البارون هولباخ . ولم يهل القرن التاسع عشر حتي كان للفلسفة المادية دولة قوية الشوكة ولا سيما في المانيا دخل تحت لوائها اكثر أذكياء الامم في عشرات قليلة من السنين لانها اعتبرت تحريراً للعقل من أسر الاضاليل الموروثة . وزاد الماديين تبجحاً بنظرياتهم جمود رجال الدين على عقائد تناقض بداهة العقل واحتفاظهم بآراء ظهر بطلانها بالحس ومعاداتهم للعلم معاداة لاهوادة فيها مع ظهور أثره الباهر في ترقية الحياة الانسانية وتخفيف ويلاتها الجمة

فلما ظهر مذهب دارون سنة (١٨٥٩) تلقاه الماديون بالتصفيق الحاد وعدوه ضربة قاضية على كل مذهب يناقض المادية لاقامته الدليل القاطع على ان الكون سائر على نظام آلى محض واكب الماديون على تعليل كل صغيرة وكبيرة فى الكون بالنواميس المادية البحتة متشددين فى انكار كل ماعداها من عقل مدبر أو عالم روحاني فكان كل ما روي لهم من الخوارق التي غص بها تاريخ العالمين ويشير الى وجود قوي تعمل فى الكون من غير طريق النواميس الآلية يعدونه من خرافات الاقدمين واكاذيب المتنبئة والمشعوذين

فكان اذا تجرأ متجرىء على التصريح بوجود عالم وراء المادة صاح به الماديون من كل مكان قائلين له : أنتهيت اليه فأنت تخبر عنه عن عيان ، ام سلمت به انصياعا لاضاليل الكهان ؟ وان تجاسر متكلم على القول بوجود روح في الانسان نظر بعضهم الى بعض يتغامزون ثم قالوا له وهم يتضاحكون : لانصدق الا ماتراه بعينيك وتلمسه بيديك والا فخذ بكل ما يقال وهيىء ذهنك لقبول كل خيال

هنا تقوضت دولة المنطق وانهارت اركان النظر العقلى وأصبح الحكم المطلق للحس والعيان واين منهما المتكلمون في العالم الروحاني والنفوس المجردة عن المادة ؟ أدرك الباقون من أشياع دولة الروح ان الخطب جلل وان العقبات التي تعترضهم لا

تذال فأدركهم الشك هم الآخرين وتحرج موقف حفظة الاديان وسرت اليهم عدوى التعاليم المادية فأصبح وجودهم في وظائفهم مبنيا على المصلحة الشخصية لا على العقيدة الدينية .

كان كل هذا ولم تبطل في دور من تلك الادوار تلك الامور الخارقة للعادة الدالة على وجود عالم روحاني محجوب وراء هذا العالم المادي المشهود من حدوث حوادث في بعض الدور تدل على وجود عوامل عاقلة مستترة عن العيون وظهور اشباح متجسدة للمستعدين لرؤيتها وسريان أرواح النائمين ووقوفها من هذا الطريق على ادراك كثير من الشؤون المغيبة . ولكن من الذي كان يستطيع فى دور غلبة المذهب المادي في القرنين السابقين أن يرفع بهذه الامور رأسا او يحرك بها شفة وألسنة المتهكمين مترصدة واقلام الناقدين مترقبة تشن على كل متكلم فيها غارات لا تبقي ولا تذر أقلها ان تسلبه كرامته بين العارفين وتعده فى زمرة المحترفين حتى ان الطبيب (مسمر) الالماني لما وقف على سر التنويم المغناطيسي في أخريات القرن الثامن عشر وهو الفن الذي كان يمارسه المصريون والهنود والصينيون منذ ألوف من السنين وعالج الوفا من الذين كان قد حكم الاطباء على أمراضهم بالاعضال سلقه الناقدون بألسنة من نار ووصموه بالتدجيل والشعوذة وحطوا من كرامته كل الحط حتى أمضى بقية ايامه مرذولا منبوذاً . فخلفه في التجارب جمهور من الاطباء وغيرهم فلم يكونوا أحسن حظا منه . وألفت جمعية العلماء الفرنسية لجنة لبحث هذا التنويم المزعوم ... فقررت بعد التجارب المدققة ... انه زور وبهتان وان القائلين به مدلسون او اغبياء . فظل انصاره مئة عام يقرعون التهم الكلامية بالتجارب العملية حتى أضطروا تلك الجماعات الرسمية المسماة بالجمعيات العلمية الى اعتباره فرعا من العلوم المقررة . ولكن تلك المادية الموروثة لم تسمح لهم ان يقروا منه الا ما لا يناقض مذهبهم وغضوا الطرف عن مشاهداته العالية التي تثبت وجود الروح بالحس لكل مجرب فيه

ظل العلماء في هذه الخيلاء الفكرية كل القرن الثامن عشر والنصف الاول

من القرن التاسع عشر وبات النـاس تبعا لهم مفتونين بتلك المقررات العلميـة الناقصة متخيلين انهم حلوا مساتير الكون وتمكنوا من تعليل كائناته تعليلا آلياً محضاً حتى هدأت ثائرة هـذا الدور الانتقالى وسكنت فورة الفرح بالجديد فأخـذ العقل الانساني ينظر فيما حصله بعد كل هـذا الجهاد الجهيد نظر نقد وتمحيص وقد صحا من نشوته وسكن من هزته فاذا به لم يبرح موقفه الاول اللهم الا علما ببعض الظواهر واكتشافا لبعض البسائط . أما من جهة ما كان يزعمه من ادراك سر الطبيعة ووقوفه على آثار العلل الاولية فوجد انه قد انخـدع بألفاظ بعـدت به عن مجـال الفلسفة العملية، التى ارتضاها أسلوباً لبحثه، اشواطـاً بعيدة حتى اشبه الخياليين الذين طالمـا تبجح عليهم بمحصوله وتعالى عليهم بأصوله . وجـد ان المـادة لاتزال مجهولة وان القوي التي دعاهـا ميكانيكية مقررة لاتعدو النظريات الظنية وان العلل التى فسر بها الوجود ظواهر خداعـة لاينطبق التعويل عليها على أسلوبه وان تلك النواميس العليا التى علل بها عالم الاحياء والتنوعات البيولوجية كناموس الانتخاب الطبيعى والوراثة معلولة لايصح ان يركن اليها الا اذا أراد ان يموه على نفسه . وقد اوجز هذا الموقف من الحيرة العلمية الاستاذ المشهور (جوستاف لوبون) فى كتابه تحول المادة فقال .

« كل نظرياتنا العلمية العظيمة ليست بقديمة العهد جداً فان تاريخ العلم التجريبي المحقق لايصعد الي ابعد من ثلاثة قرون . وفي هذا العهد القريب قرباً نسبياً حدث دوران مختلفان من ادوار التحول في افكار العلماء

« فالدور الاول كان دور الثقة وهو الذي تكلمت عنه آنفا . فكانت المقررات الفلسفية والدينية وهي قواعـد مدركاتنا القديمة على الوجود تضمحل وتزول بسطء امام الاستكشافات العلمية التي تتوالي كل يوم ولاسيما في النصف الاول من القرن الاخير . فما كنت تسمع من يرفع عقيرته بشكوي . وكيف يشكي من احلال الحقائق المطلقة محل اوهام المعتقدات القديمة . فكان يظن مؤسسو كل علم جديد انهم يحدون له الدوائر النهائية التي لايعوزها غير سد مافيها من الفراغ . وكان يخيل اليهم انهم متى اتموا بناء الصرح

العلمي استمر هذا الصرح قائماً على انقاض أوهام الزمان الماضي فكانت الثقة العلمية في هذا الدور على أتم ماتكون.

« دامت هذه الثقة في المقررات الكبرى للعلم العصري حافظة لقوتها الى ان حدثت فى الايام الاخيرة استكشافات غير منتظمة قضت على الفكر العلمي بأن يكابد من الشكوك ماكان يعتقد انه قد تخلص منه الى أبد الآبدين . فان الصرح العلمي الذي كان لا يرى مافيه من الصدوع الا عدد قليل من العقول العالية تزعزع فجأة بشدة عظيمة. وصارت التناقضات والمستحيلات التي فيه ظاهرة للعيان بعد ان كانت من الخفاء بحيث لاتبلغها الظنون .

« ادرك الناس على عجل انهم كانوا مخدوعين وأسرعوا يتساءلون عما اذا كانت الاصول المكونة للمقررات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن الا فروضاً واهية تحجب تحت غشائها جهلا لا يسبر له غور . فحدث اذ ذاك في العقائد العلمية مثل ماكان حدث قبل ذلك للعقائد الدينية عندما شرعوا في مناقشتها الحساب اذ سبقت ساعة النقد ساعة الانحطاط ثم تلاها دور الزوال والنسيان.

« لامشاحة في ان الاصول التي كان العلم يختال بها اختيالا لم تزل كل الزوال بل هي ستبقى امداً طويلا في نظر الدهماء كحقائق مقررة وستستمر الكتب الابتدائية في نشرها ولكنها فقدت كل ماكان لها من الاجلال في نظر العلماء الحقيقيين .

« وقد كتب المسيو (لوسيان وانكاريه) من جهته يقول : « لاتوجد لدينا نظريات عالية الآن يمكن قبولها قبولا تاماً ويجمع عليها المجربون اجماعاً عاماً . بل يسود اليوم على عالم العلوم الطبيعية نوع من الفوضى . وقد اتسع المجال للافتراضات الجريئة ولم يظهر ان ناموساً من النواميس يمكن اعتباره ضرورياً ضرورة مطلقة . فنحن نشهد فى هذه الآونة اعمالا هي اشبه بالهدم منها باقامة بناء نهائي . فالآراء التي كانت تظهر لمن سبقنا انها تأسست تأسساً ثابتا صارت اليوم لدينا موضوعا للمناقشة . وقد رفض اليوم على وجه عام الرأي القائل بأن كل الظواهر الطبيعية تقبل تعليلات ميكانيكية . فان اصول علم الميكانيكا نفسها صارت مشكوكا

فيهـا . وقد شوهـدت حوادث جـديدة زعزعت ثقتنا المتعلقة بالقيمة المطلقـة للنواميس التي اعتبرت الي اليوم كأنها أساسية » انتهى كلام العلامـة لوسيان وانـكاريه.

ثم عاد الاسـتاذ (جوستاف لو بون) فقال :

« ولـكن من حسن الحظ لاشيء أكثر ملاءمة للترقي العلمي من هذه الفوضى الحاليـة . فالوجود مفعم بمجهولات لا نراها . والحجاب الذي يحجبها عنـا منسوج غالبا من الآراء الضالة أو الناقصة التي توجبها علينا تقاليد العلم الرسمي . فقد دلنـا التاريخ على مبلغ تأثير النظريات العلمية في تأخير الترقي متى حصلت على درجة معينة من الجمود . فلا يمكن والحالة هـذه احداث خطوة واحدة الى الامام الا بعـد تفـكك الآراء السابقـة . فان تعيين ضلالة واحـدة وتتبع نتائجها يساوي أحيانا حدوث استكشاف جـديد فالاشد خطرا على تقـدم العقل الانساني هو تقـديم الظنيات للقارئين لابسة حال الحقائق المقررة على نحو ماتفعله الكتب المدرسية والتطاول لوضع تخوم العلم ورسم حدود لما يمكن معرفته كما كان يود ذلك اجوست كونت » انتهى .

ونحن نقول بعد هذا التمهيد : لمـا وقف العقل الانساني في شخص رجال العلم العالي هذا الموقف من النظر الصادق والادراك الصحيح والتواضع الجدير به وهو في وسط هذه اللجة من المجاهيل العالمية حرم على نفسه الركون على اصل ركونا مطلقا مهما زين له الخيال انه ثابت لاينقض والقى عن عينه تلك الغشاوة التي كانت تمنعه من النظر في كل مايخالف مقرراته الموروثة وعلم هـذا الدرس القاسي من الانخداع عدم التسليم لغير مايقع تحت حسه بالتجربة فما كاد يبلغه وجود حادثة من حوادث ماوراء المادة يمكن تحقيقها بالاسلوب التجريبي حتى بادر الى تمحيصها ولم يأنف من اعلان حقيتها . ولم يستكبر جماهير من العلماء شابت نواصيهم في

المباحث المادية وملايين من الاذكياء والفضلاء جمدوا على الالحاد وتربوا في مهده أن يهتموا بدراستها مجتمعين ومتفرقين وان يصرحوا بما رأوه غير هيابين ولا مترددين

هذا سر تقاطر رجال العلم لعالي واراكين النهضة العصرية على بحث مشاهدات ماوراء المادة وامعانهم في هذا السبيل بهمة لم تعهد في تاريخ العلم الي اليوم . ولكن ما أبعد الشرقيين عن مثل هـذا الموقف الجليل من التواضع والتعطش للحقيقة . انهم لايزالون في دور الغرور بالنظريات العلمية الناقصة والتبجج بمقررات الفلسفة المادية البائدة متوهمين أن ذلك منتهي الالمعية وأقصى غايات الضلاعة العقلية . ولا يدري الا الله كم مقدار الامد الذي يمضونه في هذا الدور الخاضع سهل الله عليهم الانتقال منه

ومما ننبه اليه هنا ان البحث في المشاهدات الروحية ليس بوقف على العلماء بل تناولته جميع الطبقات من اطباء ومهندسين وأصوليين وصحفيين وماليين وغيرهم ممن يعدون بالملايين تألبت كل هـذه العقول البشرية على تحقيق حوادثها فلم تزدد الا وضوحاً حتى صارت اليوم في عداد الامور الحسية التي تمتحن بالآلات المعدنية . فثبت من مجموع هذه الابحاث ان وراء هذه المادة المحسوسة عالماً اعلى منـه عامرا بالكائنات العاقلة وان الانسان متي أتم العمر المقدر له هنا انتقل الي ذلك العالم بما حصله من علم واختبار وتابع فيه طريق ترقيه حاملا جسداً أثيريا لايعدو عليه التحول ولا الفناء وانه لا يزال يترقي حتي يصل الى درجات عجز عن تخيلها حتى الارواح المجردة العالية التى تتصل بالباحثين بالطرق التي بيناها هنا

هذه العقيدة لم يحصل عليها العقل العصري من طريق الدين ولا من طريق المنطق ولكن من الطريق العلمي التجريبي المعروف . وقد تردد في قبولها عشرات من السنين قلبها فيها على كل وجه وسري عليها كل أسلوب من التمحيص حتي صارت هي والحسيات في مستوي واحد . فأخذ بها كما يأخذ بالعلم الطبيعي

الذي تهديه اليه الحواس بل هي من العلم الطبيعي وانما سميت وراء الطبيعة لانها لم تكن في دائرة البحث العلمي . أما اليوم وقد تناولها الاسلوب العلمي التجريبي فهي من صميم العلوم الطبيعية مثل الكلام فيها كمثل الكلام في أشعة رونتجن وخصائص الراديوم . وقد اعتبر العقل الانساني وقوف العلم على آثار هذا العالم الروحاني انتقالا منه من دور الحرج والنقص الي دور السعة والتكمل فانه وصل به بين شطري الوجود أي بين شطره المدرك بهذه الحواس القاصرة وبين شطره المحجوب عنها . ولا يخفي ان المحجوب عنها هو مستقر القوي المؤثرة ومسرح العوامل المكونة . فتم له بذلك وصل ما يجب ان يكون موصولا ليجد العلم المجال امامه مطلقا فلا يقف حيال كل مسألة من المسائل التى يتحرق الانسان لادرا كها حائراً ثم يرتد عنها معترفا بأنه امام مجهول لايسبر له غور . بهذا الوصل بين شطري الوجود انحلت مسألة من اكبر المسائل الانسانية وهي التناقض المؤلم القديم بين العلم والدين . فتحول الدين عن أسلوبه المعروف من التسليم بالغيب والجولان في متاهات الآراء القديمة الى ادراك صحيح مبني على الاسلوب العلمي الصارم . فتوحدت وجهتا الانسان . فبعد ان كان امامه عقيدة وعلم علي طرفي نقيض أصبح أمامه علم محض جامع لجميع ميوله الجسدية والروحية . اركانه المشاهدة والتجربة وعماده النظر والاختبار لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا ينابذ فيه الا من خادع نفسه

هذا عهد للانسانية تصغر كل عبارة عن وصف جلاله وجماله ويعجز كل خيال عن تقدير آثاره في ترقيتها وايصالها من فهم الحقائق الكبري الى ماتتوجه اليه بكليتها . ولا يمكن تصوير ما ينبني على ذلك من طهر النفوس وسمو الاخلاق و بعد الغايات وتلاشي الفوارق الجنسية والدينية والشعور بالسعادة الحقة والطمأنينة الكاملة واعتبار الموت كما هو في الواقع ترقياً من عالم نقص الي عالم كمال وانتقالا من سجن الحواس القاصرة الى باحة الاطلاق المنزه عن القيود

هذا هو العهد الذهبي الذي طالما تخيله الإنسان في كل زمان ومكان فليعمل

له العاملون ولا يقف في سبيله الشاكون بل ليقرأوا ما كتبه اشياعه وليجربوا ماجربوه فقد وضح الصبح لذي عينين وملأ نوره الخافقين

وقد أتينا فيما نشرناه في المقتطف على صورة مصغرة لمشاهدات هذا الفتح الالهي وسردنا كثيراً من شهادات مجربيها ولم ندع وجهاً من وجوه بيان مسائله الا أتيناعليه أو أشرنا اليه حتى صارت مقالاتنا هذه كافلة لدحض كل شبهة تقام ضدها فان فيها الكل مايكتب في توهينها رداً مقنعاً ولكل مايستشكل به عليها بيانا وافيا يدركه من راجع تلك المقالات عند مايمر به شبهة أو يقرأ في تحقيرها مقالا . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

***

(تعقيب للمقتطف)

على اثبات الروح بالمباحث النفسية

أتمّ محمد بك فريد وجدي مقالاته الممتعة التي أراد بها اثبات الروح بالمباحث النفسية وهو الموضوع الذي كتبنا فيه في مجلدات المقتطف السابقة مايملأ الف صفحة على الاقل ذاكرين ما يقوله انصاره وما يقوله مخالفوهم . ولم نكتف بالنقل عن زعماء الفريقين بل امتحنا الوسطاء الذين يدعون مناجاة الارواح وذلك في أوروبا وهذا القطر والقطر السوري فلم نر شيئا غريبا لا يمكن تفسيره بغير مناجاة الارواح . وزد على ذلك اننا انتقدنا مرةً ما كتبه المسترستد عن انباء وسيطة بقتل ملك السرب قبلما قُتل ثم ثبت ان انتقادنا كان في محله وان ما كتبه المسترستد لم يكن صحيحا . وانتقدنا ايضا تقرير اللجنة التي أرسلتها جمعية المباحث النفسية لامتحان أوسابيا بلادينو وأيدت دعواها ثم ثبت بالامتحان ان تلك المرأة كانت تخدع مشاهديها .

وقد طالعنا كثيراً من أنفس الكتب التى تلمّ بهذا الموضوع مثل كتاب الدكتور ميرس « الشخصية الانسانية وبقاؤها بعد موت الجسد » وكتاب الاستاذ وليم جمس « علم النفس » وكتب السر اوليفر لدج وكثيراً من المقالات التى نشرت في اكبر المجلات الانكليزية والاميركية فلم نر فيها كلها دليلا قاطعا على ان الذي ينطق الوسطاء هو روح انسان ميت مع رغبتنا الشديدة فى مخاطبة ارواح الموتى . وهذا ما يقوله كل الذين يعتدّ بقولهم من رجال الدين في الكنيسة الكاثوليكية والبرتستانتية والارثوذكسية أي الزعماء الدينيون لستمائة مليون من البشر الروحيين المعتقدين بخلود النفس . واحدث ما لدينا من الادلة علي ذلك ماجاء في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية في عدد يناير هذه السنة وهو ان مؤتمر الكنيسة الانكليزية الذي عقد حديثا اعلن رئيسه فيه (وهو رئيس اساقفة انكلترا) ان مجمع الاساقفة الذى موعد اجتماعه هذه السنة سيبحث في مسألة مناجاة الارواح .

وهذا دليل قاطع ان أشد الروحيين تمسكا بالروحية لا يزالون مرتابين في صحة مناجاة أرواح الموتى .

وقد أورد وجدي بك فى مقالاته خلاصة الادلة التى يقيمها أصحاب مذهب المناجاة لتأييده فأجاد واوفي الموضوع حقه من هذا القبيل . لكنه لم يكتف بأدلة التأييد بل شدّد النكير علي منكري المناجاة أو مفسري اعمال الوسطاء وأقوالهم بغير مخاطبة أرواح الموتى وجاري الذين يتهمونهم بأنهم ماديون وان اعتقادهم المادي هو الذي يمنعهم من التسليم بوجود الارواح و بالتالى من التسليم بصحة مناجاتها . والتهمة بالمادية قديمة جداً اتهم بها كل العلماء الطبيعيين من ايام غاليليو الى الآن حتي باخت وصدق عليها ماقيل فى تلك الناقة

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتي سامها كل مفلس

ونود ان يترفع وجدي بك عنها ونرجح انه لو علم ان اكبر المعترضين على دعوي مناجاة أرواح الموتي هم رؤساء الدين في الكنائس المسيحية الذين لا يرتاب أحد منهم في خلود نفس الانسان — لو علم ذلك لما خطر على باله ان يتهمهم هذه التهمة

ثم ان بعض العلماء الذين يعتقدون مناجاة الارواح لايفرّقون بين المادةوالروح بل يقولون ان الروح تتجسم فتصير مادة والمادة تنحل فتصير روحا

هذا ولا خلاف في ان الوسطاء يفعلون أفعالا غريبة سواء كان بالكلام او بالقرع أو بالكتابة . والناس في تفسير هذه الافعال فريقان فريق يقول ان سببها داخلي SuBleçtjF أي ان الوسيط يفعلها من تلقاء نفسه اما احتيالا واما بفعل داخلي فيه كما يتكلم ويمشي وهو نائم أو مصاب بالبحران . وان الذين يشاهدونها قد يتوهمون انهم رأوا وسمعوا اكثر مما رأوا وسمعوا او يروون عنها غير ما رأوا وسمعوا . وفريق يقول ان سببها خارجي OBIeçtIf وهؤلاء ثلاث فرق فرقة تقول ان سببها أرواح الموتي وفرقة ان سببها أرواح الشياطين وفرقة ان سببها منتشرة في الكون

وما من أحد الاوهو يودّ ان يعرف أين كان قبلما ولد والي اين يذهب بعد ما يموت . اما جسده فأمره معلوم تراب والي التراب يعود . وأما عقله أو روحه أو نفسه فشيء آخر غير هذا التراب نعلم وجوده فينا ما دمنا احياء فما هو وأين تكون والى أين يذهب بعد موتنا . الاديان الثلاثة الموسوية والعيسوية والمحمدية تقول انه يذهب بعد الموت الي الجنة أو الي النار . والعلوم الطبيعية تقول انها لا تعلم أين كان ولا الي أين يذهب . فهل صار في الامكان ان تتصل أرواح الموتي بالاحياء فتثبت وجودها لهم وتخبرهم بالحالة التي هي فيها وبما يصيب أرواحهم بعد مغادرتها أجسامهم . هذه أحق المسائل بالبحث والتحقيق

﴿ ملاحظاتنا على هذا التعقيب ﴾

اننا لم نشأ ان نرسل بملاحظاتنا هذه الى المقتطف بعد ما اعلنا فيه اتمام مقالاتنا لاسيما وقد رأينا ان حضرة العلامة منشئه لم يزد شيأ في هذا التعقيب على ما سبق مساجلته البحث فيه ولكننا في هذا الكتاب نأتي بهذه الملاحظات عليه لان المقام يدعو اليها هنا فنقول :

يقول حضرته انه امتحن الوسطاء الذين يدعون مناجاة الارواح فلم ير شيأ لا يمكن تفسيره بغير مناجاة الارواح .

ثم ذكر ان الوسطاء يفعلون افعالا غريبة والناس في تفسيرها فريقان أولهما يري ان سببها داخلي اي ان الوسيط يفعلها من تلقاء نفسه اما احتيالا واما بفعل داخلي فيه. وان الذين يشاهدونها قد يتوهمون انهم رأوا وسمعوا اكثر مارأوا وسمعوا الخ ،وفريق يقول ان سببها خارجي وهؤلاء ثلاث فرق فرقة تقول ان سببها أرواح الموتي وفرقة ان سببها ارواح الشياطين وفرقة ان سببها روح منتشرة في الكون .

ونحن نري ان في هذا الكلام نظرا . فاما امتحان حضرته للوسطاء وعدم رؤيته شيأ لا يمكن تفسيره بغير مناجاة الارواح ، فليس بعجيب فانه فيما يظهر امتحن الوسطاء المأجورين ، وقد قلنا انه لا يوثق بهم ، وقد أكد ذلك المجربون للشؤن النفسية واثبتوا ان جلهم دجالون وانهم لم يعتمدوا عليهم في مباحثهم .

وقد الف اولئك الباحثون كتبا في ذلك لتحذير الناس منهم .

واما قوله انه لم ير شيأ لا يمكن تفسيره بغير مناجاة الارواح ، فكلام غامض . فهل يفسر ماراه بالخداع المحض ، ام بفعل روح الوسيط نفسه ، ام بروح منتشرة في العالم ، ام بالجن ؟

فان كان يري انه يُفسر بالخداع المحض عذرناه لانه لم يصادف غير الوسطاء المأجورين ، وان كان يريد بهذا ان يطعن على مجموع المشاهدات قابلنا قوله هذا بما كتبته لجنة الجمعية الجدلية الانجليزية في تقريرها عن هذه الحوادث وقد كانت

مؤلفة من ثلاثين عالما نُدبوا خصيصاً لفحص صحة هذه الظواهر فقد ذكرت في تقريرها ما يأتي :

« وقد تحاشت اللجنة ان تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهنة في الخارج والذين يأخذون اجرا على عملهم هذا الخ . . .

« كل تجربة من التجارب التي عملناها بما امكن لمجموع عقولنا ان تتخيله عملت بصبر وثبات، وقد دُبرت هذه التجارب في أحوال كثيرة الاختلاف ، واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لاجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا وابعاد كل احتمال لغش أوتوهم .

« وقد بدأ نحو أربعة أخماس اللجنة التجارب وهم في أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر ، وكانوا مقتنعين أشد اقتناع بأنها إما نتيجة التدليس أو التوهم ، أوانها حادثة بحركة غير ارادية للعضلات . ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المنكرون أشد الانكار عن فروضهم السابقة الا بعد ظهورها بوضوح لا تمكن مقاومته وفي شروط تنفي كل افتراض من الافتراضات السابقة الخ الخ » .

لو قابلنا هذا الكلام الصادر من ثلاثين عالما انجليزيا تألبوا على كشف اللثام عن هذه المسئلة ، بما يقوله حضرة صاحب المقتطف من انه لم ير فيها شيأ يعلو عن التعليل، تحققنا ان حضرته تسرع في حكمه فلفظ من مجال البحث العلمي موضوعا هو أجل ما اهتدي اليه الانسان من حين وجوده علي سطح الارض الي اليوم .

ولو كان وقف أمر هذه المباحث عند حد الحكم القاطع الذي اصدرته لجنة المجمع العلمي الجدلي البريطاني لوجد المشككون سبيلا الي تشكيكاتهم باهمال العلماء لها ولكن الامر لم يقف عند هذا الحد فقد أسس اساتذة من جامعة كمبردج وغيرهم جمعية سموها جمعية المباحث النفسية سنة ١٨٨٢ لا تزال قائمة الي اليوم، وقد جمعت من تجاربها اكثر من أربعين مجلدا . وتألف في فرنسا مجمع علمي برئاسة الاستاذ الفزيولوجي الكبير (شارل ريشيه) العضو بالمجمع العلمي والمدرس بجامعة الطب الفرنسية و بادارة الدكتور جوستاف جوليه العالم المشهور وعضوية الفلكي الاكبر كاميل فلامريون والدكتور

كالمت مفتش صحة باريس والكونت دوغارمون احد وزراء فرنسا السابقين والاستاذ تيسو وغيرهم ، وهاهي اليوم تعمل تجاربها تسويغا لادخال هـذه الحوادث الى العلم الرسمي وقد تأدت الى نفس النتائج التى تأدت اليها لجنة المجمع العلمي البريطاني وجمعية المباحث النفسية ، كما تشير اليه مجلتها الجليلة المسماة (نشرة المجمع العلمي لدرس الحوادث النفسية) .

وقد قرأنا في المجلة الروحية الفرنسية الصادرة فى شهر يونيو ان خمسة عشر عالما من علماء امستردام (هولاندا) كثير منهم أعضاء في المجمع العلمى دعوا اخوانهم في البلاد المتمدنة كافة ان يحضروا مؤتمرا سيقام فيها المسئلة الروحية من ٢٦ اغسطس الى ٤ سبتمبر .

فسألة تجتمع لفحصها اللجان العلمية ، وتؤسس في سبيلها الجمعيات التجريبيـة ، في ارقى الامم مدنية ، وتؤلف لها المؤتمرات في العواصم الاوربية ، لايصح ان تلفظ الى مجال الامور الخرافيـة ، ولا أن يكتفي فيها مثل صاحب المقتطف بحكم كالذي أصدره فيها .

وقال حضرته أنه سيتألف مجمع للاساقفة الأنجليز في سنة (١٩٢٠) وسيبحث في مسألة مناجاة الارواح .

نقول نعم وقد اجتمع هـذا المجمع وكان قراره عدم الاستخفاف بهـذه المسألة والإشـادة بثمرتهـا وقد لخص هذا الحكم العلامة (جان فينو) مدير المجلة العالمية وهي اكبر المجـلات الاوروبيـة الصادر في ١٥ يناير من هذه السنة (١٩٢١) فقال :

« في مؤتمر الاساقفة الانجليكانية الذي عقد في قصر لامبيث فى ٥ يوليـو الى ٧ اغسطس سنة ١٩٢٠ وحضره ٢٥٢ من رؤس الـكنيسة منهم مطارنة كنتربوري ويورك وسيدني وكيبتاون والهند الغربية وميلبورن وامارة بلاد الغال الخ هـذا عدا اكثر من مئة أسقف من اكابر الاساقفـة تقرر النظر بنوع خاص في أمر الاسبرتسم والعلم المسيحي والتيوصوفية نظرا لتأثيرها العظيم فى عقلية أهل العصر الحاضر .

« ومع تحذير هذا المؤتمر المؤمنين عن مزاولة اعمال الفرق المختلفة المذهب الباطني

اعترف مؤتمر لامبيث المذكور بقيمة هذه الميول الروحانية التي تكافح المادية بنجاح عظيم . ولكن تفاديا من أن يفضي شدة انتشار هذه المذاهب وسلطانها الآخذ في الازدياد الى هدم سلطة الكنيسة وأصولها الاعتقادية استحسن كبار الاساقفة المؤتمرين وضع معالم جديدة للنصرانية لتكسب ثقة العناصر التى تشذ كل يوم عن الايمان الرسمى .

« فيخطى الفكر الحر خطأ جدا اذا ظهر أقل تسامحاً من الكنائس النصرانية التى فقد شيأ كثيراً بغلبة المذهب الروحاني الكامل لان مذاهبه المختلفة قد أعلنت مذ الآن حربا ضروسا على الاديان ذات العقائد الجامدة وخصوصا ضد مدعي الوكالة عن الله في الارض .

« و بعد كل هذا فالحقيقة ستتغلب علي كل هذه الاعتبارات ونحن باسمها نطالبه باحترام هذا (الوحى الجديد) وبحث ظواهره بحثا علمياً في حدود الامكان .

الى ان قال :

« فالعلم القديم المتأخر يكره هذه الفتوحات الجديدة ، ولكن من الظلم ومما يؤسف له اغلاق النوافذ التى فتحت امام أعيننا فبهرتها منها الأنوار » انتهى .

ذلك قرار المؤتمر وهذا رأي الفيلسوف المشهور (جان فينو) مدير المجلة العالمية، في أرقي البلاد مدنية ، فليقدّر القراء قدر تأثير المباحث الروحية ، في المراكز العلمية ، وليواجهوا هذا الفيض السماوي الجديد بقلوب متعطشة للحقيقة ، فان العالم والعلم قد دخلا في عهد هو أعظم عهود الانسانية وأجلها شأنا سيتأدي الانسان به الي كماله المطلق من أقرب الطرق وآمنها ،

و يجدر بنا ان ننبه هنا الى امور جديرة بالتأمل .

(اولها) ان الخوارق الروحية لنقضها لجميع السنن الطبيعية المعروفة للآن عزعلي العقول التسليم بها وأكثر الناس من اتهام الباحثين فيها بالانخداع والوقوع في حبائل

المشعوذين ، وتطلب كل منهم ان يراها بنفسه ليفضح الشعوذة التي انخدع بها غيره، هذا على خلاف المسائل العلمية التجريبية التى يكفى في الاخذ بها ان يجربها عالم او عالمان . لهذا السبب تألبت على دراسة الخوارق الروحية جميع صنوف العقول من علماء وفلاسفة واطباء ومهندسين واصوليين وكتبة وشعراء وصحفيين وماليين فاتفق الجميع في القول بأنها حقة لاغبار عليها ، وأن لاأثر للتدليس فيها . وهذا الاجماع كاف في اثبات حقيتها . وهل يعقل ان تعجز كل هذه العقول في مدي اكثر من سبعين سنة عن فضح أي شعوذة مهما بلغت من الاتقان وخفاء الوسائل ، وانت تعلم ان ان الوسطاء كانوا يربطون و يوضعون في اقفاص من الحديد و يقبض على أيديهم وتوصل أجسادهم بالاسلاك الكهربائية التي تسجل عليهم اصغر حركاتهم ؟

(ثانيها) ان المنكرين لهذه الحوادث كلهم ممن لم يكلفوا أنفسهم تجربتها أو ممن جربوها مرة أو مرتين فلما لم يجدوا شيأ يذكر أو وقعوا مع وسيط مدلس اقلعوا عن التجربة واسرعوا في الحكم بأن المسألة كلها تدليس في تدليس . قال العلامة (كاميل فلامريون) فى صفحة ٥٤١ من كتابه (القوي الطبيعية المجهولة).

« من السهل جدا أن يقف الانسان موقف المنكر انكارامطلقا حيال المشاهدات التي هي غرضنا من هذا الكتاب » .

ثم صور حال أولئك المنكرين فقال :

« قد لايكتفي الواحد من هؤلاء القضاة الأعلين بالغدر بعينيه، أو بالتبسم وهو على اريكة اختصاصه الملكي، ولكنه قد يتفضل فيحضر احدي التجارب فاذا اتفق، كما يحدث كثيرا ، عدم حصوله على شيء يخضع لارادته يبرح المجرب المبجل المكان وهو معتقد تمام الاعتقاد بأنه بنفاذ بصيرته الفائق قد اكتشف الحيلة ومنع ظهور أى شئ بادراكه الواسع ونظره البعيد . فيسارع الي الكتابة للجرائد مفسراً التدليس و باكيا بادمع التمساح تأثرا من ذلك المنظر المحزن وهو انخداع رجال معدودين من الاذكياء لتدليسات اكتشفها هو من اول وهلة » انتهى .

هذا حال المنكرين كلهم ، ولا يحفظ تاريخ هذه المباحث ان عالما وقف على بحثها عدة سنين فهب بعد ذلك يعلن علي رؤس الاشهاد انه لم ير شيأ أو أنه اكتشف فيها وجوه التدليس ، كما لا يحفظ تاريخها أيضاً ان جماعة من العلماء أو الاذكياء قاموا بفحصها بصبر وثبات مدة كافية ثم اعلنوا انها خداع في خداع كما يقول المنكرون بدون بحث ولا تنقيب . بل حفظ تاريخها ان كل العلماء الذين وقفوا زمنا كافيا لدراستها صدقوا بها وكتبوا فيها كتبا أو رسائل .

وهذا من اكبر الادلة على صحة هذه المباحث وتعاليها على كل تعليل مادي يريد أن يعللها به الماديون .

(ثالثها) ان الشعوذة عرفت بهذه الصفة في كل زمان ومكان وتاريخها يصعد الي عدة الوف من السنين ، والمشعوذ تُطلق له الحرية في اعداد الآلات ، واتخاذ الادوات ، وبث اعوانه بين الجمهور ، وتعطي له كل الفرص الضرورية للذهاب والجيئة على المسرح لعرض الاعيبه علي المتفرجين . والمباحث الروحية عرفت كذلك في كل زمان ومكان وجاء كلام عنها في اساطير المصريين القدماء والصينيين والهنود والبابليين وغيرهم ، ومُيزت عن الشعوذة بمميزات كثيرة ، منها ان الذين كانت تحصل على أيديهم في الازمنة القديمة كانوا من اهل الرياضات والعبادات ، ظهرت منهم هذه الخوارق من غلبة أرواحهم على أجسادهم تابعة لسنن طبيعية أرقي من السنن المعروفة عن عالم المادة .

وكل الذي يفعله العلم اليوم هو انه يقوم بفحص هذه الخوارق على من تظهر على أيديهم متي وقعوا في حال خاص كنوم مغناطيسى أو انتقال نومي أو خدر تام الخ ، والعلماء يبحثونها بالاسلوب العلمي الدقيق متخذين كل التحوطات التى تنفي كل تدليس أو خداع . كربط الوسيط علي كرسيه وتسميره بالارض ووضعهما تحت قفص من حديد وايصال أجسادهم بالتيارات الكهربائية الدقيقة لتسجل عليهم كل حركة وسكون . فأين هذا من الشعوذة ؟

وقد ظهرت هذه الخوارق علي ايدي اطفال رضع منهم من كان عمره تسعة ايام

ومنهم من كان عمره عامين ومنهم خمسة أعوام . وظهرت بوساطــة رجال ونساء من الذين لايعقل أن يصدر منهم غش أو تدليس ولا تزال تصدر منهم الى اليوم

وليس في تاريخ العقل الانساني انه انخدع لشعوذة مثل هـــذا الانخداع في مثل هذا الأمد الطويل ، فهل يعقل انه يقع فيه وهو في أشد القرون كراهة لـكل قديم، واكثرها تمسكا بالاسلوب العلمي القويم ؟

وهل يعقل ان يروج هذا الانخداع في كل بلد وفي القــارتين معا ، ويكون في مقدمة المخدوعين العلماء الاعلام الذين مرنوا على الاساليب العلمية الحاسمة ، وجمدوا على التعاليم المادية الصارمة .

وان عقل كل هذا فهل يعقل دوام هذا الانخداع جيلين متواليين ،فيزداد زيادة مطردة حتي يبلغ الي حد تأسيس مئات المجلات للبحث فيه ، واقامة المجامع العلمية لدعم مبانيه ، والوصول به الى أقصى مراميه ؟

اللهم ان كل هذا مما لايعقل ولا سيما في مثل هـــذا الجيل الذي لم تدع الشكوك مكانا من قلبه لقبول رأي لم يقم عليه دليل محسوس ، فضلا عن خرافة يقوم على فسادها الف شاهد ملموس .

(رابعها) ان المصدقين بصحة الخوارق الروحية من العلماء والاذكياء في كل صقع لم يرفعوا رأسا بتكذيب المــكذبين ، ولم يأبهوا باستهزاء المستهزئين بل قالوا كلهم كما قال السير وليم كروكس العلامة الانجليزي الـكبير في كتابه (القوي النفسية) :

« وبما اني متحقق من صحة هذه الحوادث فمن الجبن الأدبي ان ارفض شهادتي لها بحجة ان كتاباتي قد استهزأ بها المنتقدون وسواهم ممن لايعلمون شيأ في هذا الشأن ولا يستطيعون بما علق بهم من الاوهام أن يحكموا عليها بأنفسهم » انتهي .

فــكيف حصلت للمصدقين بها كل هذه الثقة ؟ ولماذا تعلقوا بها كل هذا التعلق، رغما عن سخرية الساخرين ، وتنطع المتحذلقين ؟ أليس لان الادلة العيانية لاتدحضها الاقاويل ، والوقائع الملموسة لاتطمسها الاضاليل ؟

فلو كان هؤلاء الباحثون قد انخدعوا كما يقول المنكرون ، لكانت زواجر خصومهم نبهتهم الى مواطن الغفلة من نفوسهم ، فظهروا اكثر استعصاء على تضليلات المضللين ، واحابيل الدجالين ، ولانتهي بهم الامر في جيلين متواليين الى الانفضاض من حولهم ، وتبين وهن اصولهم ، كما هي السنة فى تنازع الحق والباطل ، ولكن الذي حدث هو أن كثيراً من هؤلاء المنكرين المتشددين ، والمستهزئين المتغالين ، أخذوا يجربون هذه الخوارق لدحضها بشاهد محسوس ، فرأوا من صحتها مالم يكونوا يحتسبون ، فبادوا الى الاعتراف بحقيتها ، و يقصر نظرهم السابق في تحقيرها وتحقير كل من كان يأخذ بها ، ونشروا ذلك في كتبهم ، وقد أتينا على طرف من ذلك في هذا الكتاب كما رأيت ، فهل كان يمكن هذا اذا كانت هذه الخوارق الروحيه من اضاليل المشعوذين ؟

فعلى الذين يسرعون الى انكار هذه الظواهر لغلبة التعاليم المادية على عقولهم ان يتأملوا فى هذه الوجوه الاربعه ، وان يأبوا بأنفسهم عن الاستخفاف بعقول الالوف من العلماء ، والملايين من الفهماء ، فان مثل هذا الاستخفاف لايعتبر من الالمعية ولا من قوة الموهبة العقلية ، بل من الجمود المزري بصاحبه ، والركود المردي للآخذ به ، وليعلم كل من له عقل سليم ، اننا نعيش في بحر لجي من مجاهيل ، واننا متمتعا بالقوي التى تمكننا من استكشافها فلا يقطعن قاطع على نفسه طريق التقدم ، ولا يجعلن هذه القشور التى يسميها علمية عوائق له عن متابعة سيره الى استجلاء هذا العالم الكبير ، فذلك منه إثم خطير ، وشر عليه مستطير ، والله نسأل ان يتولانا بعنايته وان يكلأنا برعايته .

(الجزء الثالث من هذا الكتاب)

يصدر في أول اكتوبر سنة ١٩٢١ وموضوعه تعريب بحث جليل للعلامة (جان فينو) مدير المجلة العالمية اسمه (فتح علمي ـ الروح خالدة)


Bibliotheca Alexandrina
03779785